الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بن أحمد- وهران 2

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الفلسفة، والموسومة:

فيتغنشتاين والتداولية
مقاربة فلسفية لمرحلة التأسيس

إعداد الطالب:
قادري عبد الرحمان

إشراف:
أد. زاوي الحسين

أد. بوعرفة عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 2	رئيساً
أد.زاوي الحسين	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 2	مشرفاً ومقرراً
أد. عبد اللاوي عبد الله	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 2	مناقشاً
د. قواسمي مراد	أستاذ محاضر أ	جامعة مستغانم	مناقشاً
د. خليفي البشير	أستاذ محاضر أ	جامعة معسكر	مناقشاً
د. مخلوف سيد أحمد	أستاذ محاضر أ	جامعة سيدي بلعباس	مناقشاً

السنة الجامعية: 2014-2015م

إهـداء

إلى جميع أفراد عائلتي... عرفانا وتقديرا

شكر وتقدير

أتوجه أولاً، بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل الحسين زاوي الذي أشرف على تحضيري لهذه الرسالة، وأمدني بكثير من توجيهاته القيمة، وملاحظاته السديدة. والشكر موصول أيضا للأخوين: الدكتور زين العابدين مغربي والدكتور ثابت قسول على إسهامهما في تخريج هذا العمل وسهرهما على ما يرتبط بالجانب الإداري تحضيرا لمناقشته، ولكل من شجعني من الأقارب والأصدقاء.

مقدمة

يكتسي موضوع اللغة أهمية بالغة في تاريخ الفكر البشري، ذلك لكونها تمثل شرطا ضروريا يؤسس لوجود الفكر بالقوة وتجسيدا فعليا لهذا الوجود في الوقت نفسه. ولا يمكن الخوض مبدئيا في أية مسألة كانت دون وسيلة التعبير عنها ممثلة في اللغة. بل إن كل نشاط بشري يبدو مستحيلا دونها، إنها وسيط بين الإنسان والحقيقة. ولم يكن بالإمكان تاريخيا أن تتشكل المعرفة الإنسانية وتتطور وتنتقل عبر الزمان والمكان إلا بواسطتها. فهي حسب تعبير غادامير الكائن الوحيد القابل للفهم، إنها تمثل بشكل عام وأساسي –إلى جانب الفهم– الخاصيتان الأساسيتان المميزتان لكل علاقة بين الإنسان والعالم.[1] إنها وسيلة التعبير عن كل ما له معنى وما لا ليس له معنى. ولذا نجد أن فيلسوفا مثل لدفيج فيتغنشتاين يختار الصمت في مرحلة ما كلغة لما لا يمكن التعبير عنه، إذ قد يكون" الصمت أعمق دلالة من ثرثرة تغيّب المعنى وتعطل الفهم"[2]، وتكون اللغة بذلك أكثر قدرة على التعبير حتى عن ما هو خفي ومستتر وراء اللغة المنطوقة أو المكتوبة بل إنها وسيلة التعبير عن الصمت ذاته.

لم تخرج اللغة تاريخيا عن دائرة التأمل الفلسفي، إذ لا يخلو عصر من إسهامات تعكس مستوى التطور الحضاري لمجتمع ما، والذي يمكن أن يقاس بدرجة اهتمامه باللغة. وقد تدرج هذا الأخير من حضارة لأخرى عبر مستويات من اللغة الاجتماعية، إلى اللغة النحوية، إلى اللغة المنطقية ثم إلى اللغة الشارحة أو ما بعد اللغة. وقد تجلى هذا الاهتمام أكثر منذ العصر اليوناني خاصة ضمن الجدل السفسطائي والمحاورات السقراطية والأفلاطونية و ضمن أعمال أرسطو اللغوية. وفي الحضارة الإسلامية مثلت اللغة مقدمة أو مدخلا أساسيا لجميع العلوم. وحظيت باهتمام متزايد منذ القرون الوسطى إلى عصر النهضة وصولا إلى جهود فلاسفة اللغة والمنطق في القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

1 – Diego Marconi, La Philosophie du Langage au XXe siècle, traduit par Michel Valensi, Édition de l'Éclat, Paris, 1997, p.12

2- Heidegger, L'être et le temps, Gallimard, 1964, p.203

ولم تعد مجرد موضوع للتأمل والبحث في الأدبيات المعاصرة، بل أضحت وبفعل القفزات المعرفية الكبرى مكونا أساسيا في منهج البحث ذاته. ويمكن القول أن التداخل الذي حصل بين اهتمام متزايد بموضوع اللغة وبين القفزات النوعية في علم المنطق كان عاملا رئيسيا في نشأة وتطور الفلسفة التحليلية المعاصرة بفروعها المختلفة.

وهذا التحول في مكانة اللغة ومركزيتها، يؤكد مدى ما يمكن أن تؤديه من خدمة في التعامل مع القضايا الفلسفية، وقدرتها على الإسهام المتجدد في فهم كثير من قضايا الفكر والواقع وتفسيرها، وفي توجيه مسار البحث الفلسفي والعلمي بما يخدم المعرفة والإنسان. وبدلا من أن تبقى اللغة موضوعا فلسفيا خاصا كبقية الموضوعات عادت لتشكل محورا أساسيا للتفكير الفلسفي، فتحولت مهمة هذا الأخير مع الفلسفات التحليلية كالذرية المنطقية والوضعية المنطقية ومدرستي أكسفورد وكمبردج اللغويتين إلى التحليل المنطقي للغة، وهذا ما عُرف بالمنعطف اللغوي.[1]

وتجدر الإشارة في هذا السياق أيضا إلى الإسهام الذي قدمته بعض العلوم في رسم معالم هذا التحول كعلوم اللغة والمنطق والابستمولوجيا وعلم النفس. ومن الانجازات الفلسفية التي اتسمت بكثير من التأصيل والتجديد في المضمون والمنهج ما قدمه فيتغنشتاين في مجال فلسفة اللغة، إذ تكشف أعماله عن عمق نظرته لحيثيات الموضوع ودقة صياغته لأفكاره التي يخضعها لمراجعة مستمرة ونقد ذاتي. ظلت اللغة تستأثر باهتمام فيتغنشتاين منذ أعماله الأولى خاصة ضمن مؤلفه "رسالة منطقية فلسفية" (1921). وإن كانت تصوراته عن اللغة قد تغيرت لاحقا إلا أنه لم يكن يرى من سبيل لفهم

1 - توجه فلسفي نحو الاهتمام بمسائل اللغة بوصفها الموضوع المحوري للفلسفة والذي من خلاله يمكن أن تعالج بقية الإشكالات الفلسفية. حصل ذلك مع بداية القرن العشرين مرتبطا بالاتجاه التحليلي الذي اعتبر أن الفلسفة هي التحليل المنطقي للغة. نشأ هذا التوجه خاصة في ألمانيا والنمسا ثم انتشر بفعل عوامل تاريخية ليسيطر على الفكر الأنجلو سكسوني.

القضايا الفلسفية إلا بالرجوع إلى اللغة التي صيغت فيها هذه القضايا، وعيا منه أن إشكالات الفلسفة هي بالأساس إشكالات لغوية.

يستثمر فيتغنشتاين معرفته في مجالي الرياضيات والمنطق ليسبر أغوار اللغة ومتاهاتها، معلنا لقارئه في كثير من الأحيان أنه لا ينبغي أن نطمئن إلى ما توصلنا إليه بخصوص هذه المسألة أو تلك، إذ هناك دائما مسلك أو منظور جديد، مثل هذه الخصوصيات جعلت حضوره فاعلا ومؤثرا في دوائر الفكر والثقافة الغربية، خاصة إذا علمنا أن هناك صلات عميقة بين مواقف فيتغنشتاين الفلسفية واللغوية وبين القفزات العلمية الكبرى وكذا التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية في المجتمع الأوربي خلال النصف الأول من القرن العشرين، وأن فيتغنشتاين إنما كان يشخص تلك التغيرات ويؤرخ لها من منظور فلسفي.

لقد نال إرث فيتغنشتاين الفلسفي اهتماما بالغا من قبل الباحثين الغربيين. ومما يبرز تأثيره ومكانته أن أفكاره، خاصة اللغوية لم تنحصر في مجال الفلسفة بل تعدت ذلك إلى حقول أخرى ومنها علوم اللغة. وفي هذا السياق يمكن أن نسجل مدى ارتباط بعض الأبحاث اللغوية المعاصرة لاسيما التداوليات بفلسفة فيتغنشتاين اللغوية. هذا الحقل اللساني الجديد والمتشعب والذي تطور بشكل سريع ونال اهتمام كثير من الباحثين مع النصف الثاني من القرن العشرين رغم حداثته يعود في أصوله إلى فلسفة اللغة وإلى حقول معرفية متباينة كاللسانيات وعلم النفس وعلوم الاتصال، إلا أن الصلة بين التداوليات وبين فلسفة فيتغنشتاين اللغوية تفتقر إلى دراسات تكشف بوضوح عن أصول المقاربة التداولية في فلسفة فيتغنشتاين، وتبحث كيف حصل التحول من الوعي الفلسفي المتميز بطبيعة اللغة الإنسانية وتعقيدات استعمالها عند فيتغنشتاين، إلى محاولات متعددة لتحديد قواعد هذا الاستعمال، انطلاقا من ما ورد في نصوص فيتغنشتاين بشكل صريح أو ضمني. وفي هذا السياق يمكن القول أن التداوليات نشأت وتطورت بفعل اهتمام فلسفي

متزايد بموضوع اللغة، بل إنها ظلت ترتبط في بعض جوانبها بطابع فلسفي. واستجابة لهذا الانشغال فإن جهدنا في هذه المذكرة سيتمحور حول التعريف بهذه الفلسفة ومدى إسهامها في نشأة التداوليات وتطورها، مع التركيز ضمن هذه الأخيرة على ما له علاقة مباشرة بأفكار فيتغنشتاين.

إن إشكالية هذا البحث تدور حول إسهامات فيتغنشتاين في التأسيس للتداوليات ومدى تأثير فلسفته اللغوية في مسار الفكر التداولي خاصة في أعمال رواده مثل أوستن وسيرل وغرايس. وعليه فإن هذه الإشكالية تتأسس استنادا إلى فرضيات يمكن تلخيصها فيما يلي: تتمثل الفرضية الأولى في القول بأهمية أعمال فيتغنشتاين في التأسيس الفلسفي للتداولية من خلال تحليل أهم أفكاره في فلسفة اللغة وكذا من خلال القراءة التي قام بها بعض الفلاسفة مثل أوستن وسيرل وغرايس لأعمال فيتغنشتاين. وبأسلوب آخر هناك – حسب خطة البحث– رابط يصل الطرح الفلسفي لإشكاليات اللغة، وبالتحديد لإشكالية المعنى عند فيتغنشتاين وما آل إليه البحث في هذه الإشكالية عند التداوليين. وما نفترضه هو أن انجازات تداولية بارزة كتلك التي قدمها أوستن وسيرل وغرايس إنما تعود جذورها إلى فلسفة فيتغنشتاين، فانطلاقا من هذه الأخيرة نُحتت المفاهيم والتصورات الأساسية للفكر التداولي الذي تطور سريعا ثم انتقل من أحضان الفلسفة ليصبح – رغم حداثته – من أبرز العلوم اللغوية وأهمها بفعل مركزيته وامتداداته وتقاطعاته مع علوم شتى وبفعل ارتباطه بالممارسة أو بالنشاط الإنساني في شتى مظاهره. وأما الفرضية الثانية فتستند إلى القول بأن حركية الفكر اللغوي وتحولاته من مرحلة لأخرى إنما هي محكومة وموجهة بعوامل أو محددات تمثل خلفية لهذه التجليات، وإلا فإن هذه الأخيرة لن تأخذ معناها ومكانتها الحقيقية في التاريخ، وأن البحث في تلك الشروط الموجهة إنما تمليها طبيعة الموضوع الذي يجعل المعنى محوره الأساسي، وبأسلوب آخر فإن إشكالية المعنى لا

يمكن تناولها في فلسفة ما إلا في صلتها بكثير من القضايا التي تخص هذا العصر أوذاك.

ولمعالجة هذه الإشكالية ارتأيت تقسيم مراحل البحث إلى مقدمة وأربعة فصول ينتهي كل منها بخلاصة مختصرة، وتختزل النتائج أخيرا ضمن الخاتمة. وتتبعت هذه الفلسفة اللغوية بل هذا المنهج التحليلي اللغوي وفق خطة تضمنت فصولا ومباحث على النحو التالي:

المقدمة: تضمنت تقديما لإشكالية البحث وفرضياته الممكنة أو القابلة للإثبات والمنهجية المتبعة ودوافع اختيار الموضوع والهيكل العام للبحث والصعوبات القائمة أو المحتملة أثناء البحث والأهداف المنشودة أو الآفاق المُتوخاة.

الفصل الأول: وهو بعنوان:"في الأصول والمنهج " ويُراد به عرض الجذور الأساسية التي ساهمت في بلورة فلسفة اللغة عند فيتغنشتاين، وهذا ضمن سياق عام يتعلق بنشأة الفلسفة التحليلية مع نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، مع التركيز على تحول هذه الفلسفة إلى منهج لغوي يتخذ من اللغة موضوعا للتحليل المنطقي. وقد تناولت ضمن المبحث الرابع عرضا مختصرا لحياة فيتغنشتاين في علاقتها بأهم الأحداث التي كان له تأثيرا بالغا في مساره الفكري، إلى درجة تؤكد لنا مدى الارتباط بين تلك الأحداث أو التغيرات وبين مواقفه اللغوية وسيجري بيان ذلك بما يكفي لتبرير هذا العرض، ويشمل هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول: المنهج التحليلي

المبحث الثاني: التحليل اللغوي عند فريجه

المبحث الثالث: التحليل اللغوي عند راسل

المبحث الرابع: فيتغنشتاين وفلسفته

المبحث الخامس: التداولية والمنهج التداولي

الفصل الثاني: النظرية التصويرية للغة؛ يعالج هذا الفصل الموقف اللغوي الأول لفيتغنشتاين، انطلاقا من كونه يدخل ضمن مشروع اللغة المثالية الذي أسس له فريجه وراسل. ويشمل المعطيات الأساسية التي تخص النظرية التصويرية وما واجهته من اعتراضات انتهت بتجاوزها إلى موقف جديد. ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول: القضايا والوقائع

المبحث الثاني: الألفاظ والأشياء

المبحث الثالث: المعنى في النظرية التصويرية

المبحث الرابع: أزمة النظرية التصويرية

الفصل الثالث: نظرية ألعاب اللغة وهو فصل مخصص لفلسفة اللغة عند فيتغنشتاين في مرحلة ثانية من تطوره الفكري، انطلاقا من أسسها العامة ووفق ترتيب يسمح بالتعرف على مسارها ومنطقها الجديد. وتُرتب مباحث هذا الفصل على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم ألعاب اللغة

المبحث الثاني: أشكال الحياة

المبحث الثالث: التشابهات الأسرية

المبحث الرابع: الاستعمال اللغوي

الفصل الرابع: التداولية من فيتغنشتاين إلى غرايس؛ يتضمن هذا الفصل عرضا لبعض النظريات التداولية التي استلهمت أفكار فيتغنشتاين ومنهجه. ويبدأ الفصل بمبحث يحدد ويوضح منطلقات التداولية في فلسفة فيتغنشتاين اللغوية، ويتم ذلك استنادا للفصول السابقة أما المباحث اللاحقة فتتناول بالتحليل بعض النظريات الرائدة في الحقل التداولي، والتي عالجت قضايا اللغة انطلاقا من إنجازات فيتغنشتاين.

المبحث الأول: تداولية فيتغنشتاين

المبحث الثاني: أفعال الكلام عند أوستن

المبحث الثالث: سيرل ونظرية الأفعال اللغوية

المبحث الرابع: منطق الحوار عند بول غرا يس

الخاتمة: وتتضمن نتائج البحث بما يمكن أن يخدم الإشكالية المطروحة ويحقق أهداف البحث، مع إبراز ما يصل بين فصوله من أفكار أساسية تمثل الخيط الواصل بين إشكالية البحث وخاتمته.

أما المنهج المتبع في هذا البحث فهو تحليلي نقدي بدرجة أولى لكونه أنسب لطبيعة الموضوع. فهو تحليلي أثناء عرض مواقف فيتغنشتاين اللغوية وتلك المواقف التداولية المرتبطة من خلال الوقوف على منطلقات هذا الرأي أو ذاك، ونقدي في سياق إبراز الشروط الموجهة له والإخفاقات التي اعترضته. ولكن ذلك لا يحول دون توظيف المنهج المقارن والمنهج التاريخي في سياقات محدودة، وذلك لأن إثراء وتوضيح بعض جوانب الموضوع وبعض تمفصلاته يتطلب أحيانا تعديلاً في المنهج.

أما فيما يتعلق بالدراسات السابقة باللغة العربية عن فلسفة فيتغنشتاين بشكل عام وعن فلسفته اللغوية بشكل خاص فإنها محدودة جدا، بل تكاد تنعدم مقارنة باهتمامات المفكرين والباحثين العرب بفلسفات أو مواضيع فلسفية أخرى. ويمكن تلخيص أهمها فيما يلي:

1- " لدفيج فيتغنشتاين " (1967) تأليف عزمي إسلام، يتناول فلسفة فيتغنشتاين بشكل عام مركزا على المرحلة الأولى منها وبطريقة تحليلية مكتفيا بالوصف أو السرد دون النقد.

2- المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فيتغنشتاين (1986)، لمحمد مجدي الجزيري. ويعالج هذا الكتاب إشكالية اللغة عند فيتجنشتين، مركزا على نظرية ألعاب اللغة وموظفا لمفاهيم هذه النظرية قصد إبراز الصلة بين أفكار فيتغنشتاين وبين بعض الفلسفات المعاصرة كالبرجماتية والوجودية.

3-لدفيج فيتغنشتاين (1993)، لمؤلفه كامل محمد محمد عويضة وهو كتاب جد مبسط للمبتدئيين لا يلبي حاجة الباحثين.

4- المنطق واللغة والمعنى(2005)، للدكتور رشيد الحاج صالح، ويعالج هذا الكتاب إشكالية المعنى عند فيتغنشتاين وذلك في صلتها بأفكاره المنطقية.

5- فلسفة اللغة عند فيتغنشتاين (2009)، للدكتور جمال حمود وهو بحث مفصل ومفيد عن فلسفة فيتغنشتاين اللغوية في المرحلة الأولى لكنه لا يتناول انجازاته اللغوية في المرحلة الثانية، فالعنوان يشير إلى أكثر مما يتضمنه الكتاب.

أما في الأدبيات الغربية لا سيما بالنسبة للعالم الأنجلوسكسوني، فإن فلسفة فيتغنشتاين تُحظى بجاذبية قصوى واهتمام بالغ، إلى درجة يصعب فيها حصر تلك الدراسات التي تتناول هذه الفلسفة بشكل عام أو تعالج جانبا من جوانبها كموضوع اللغة مثلا. وبالرغم من ذلك فإنها – حسب اطلاعي- لم تقدم بحثا متكاملا يتمحور حول مدى مساهمة فيتغنشتاين في التأسيس الفلسفي للتداولية.

لقد جاء اختياري لمقاربة فيتغنشتاين اللغوية ودورها في التأسيس للتداوليات بدافع الاهتمام الخاص بفلسفة فيتغنشتاين اللغوية وما يمت لها بصلة مما تطرحه حقول معرفية أخرى كاللسانيات والمنطق ونظرية المعرفة. ولا ينطوي هذا الاهتمام على انتماء لمذهب معين أو الدعوة إليه كما أنه لا يعبر عن سعي لمعارضته أو الثورة عليه، إذ لا يوجد ما يفرض التعامل مع المواقف الفلسفية على هذا الأساس.

ويأتي هذه الإسهام استجابة لحاجة ملحة تتمثل فيما تعانيه الدراسات العربية من نقص في مجال الفلسفات التحليلية المعاصرة عموما وفلسفة فيتغنشتاين على وجه التحديد، خاصة ما يتعلق بفلسفته المتأخرة أو ما يرتبط بالمرحلة الثانية من تطوره الفكري والتي تلخصها كتاباته خلال الثلاثينات والأربعينات وقبيل وفاته.

وما ينبغي الاعتراف به منذ البداية هو انطواء الموضوع على كثير من الصعوبات، فأسلوب فيتغنشتاين مكثف مختزل وأفكاره سواء في مرحلته الفلسفية الأولى التي تلخصها رسالته المنطقية الفلسفية أو الثانية التي يلخصها مؤلف تحقيقات فلسفية هي كالنتائج

المترتبة عن تأملات عميقة، إذ يظل القارئ متسائلا عن المقدمات التي أفضت إليها، وعن الكيفية التي رتبت وفقها تلك المقدمات. ولا يغيب عنا في هذا الشأن اعتراف كثير من الفلاسفة والباحثين من مثل رسل ومور، بلانشارد، رامزي (أحد مترجمي الرسالة)،ج.بتشر، ش.ماكسويل[1] مورتون وايت،[2] بما تنطوي عليه فلسفة فيتغنشتاين من صعوبات وتعقيد يحول دون فهمها بوضوح. ويمكن رد ذلك إلى عدة أسباب لعل أولها هو عدم رد هذه الفلسفة إلى إطارها العام ونسقها الذي نشأت وتشكلت فيه وإلى عدم رصد القواعد الفكرية والمنهجية التي كانت توجه مفاهيم هذه الفلسفة وتصوراتها وتثري باستمرار تجربة فيتغنشتاين الفريدة من نوعها.

ومن مظاهر الصعوبة أيضا توظيف الرموز والمفاهيم والأمثلة والأفكار العلمية الرياضية والمنطقية بشكل متداخل، بل يحصل هذا التداخل مع علوم أخرى كالفيزياء والكيمياء واللسانيات وعلم النفس ومناهج العلوم، الأمر الذي يتطلب –ما أمكن ذلك– إلماما بهذه الحقول المعرفية. وهناك عائق آخر، يرتبط بمشكلة الترميز وتعدد الاصطلاحات والاستخدام الخاص من قبل فيتغنشتاين للمفاهيم، والذي يتغير أحيانا من سياق لآخر،كل ذلك أدى إلى تباين الرؤى بين المترجمين والباحثين، وكثيرا ما كانت نتيجة ذلك فهما خاطئا لبعض أفكار فيتغنشتاين إلى درجة جعلت البعض يقدم تفسيرا يتعارض أحيانا مع ما أراده، كما عبر عن ذلك فيتغنشتاين نفسه، وسيرد بيان ذلك لاحقا في بعض الأمثلة. وإذا علمنا أن كثيرا من النصوص التي يمكن العودة إليها إنما هي من جمع تلامذته وبعض شراحه فإن هناك صعوبة أخرى يلخصها السؤال التالي: هل نحن

1 - فيتغنشتاين، لدفيج، رسالة منطقية فلسفية، ترجمة: عزمي إسلام، مراجعة وتقديم: زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ص-ص.13-10

2 – مورتون وايت، عصر التحليل: فلاسفة القرن العشرين، ترجمة أديب شيش، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975، ص.247

حقا أمام النص الأصلي؟ هذه الوضعية الخاصة لإرث فيتغنشتاين جعلته أحيانا ضحية القراءات والتأويلات المتناقضة.

لقد وجدت من بين الباحثين من ذهب إلى القول بأن فيتغنشتاين فيلسوف عدمي مثل يحي هويدي الذي صنفه ضمن فلاسفة الوضعية المنطقية واعتبر أن غرض فيتغنشتاين هو إعدام المادة وإنكار وجودها.[1]

ومن الصعوبات التي اعترضت هذا البحث كون أعمال فيتغنشتاين غير معربة باستثناء" رسالة منطقية فلسفية" (1968) و"أبحاث فلسفية" (1990) الذين ترجمهما الدكتور عزمي إسلام، بالإضافة إلى كتاب " في اليقين" (2004) الذي ترجمة الدكتور أحمد بهنسلي. لكن هذه الترجمات لا ترقى إلى المستوى المطلوب في تعاملها مع النص الأصلي. وبخلاف ذلك قدم الدكتور عبد الرزاق بنور مؤلف "أبحاث فلسفية" معربا بشكل أدق ومزودا بشروح قيمة تحت عنوان "تحقيقات فلسفية"(2007). وقد ساعدني الرجوع إلى هذه الترجمة الأخيرة على التحقق من معاني كثير من العبارات حيثما طُرح الالتباس. واستنادا لهذه الترجمة جاء اختيار لفظ " تحقيقات " وذلك لكونه أقرب للمعنى المقصود باللفظ المستخدم في النص الأصلي بدلا من " أبحاث". ومن صعوبات البحث في هذا الموضوع ندرة المراجع العربية التي تلم بدقة وشمولية بفلسفة فيتغنشتاين مما قد ييسر تناول الموضوع وتوجيه مسار البحث، مما اضطرني للرجوع للنصوص الأصلية، إذ أنه لا يتوفر في المكتبة العربية عمل يلم بمختلف أعمال فيتغنشتاين إلماما كافيا، خاصة بكتاباته المتأخرة التي جمعها تلامذته والتي تشكل في مجموعها انجازا نوعيا غزيرا يتجاوز أعماله الأولى كما وكيفا.

[1]– يمكن العودة لكتاب يحي هويدي تحت عنوان الوضعية المنطقية في الميزان، مكتبة النهضة المصرية، 1971 /1972

والصعوبة في قراءة فيتغنشتاين، خاصة فيما يتعلق بفلسفته الأولى مرتبطة بطبيعة فكره وطريقة عرضه. إنه فكر منعكس يتناول ذاته كموضوع، إذ يهتم بآليات أو قواعد ما يمكن التفكير فيه وشروط ما يمكن قوله، أي أنه لا يعالج موضوعا جزئيا محددا وإشكالا فرعيا، بل هو في مستوى من التجريد والتعالي والشمولية، حيث تصبح الموضوعات الفلسفية مجرد أمثلة توضيحية. أي أنه يؤسس للعلم والفلسفة أو يؤسس للمعرفة بشكل عام مسترشدا بأهم إنجازات العلم، وإن لم يعبر عن ذلك بشكل صريح. فيقيم بذلك منطقا فلسفيا له من الأسبقية والشمولية ما يجعله أساسا للمعرفة، فالبحث في شروط ما يمكن التفكير فيه وما يمكن قوله بوضوح هو تأسيس للمعنى والحقيقة أو بحث في بناء الحقيقة. وبالرغم من المنحى الواقعي الذي تتخذه أفكاره اللغوية في المرحلة الثانية فإنها سرعان ما تتجاوز التجربة اللغوية التي يجسدها الاستعمال إلى التعميم والتجريد موغلة بذلك في التنظير الفلسفي.

إن هذا البحث يهدف بالدرجة الأولى إلى المساهمة في إيجاد الإجابة عن الإشكال المطروح. وكذا إلى تقديم قراءة متكاملة قدر الإمكان لجانب من جوانب الفكر اللغوي المعاصر في مظهريه الفلسفي والعلمي. بل في ارتباطات هذا الفكر اللغوي بشروط علمية وتاريخية وسياسية متباينة. أي أن المبتغى هو تشكيل نظرة متكاملة ترسم خيوط التواصل والوحدة لهذا الفكر اللغوي بالرغم من مظاهر التنوع والتباين التي تميز هذه النظرية عن تلك في حقول معرفية مختلفة. وهذا للتأكيد على أن تصنيف هذه الأخيرة إنما جاء لاعتبارات منطقية ولأجل تحقيق مقاصد كالتبسيط والوضوح والفهم. وإذا لم يكن بالإمكان إعادة النظر في المعرفة من زوايا مختلفة آخذين بعين الاعتبار المستجدات والتطور الحاصل في كل منها. فإن جهودنا لا تنتهي إلا إلى عزل مستمر للمسائل العلمية والفلسفية على حد سواء وإلى حصر المواقف والنظريات في نطاق ضيق يُفقدها إلى حد

ما معقوليتها ومبررات وجودها. فتفقد بذلك قيمتها، بل إن مشروعيتها تغدو في ظل التحولات مطروحة بين قوسين.

إن البحث عن مجال التداخل والتفاعل بين أعمال فيتغنشتاين اللغوية والتداوليات كنموذج للربط بين مجالين قد يبدوان للوهلة الأولى متمايزين أو متباعدين من شأنه أن يسمح بفهم أعمق وأوسع لكل منهما. وموقفنا هنا أن القراءة التجزيئية والتفصيلية التي تأخذ موضوعات الفكر اللغوي المعاصر بمعزل عن بعضها البعض وبمعزل عن سياقاتها يعيق إلى حد كبير فهم تلك الانجازات واستثمار نتائجها. هذا بالرغم مما يمكن أن تقدمه هذه القراءات أحيانا من خدمات. وتطمح هذه المقاربة إلى استثمار أهم تلك النتائج في تفكيك وفهم بعض المسائل ذات الارتباط الوثيق باللغة، إذ أن بعضا من مشاكلنا الراهنة، خاصة على المستوى السياسي والاجتماعي وكذا التعليمي والتربوي، هي مشاكل لغوية بامتياز. وهنا يصبح من المشروع أن نتساءل ما إذا كان التفكك الاجتماعي والسياسي في مجتمعاتنا نتيجة لأسباب أهمها سوء الاستخدام اللغوي والجهل بشروط وآليات التواصل الناجح الذي يمكننا أن نبني ونعزز الثقة بين الأفراد والمؤسسات والمجتمعات. وهذا يدعو لزاما إلى ضرورة استثمار جهودنا وإمكانياتنا لوضع حلول أنسب كي نتجاوز فعليا ما يحول بيننا وبين الشروط الموضوعية للتواصل البناء تحقيقا للتعايش والتطور. ويمكن لهذا التوجه أن يعكس البعد التداولي لتلك الأفكار ويعبر عن إمكانية توظيفها بما يخدم الإنسان.

إن البحث عن الشروط الفاعلة والموجهة للفكر اللغوي من شأنه أن يعمق فهمنا لتلك الانجازات اللغوية ويمكننا من الوقوف على مختلف الروابط بينها، مما يسمح بفهم أعمق لها وبرصد قيمتها ومكانتها. ويقتضي ذلك أن نأخذ بعين الاعتبار السياق العام الموضوع ومجموع تلك الشروط المؤثرة في تطور فلسفة فيتغنشتاين اللغوية.

لقد آثرت أن أطرح هذه المحاولة مساهمة في توضيح بعضٍ مما خشي فيتغنشتاين أنه سيُساءُ فهمُه. ولا أدعي أنني سلكت الطريق الأنسب إلى معالجة هذا الإشكال، أو أنني استوفيت الموضوع حقه، بل أتوقع أن في هذا العمل بعض الإخفاق وربما كثير من النقائص، إلا أن اكتشافها سيدفعني لا محالة إلى مزيد من البحث. وشعاري في ذلك قول هانز رايشنباخ: " على من يريد الحقيقة ألا يخيب أمله عندما تكون الحقيقة سلبية، فخير للمرء أن يعرف حقيقة سلبية من أن يطلب ما يستحيل قبوله".[1]

[1] ـ رايشنباخ، هانز، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1979، ص. 281

الفصل الأوّل:

في الأصول والمنهج

1. المبحث الأوّل: المنهج التحليلي
2. المبحث الثاني: التحليل اللغوي عند فريجه
3. المبحث الثالث: التحليل اللغوي عند راسل
4. المبحث الرابع: فيتغنشتاين وفلسفته
5. المبحث الخامس: التداولية والمنهج التداولي

المبحث الأوّل:

المنهج التحليلي

إن البحث في التأسيس الفلسفي للدرس التداولي لا يمكن أن يتم دون الرجوع لعامل فاعل ومحدد لنشأته والمتمثل أساسا في الفلسفة التحليلية، حيث طرحت هذه الأخيرة نفسها بوصفها ممارسة أو منهجا لا يُرادُ به وضع نظريات شاملة للقضايا، وإنما يهدف إلى تبسيط هذه القضايا وتوضيحها من خلال تحليل اللغة. وقد مكن هذا المنهج التداوليين من الخوض في موضوع اللغة انطلاقا من منظور جديد، وهذا يعني ضمنيا وجود مصادر أخرى للدرس التداولي لا يمكن إن تنكر. كما يعني أيضا أن الطريقة التحليلية كما صاغها خاصة كل من فريجة وراسل ومور وفيتغنشتاين هي المصدر المباشر الذي انبثقت منه التداولية. ومن هنا اقتضى الأمر الوقوف على ما يمكن أن يشكل رابطا أساسيا وخطا واصلا بين مرحلة التأسيس ومرحلة النشوء والتشكل للدرس التداولي انطلاقا من المنهج التحليلي.

يأخذ مفهوم " التحليل " معان عديدة، يرتبط بعضها بالتفكيك أي تحويل الكل إلى أجزائه البسيطة، ويرتبط بعضها بفكرة الحل[1] أي البرهنة على صحة قضية، وذلك استنادا إلى سلسلة من القضايا أو المقترحات تفضي في مجموعها إلى النتيجة المطلوبة، حيث يكون الانتقال إلى قضية جديدة لزوميا لتصبح النتيجة محصلة ضرورية لما سبقها. والتحليل بشكل عام هو تحويل الكل المركب الذي يشكل موضوع التحليل إلى أجزائه البسيطة أو النهائية حتى يغدو هذا الأخير أكثر وضوحا وبساطة ومعقولية. وتختلف أنواع التحليل تبعا للموضوع المحلل والطريقة التي يتم بها التحليل والأغراض التي توجهه. وتتباين دلالته من مجال معرفي إلى آخر، ومن سياق لآخر. إنه " تفكيك كل معين إلى

1 - لالاند، أندري، معجم مصطلحات الفلسفة التقنية والنقدية، المجلد الأول، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثانية، 2001، ص–ص. 64، 65

أجزائه، سواء كان هذا التحليل ماديا كالتحليل الكيميائي أو ذهنيا كتعريف وتحليل تصور معين".[1]

ويظهر التباين في مفهوم التحليل ضمن سياقات متعددة كعلم النفس وعلم الاجتماع والأدب بل وفي العلوم المادية والصورية أيضا. ففي مجال الرياضيات مثلا، هناك أكثر من دلالة تاريخية لمفهوم " التحليل "، وهذا يعني أنه من الصعوبة حصر جميع المعاني. كما أن سياق البحث لا يتطلب الخوض في مختلف التعريفات. وفي مقابل التحليل، هناك ما يعرف بالتركيب، أي التأليف بين الأجزاء لتشكل كلا مركبا له معنى، والفكر الفلسفي هو تركيبي، بمعنى أنه يتجه إلى البحث عن حقيقة الأشياء بردها إلى حقيقة مشتركة واحدة أو أصل أو مبدأ يفسر وجودها ونظامها، أي أن فهم نظام الأجزاء يتم من خلال نظام الكل.

ومن الملاحظ أنه من غير الممكن فصل التحليل عن التركيب بشكل تام، خاصة إذا أخذنا التحليل بالمعنى الذي ذكر أولا. فقد ذهب كوندياك ,Bonnot de Condillac Étienne (1714–1780) إلى أن عملية التفكيك أي التحليل تشمل التركيب، لأن غرض التحليل هو الكشف عن النظام الثابت بين الأجزاء، فهو لا يخرج عن إطار الروابط القائمة بينها. بهذا المعنى يمكن القول عن جمهورية أفلاطون أنها تعد تحليلا لفكرة المجتمع العادل لكنها في نفس الوقت تمثل تركيبا فكريا لمجتمع عادل، وفي نفس السياق يمكن أن نفهم لماذا جمع روني ديكارت (1595-1650) في قواعده الأربعة بين التحليل والتركيب(القاعدة الثانية والثالثة).[2]

ورغم أن فلسفة ما قد توصف بأنها تحليلية، فإن ذلك لا يعدو أن يكون تعبيرا عن الطابع الغالب فيها، وهذا ما ينطبق على الفلسفة التحليلية المعاصرة. فمن المجازفة إجراء

1 - Lalande , André , *Vocabulaire Technique et Critique de Philosophie,* P.U.F.,France, 17ème éd.,1991, p.54

2 - عثمان أمين، ديكارت، مكتبة القاهرة، ط5، 1965، ص. 72

تصنيف آلي كذلك الذي أقامه الجابري مثلا بين عقل عربي مشرقي تركيبي وبين عقل مغربي تحليلي، أو كذلك الذي رآه أرنست رينان Ernst Renan (1823– 1892) بين عقل شرقي تركيبي وعقل يوناني غربي تحليلي.

ارتبط التحليل تاريخيا بالفلسفة بوصفه من أهم خصائص التفكير الفلسفي، إذ لا يمارس هذا الأخير دون تحليل. وتقدم لنا محاورات أفلاطون سقراط بوصفه المؤسس لهذا المنهج، خاصة القسمة الثنائية الأفلاطونية التي نجدها في محاورة السفسطائي وبارمنيدس والسياسي، وينشأ عن هذه القسمة منهج التحليل ثم التركيب، إنها تجعل الفكر أكثر توجيها وتسمح بتحقيق الدقة والوضوح وتصلح أساسا للبرهنة على المطلوب بحذف العناصر الزائدة والغريبة، هذا الاختزال الذي يعرف في الفلسفة حديثا بنصل أوكام.[1]

وبعد أفلاطون، يوظف أرسطو التحليل في أكثر من سياق، خاصة في نظريته المنطقية، ففي التحليلات الأولى يهتم بتحليل القياس إلى ما ينطوي عليه من قضايا وفي التحليلات الثانية يهتم بتحليل البرهان إلى عناصره البسيطة. وتكمن قيمة التحليل من خلال رده لما يمكن معرفته من ظواهر أو حقائق إلى ما هو أبسط أي إلى المبدأ أو المنطلق المؤسس للمعرفة، يظهر ذلك من خلال ما ينتهي إليه التحليل عند ديكارت مثلا وهو مجموعة الطبائع البسيطة التي يدركها العقل مباشرة وبوضوح تام كالبديهيات الرياضية، أو عند دافيد هيوم وجون لوك وهو مجموعة الانطباعات الحسية. وينتهي التحليل عند سبينوزا إلى مجموعة من العناصر البسيطة التي يبنى الكون انطلاقا منها.[2]

أما بالنسبة لـ: غوتفريد ليبنز Gottfried Wilhelm von Leibniz (1646- 1716) فقد قاده التحليل إلى القول بالذرات الروحية أو الموندات اللامادية[3] والتي لا تقبل القسمة ولا

1 – نسبة إلى وليام الأوكامي William d'Ockham (1287–1347) فيلسوف انجليزي ذو نزعة اسمية تجريبية، يقوم منهجه على مبدأ الاقتصاد في الفكر إذ لا يجب الإكثار من الكيانات إلى الحد الذي يتجاوز ما تدعو إليه الحاجة ويذهب برتراند راسل كثيرا إلى تحكيم هذا المبدأ.

2- Spinoza, *Ethique*, PUF, Paris, 2010, p. 21

3 - Leibniz, G.W., *Nouveaux Essaies sur l' Entendement Humain*, PUF, Paris, 1961, p.107

الفناء ولا شكل لها. وهي بالتالي أبعد من أن تكون موضوعا للعلم الطبيعي.[1] لكن أهم ما يميز أعمال ليبنتز بعد ذلك هو ربطه التحليل بالمنطق مما يعني تاريخيا تأسيسه لمنهج التحليل المنطقي، إذ نجد أن ليبنتز هو أول من حاول صياغة المعرفة صياغة منطقية رمزية لجعلها أكثر دقة ووضوحا، ودعا إلى استخدام لغة موحدة وشاملة، معتبرا أن الخلافات الفلسفية ستظل قائمة ما لم نوظف منهجا تحليليا منطقيا صارما، ولكنه مع ذلك لم يقصد تحويل الفلسفة إلى تحليل صوري للمعرفة.

بينما نجد أن الكانطيين المحدثين أنصار مدرسة ماربورغ هم من دعوا إلى جعل الفلسفة منطقا للعلم، كما أن عدة فلاسفة مثل فرنتز برينتانو Brentano Franz(1838-1917) ومينونغ Alexius Meinong(1853-1920) وتفاردوفسكي Twardowski, Kazimierz(1866-1938) قد حاولوا توظيف هذا المنهج في مجال الفلسفة. غير أن اعتماده بشكل أوسع جاء بعد التطورات الحاصلة مع نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م وبالتحديد في مجالي الرياضيات والمنطق. ويعود ذلك خاصة إلى جيورج كانتور Georg Kantor (1845-1918) وغوتلوب فريجه Gottlob Frege (1848-1925) وج. بيانو Peano, Giuseppe (1858 -1932) وراسل برتراند Russell Bertrand (1872-1970).

لقد اتخذ هذا المنهج في مجال المعرفة، لتوضيح وتحديد معاني الكلمات والعبارات. ويتحقق ذلك من خلال إعادة صياغة وتحويل هذه العبارات إلى أخرى أكثر بساطة ووضوحا ودقة وأنسب لتأدية المعنى المقصود. إن سوء الفهم المتعلق باستخدام الكلمات إنما ينتج خاصة عن " تماثلات معينة بين صور التعبير في المجالات المختلفة للغة ويمكن إزالة بعضها باستبدال إحدى صور التعبير بأخرى وهذا يمكن أن يسمى تحليلا لصور تعبيرنا".[2]

1 - Leibniz, G.W., *Principes de la nature ou Monadologie*, PUF, Paris, 1986, Intro., p.1

2 - فيتغنشتاين، لدفيج، تحقيقات فلسفية، ترجمة :عبد الرازق بنور، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، § 109، ص. 195

ومهما يكن الغرض من التحليل فإنه يمثل الفلسفة أو هو الفلسفة بأكملها "[1] وهذا ما يؤكده آير Ayer Alfred Jules (1910-1989) معتبرا أن التحليل هو جوهر الفلسفة.[2]

والحقيقة أنه يمكننا أن نكشف عن الطابع التحليلي في جميع الفلسفات، بالرغم من اختلافها في توظيف التحليل كمنهج. والفلسفة التحليلية المعاصرة ابتداء من راسل ومور George Edward Moore (1873-1958) وفيتغنشتاين إلى فلاسفة الوضعية المنطقية، ترفض أن تكون وظيفتها بناء وجهة نظر شاملة أو وضع تفسير عام للحياة والوجود ينير العلم والفن والأخلاق والدين والسياسة. لكونها – في نظر هؤلاء – ليست فرعا أعلى من فروع المعرفة وأداة لنقد الثقافة أو بديلا للدين. وباستثناء راسل فإن "معظم فلاسفة التراث التحليلي المنطقي ينفرون من معالجة مسائل الحياة العامة والخاصة، والمشكلات الثقافية والتطبيقية. وكأنها ليست مما يعني الفلسفة "[3]. إذن، كيف تتعامل الفلسفة التحليلية مع الإشكالات الفلسفية؟ خاصة تلك الإشكالات الأساسية التي تطرحها الفلسفة، والتي تدعونا إلى الإجابة عنها بطريقة نسقية، مما يجعلنا في نهاية المطاف نتبنى ولو بشكل غير مباشر موقفا شموليا وميتافيزيقيا من الحياة ؟

إن الفلسفة التحليلية تجيب عن الأسئلة من خلال إيضاحها للغة التي صيغت فيها هذه الأسئلة. أي أنها تعمد إلى " تحليل العبارات المركبة وردها إلى عناصر أكثر سهولة وأكثر تأسيسا كما يصار إلى فحص دلالات المفاهيم والقضايا، هذا إلى جانب تفحص مضمون النص الذي استخدمت فيه. يهدف التحليل إلى البحث عن أسس البرهان وعن

1 - زكي نجيب محمود، نحو فلسفة علمية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1980، ص. 14

2 - Ayer (A. J.), *Langage, Vérité et Logique*, traduit par Joseph Ottana, Flammarion, Paris, 1981, p.66

3- مورتون، وايت، مرجع سابق، ص. 15

تحديد شكل صلاحيته."[1] إن موضوع التحليل هو مجال اللغة، والهدف ليس هو اكتشاف حقائق جديدة أو توسيع المعرفة، بقدر ما هو توضيح ما نملك من معرفة وتحاشي سوء الفهم الذي يسببه الغموض اللغوي وجهلنا بمنطق اللغة. ومع جلبرت رايل Gilbert Ryle (1900-1976) يمكن القول:"يجب...على الاعتبارات الفلسفية...ألا تزيد في معارفنا، بل عليها أن تصحح الجغرافيا المنطقية لهذه المعرفة ".[2]

ومن أجل القيام بهذه المهمة الجديدة للفلسفة، وجد رواد التحليل المعاصر أن هناك أداة فعالة ونموذجية هي المنطق الرمزي أو الرياضي المعاصر، فمفاهيمه وقواعده التي تتميز بالدقة والصرامة كفيلة بتخليص اللغة مما فيها من غموض، وبالتالي يمكنها تحرير العقل مما يقيده من أفكار ظل الإنسان يعتقد بصحتها منذ القديم، بل أحيانا بصدقها المطلق إيمانه بهذا الأخير.ومن هنا جاء إسناد صفة "منطقي" للمنهج المتبع تمييزا له. وكانت نتائج توظيف هذا المنهج منذ البداية قيمة ومثيرة في آن واحد، وخاصة مع فريجه وراسل وجورج مور. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، أي عند اعتبار " التحليل المنطقي " مجرد منهج، بل صار هو الفلسفة ذاتها، وبهذا يتخذ مفهوم الفلسفة دلالة تاريخية جديدة تبعا لما تمليه المستجدات الحضارية ومستوى التطور العلمي. وفي ظل هذه المعطيات الجديدة، أصبحت الفلسفة هي التحليل المنطقي لقضايا اللغة.

لقد ذهب اهتمام فيتغنشتاين بمنهج التحليل إلى القول بأن " الفلسفة كلها عبارة عن تحليل للغة "[3] وأن" موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار، فالفلسفة ليست نظرية من النظريات بل هي فاعلية، ولذا يتكون العمل الفلسفي أساسا من توضيحات، ولا تكون نتيجة الفلسفة عددا من القضايا الفلسفية إنما توضيح للقضايا، فالفلسفة يجب أن تعمل

1 – كونزمان، بيتر وآخرون، أطلس الفلسفة –DTV، ترجمة: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، الطبعة الأولى، بيروت، 2001، ص. 219

2– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3– فيتغنشتاين، لدفيج، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة4.0031، ص. 83

على توضيح وتحديد الأفكار بكل دقة، وإلا ظلت تلك الأفكار معتمة ومبهمة "[1] والغرض ليس هو الكشف عن المضمون المعرفي لهذه الأفكار بل تحديد بنائها أو هيكلها المنطقي، مما يسمح بتحديد الروابط بين محتوياتها، فيتضح ما إذا كانت معقولة أو منطقية أم غير ذلك.

إن كثيرا من عبارات اللغة توهمنا بأنها تحمل معان، في حين أنها ليست كذلك. ومثال ذلك أن تنطوي عبارة ما على كلمة لا تشير إلى شيء في خبرة الإنسان، مثل كلمة "جوهر" أو أن تنطوي على ألفاظ لها دلالاتها الواقعية وتركب وفقا لقواعد نحوية لكنها لا تخضع للقواعد المنطقية مثل" العقل عنصر". إن القضايا الزائفة أو أشباه القضايا تخالف نحو المنطق مثلا:"إن اللاشيء نفسه لا يتشيأ"[2] والأسئلة التي تطرحها الفلسفة هي من قبيل(هل العدد مقدس؟) مثل هذه الجمل لا تحمل أي معنى لأن فيها خرق لقواعد المنطق.

وكشف توظيف التحليل أن كثيرا مما اعتبره الفلاسفة على أنه إشكالات تتطلب البحث عن إجابة، ليس في حقيقته إلا سوء استخدام لعبارات اللغة. ولذا فعبارات الفلسفة التقليدية السابقة للفلسفة للتحليلية عبارات زائفة ومضللة. "ولا عجب إذا عرفنا أن أعمق المشكلات ليست في حقيقتها مشكلات على الإطلاق".[3] إن منهج فيتغنشتاين التحليلي في فلسفته الأولى يقترب من منهج أستاذه برتراند راسل ومن فكرة مور القائلة بأن وظيفة الفلسفة الأساسية هي " التحليل التدريجي والتفصيلي ونقد وتوضيح الأفكار التي يمكن

1- المصدر السابق، العبارة: 4.112، ص. 91

2 – مور، ا.ج، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، تعريب وتقديم: نجيب الحصادي، الدار الجماهرية، الطبعة الأولى، 1994، ص.154

3 – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة: 4,003، ص. 83

عدها أفكارا غير متميزة ".[1] ويمكن أن نلاحظ التحول الحاصل في منهج التحليل المنطقي، فقد صار غاية أكثر منه وسيلة. ولم يعد من المهم ما يمكن الحصول عليه من النتائج، بقدر ما يهم الطريقة المتبعة. إن الاهتمام المتزايد بتوظيف الرموز والقواعد المنطقية قد حول الفلسفة لا إلى فاعلية فاعلة وديناميكية، بل إلى فلسفة مغلقة وميكانيكية، محكومة بمنطلقات لا يمكن تعديها. وبقدر ما كانت اللغة أكثر وضوحا وموضوعية بقدر ما كانت أسيرة قوالب المعاني الثابتة والجامدة، وبالتالي بعيدة عن الواقع المتحرك وعن شعور الفاعل الذاتي نفسه.

وإذا كان الغرض من التحليل هو التمييز بين ما له معنى وما ليس له معنى فإن ذلك يدل، حسب منطلقات هذا الموقف، على أن المعنى مرتبط بأحد الطرفين: أي بالجمل التحليلية والتركيبة وليس بالطرف الآخر (الجمل الفارغة أو أشباه الجمل). لكن كيف أمكن الحكم على أن الطرف الثاني ليس له أي معني ؟ إذ لابد أن ينطوي هذا الحكم على إقرار بوجود معنى معين وهو (الخلو من المعنى أو مخالفة نحو المنطق)، وبالتالي يقع هذا الحكم في نوع من التناقض.

وإذا كان الوضوح ميزة عامة أو شرطا ينبغي تحقيقه بالنسبة لجميع الجمل، فإن المعنى سيكون أشبه بالخلفية أو الإطار الذي يحوي ما له معنى وما ليس له معنى، بحيث أن ميزة واضح تمثل(له معنى).وغير واضح تمثل(ليس له معنى). وهذه المطابقة بين الوضوح والانطواء على معنى معين هي ذاتها ليست واضحة.

وستكون النتيجة حسب هذا الطرح هي أننا لا نسعى لطلب ما له معنى وإنما يهمنا ما هو واضح، فنحن إذن لا نطلب الحقيقة، وإنما نسعى إلى ما هو أشمل منها أو إلى ما هو خارج مجالها، هذا إذا اعتبرنا أن الوضوح يتعلق بالموضوع. أما إذا كان مرتبطا

1- الجابري، محمد عابد، مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز دراسات الوحدة العربية،الطبعة الخامسة، بيروت،2002، ص. 103

بالذات العارفة، أي العقل، فهذا افتراض لا يتسق مع الطرح الذري المنطقي. أما الحالة الثالثة فهي أن يكون الوضوح نتيجة التقاء بين الذات والموضوع أو تفاعل ديناميكي بينهما، عندها لن نكون بحاجة إلى قواعد ثابتة يمليها المنهج على الموضوع. ينبغي إذن أن لا يكون طلب الوضوح مبررا لإخضاع ما له معنى وما هو حقيقي بهذه الطريقة لمعيار الوضوح، وإن كنا لا ننكر أن الوضوح هو مما ينبغي أن يوصف به ما له معنى كما أن ما لا يحمل معنى قد يكون واضحا.

إن الحكم بأن جميع القضايا الميتافيزيقية لا معنى لها قد تم استنادا لعملية استقرائية وانطلاقا من حالات أو أمثلة معينة كتلك التي ينتقيها بعض الوضعيين مثل رادولف كارناب Rudolf Carnap(1891-1970) من كتابات هيدغر Heidegger, Martin[1] (1889-1976). والسؤال الذي يطرح هنا، هل هناك مشروعية لهذا التعميم ؟ إذا كانت بعض القضايا الميتافيزيقية خالية من المعنى فهل هي جميعها كذلك ؟ سؤال حاول فيتغنشتاين أن يجيب عليه من منظور منطقي أثناء تناوله لإشكالية الاستقراء دون أن يصل إلى إجابة مقنعة.

لاشك أنه لا يمكن التقليل من أهمية ما تحقق بفضل اعتماد منهج التحليل المنطقي من قبل الذرية المنطقية والوضعية المنطقية وفلسفة التحليل اللغوي من إنجازات قيمة في مجال المنطق وخاصة فيما يتعلق بالدلالة المنطقية والمنطق الاحتمالي ومنطق الجهات،وكذا بالنسبة لمنطق ومناهج العلوم. ويبدو أن ما يبرر الحاجة الماسة إلى هذا المنهج في مرحلة كتلك التي ازداد فيها الاهتمام به، إنما يعود لواقع المعرفة العلمية، وما عرفته من أزمات طرحت خلافا حادا وجدلا واسعا حول مشكلة الأسس.

1- مور، ا.ج، مرجع سابق، ص-ص. 158، 159

وقد عبر هنري بوانكاري عن ذلك بقوله :"إن الناس لا يتفاهمون لأنهم لا يتحدثون نفس اللغة، ولأن هناك لغات لا يمكن تعلمها "[1] . فهذا الوضع شكل أرضية مناسبة لمحاولة تأسيس منهج جديد يمكنه أن يعيد للمعرفة نظامها ونسقيتها ووحدتها. وكان بالإمكان القبول بدور فلسفي متميز أو خاص في هذا الإطار، لكن الأمر انتهي بتحويل الفلسفة إلى هذا المنهج أو باحتواء المنهج الجديد لها.

هذا ما حصل بالنسبة إلى فريجه، راسل وفيتغنشتاين، ثم تم تدريجيا إجراء آخر تمثل في تحييد الفلسفة وإقصائها وتحميلها مسؤولية ما حدث من خلط من طرف الوضعية المنطقية. وما دعم هذا التوجه هو الأزمات التي شهدتها الحياة الإنسانية في بداية القرن من حروب عالمية وأزمات اقتصادية واجتماعية. فقد فهم الصراع والفوضى القائمة على أنهما نتيجة تباين قيم وأفكار فلسفية لا تخدم الإنسان، لذا رأينا كيف دعا بعض الفلاسفة والعلماء إلى تحكيم المنطق لبناء علاقات إنسانية بدلا من الاعتماد على الفلسفة.[2]

ونفس الأمر حصل بالنسبة للفلسفة الوضعية في القرن التاسع عشر حيث اعتبرت هذه الأخيرة أن المفاهيم والأفكار الميتافيزيقية هي السبب المباشر للفوضى السائدة بعد الثورة الفرنسية والتي مست خاصة الحياة الاجتماعية والسياسية وتجلت في تباين وتضارب المواقف وغياب معيار مشترك يمكنه على الأقل أن يقارب بينها، وهذا ما دعا أوجست كونت إلى اعتبار أن المخرج الوحيد من هذه الأزمة هو تحكيم العلم بدلا من الفلسفة. بمعنى أن هناك نوع من التماثل بين وضعية أوجست كونت والوضعيات المعاصرة ومنها الذرية المنطقية من حيث الشروط التي أدت إلى ظهور هذه الفلسفات بالرغم من الاختلافات التي يتلخص بعضها في الانتقادات الموجهة من قبل الوضعيات المعاصرة

1- نقلا عن محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص. 103

2 – ألفرد تارسكي، مقدمة للمنطق ولمنهج البحث في العلوم الاستدلالية، ترجمة: عزمي إسلام، مراجعة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، المقدمة، ص-ص31، 32

ضد كونت والمتمثلة أساسا في افتقار النسق الوضعي التقليدي إلى الموضوعية التي يدعي الالتزام بها وعدم توظيفه للمنطق.

إن المبررات التي اعتمدتها الذرية المنطقية لا تكفي لاعتماد التحليل المنطقي كبديل للفلسفة أو تحويل هذه الأخيرة إلى هذا المنهج لأن نتيجة ذلك خلط بين القضايا الفلسفية والقضايا المنطقية. وتحول للفلسفة إلى نظرية شكلية في المعرفة بينما يعتمد المنطق " كانطولوجيا " جديدة أي بناء الواقع منطقيا، وإذا كان التحليل المنطقي قد حقق إنجازا عظيما في دراسة أسس الرياضيات وفي إعادة النظام والنسقية للمعرفة العلمية، فهذا لا يعني أنه المنهج المناسب لشتى المعارف كيفما كانت طبيعتها أو أنه سيؤدي نفس الدور بالنسبة لأي موضوع أو حقل من حقول المعرفة.

وإذا كانت هناك عدة اعتراضات تواجه هذا المنهج التحليلي المنطقي فإن الخلفية التاريخية والحضارية تنطوي على عوامل تمثل شروطا أو مبررات لوجوده، تلك العوامل التي يمكنها أن تلقي الضوء على كثير مما تنطوي عليه فلسفة فيتغنشتاين من غموض، خاصة فيما يتعلق بموضوع اللغة. وبالرغم من أن بعض الرواد قد جعلوا من هذا المنهج نهاية للفلسفة فإنه قد مثل على العكس من ذلك إعادة بعث للمشروع الفلسفي انطلاقا من منظور جديد. ومهما كانت الانتقادات الموجهة لهذا المنهج فإن أهمية تتجلى أكثر فيما ما سينبثق عنه من توجهات تتناول اللغة بآليات وأساليب تفكيك لم يعهدها التفكير اللغوي عبر تاريخه الموازي لتاريخ الإنسان.

المبحث الثاني:

التحليل اللغوي عند فريجه

نشأت الفلسفة التحليلية المعاصرة في العقد الثاني من القرن التاسع عشر بفضل جهود الرياضيين وعلماء المنطق أمثال دي مورغان Augustus De Morgan (1806-1871)، بيانو وفريجه، وقد ساعدت أعمال هذا الأخير الأصيلة في إعادة تأسيس علم المنطق والرياضيات. إذ دفعته اهتماماته بأسس المعرفة والمنهج العلمي إلى الخوض في مسائل لغوية، ذلك لأن كثيرا من المسائل الخاصة بأسس المعرفة هي ذات طبيعة لغوية. كانت نزعته المنطقية تعول على الاستدلال الصوري الذي يقوم باعتماد الرموز كبديل للألفاظ الطبيعية، ففي الوقت الذي كان يحاول انجاز مشروع علمي متكامل وجد عائقا يتمثل في عدم ملائمة اللغة الطبيعية. ومن هذه الحاجة انبثقت فكرة الكتابة الرمزية [1]، ودعت الضرورة إلى لغة رمزية أكثر شمولية. وما من شك أن ما أنجزه فريحه في هذا المجال كان منطلقا لتلامذته.

يمثل كتابه " تدوين التصورات" "ايديوغرافيا"Idéographie (1879) إعادة بعث لمشروع ليبنتز الهادف إلى إيجاد لغة عالمية أكثر صرامة ودقة بإمكانها أن تعكس التفكير وأن تمثل الخطاب العقلاني بأمانة ودقة بشكل يتجاوز نقائص اللغات الطبيعية. اهتم فريجه باللغة المثالية انطلاقا من بحثه في أسس الرياضيات وعلاقتها بالمنطق. إن مشروعه هذا كان يركز على وضع نظرية صورية في الاستدلال تخلص الرياضيات من الحدوس الحسية، وتعيد الوحدة لحقول الرياضيات، وعلى أساسها يمكن أن نستنبط كافة المعاني الرياضية استنادا إلى جملة من المبادئ المنطقية. ومن شأن ذلك أن يعيد بناء النسق الرياضي بعيدا عن كل تناقض ويحقق للرياضيات أعلى ما تنشده من مقاصد الدقة العلمية والصرامة المنطقية.

1- بلبولة مصطفى، مشروع اللغة الكونية عند ليبنتز، رسالة ماجستير،2005-2006،الإشراف: حسين الزاوي، جامعة وهران، ص.130

وفي هذا السياق، ميز بين اللغة العلمية واللغة العادية، فالأولى ينبغي أن تكون مكتملة أو مشبعة لا تحتاج إلى غيرها للتعبير أو لتحديد حقيقة علمية ما، إنها تقوم على بناء منطقي ثابت، أما اللغة العادية فهي مبهمة وغير واضحة، وهذا ما يساعدها في إنجاز مهمتها التواصلية، وليس بإمكاننا أن نحدد بناء منطقيا لها بل هي خاضعة لعوائق التفاعل وحبيسة الرغبة والانفعال.[1] ومن هنا جاء تمييزه أيضا بين المعنى الحقيقي والخاطئ أو بين الإدراكي والانفعالي. وتنطوي مقارنته تلك لا على استبعاد للغة العادية أو إنكار لوظيفتها بل يؤكد فقط على أنها لا تناسب المجال العلمي ويقر بأنها الأنسب في مجال التواصل العادي بالرغم مما تتميز به من إبهام وما تنطوي عليه من معوقات ذاتية. يؤكد رائد الاتجاه التحليلي فريجه على أن من أهم مهام الفلسفة أن تقطع الصلة مع سلطة الكلمة على الفكر البشري، وذلك من خلال الكشف عن الأوهام الناتجة عن الاستعمال السيء للغة. وذلك لا يثبت أن هذه اللغة الرمزية التي يدعو إليها هي البديل للغة الطبيعية، كما أريد مثلا للغة الاسبيرانتو[2] Esperanto أن تكون، وإنما هي لغة علمية بالأساس، إنها ليست مثالية إلا لكونها تهدف إلى تحقيق أهداف معينة كالدقة والوضوح في المجال العلمي بالتحديد.

وبخلاف ما ذهبت إليه جماعة بورت رويال[3] Port Royal في تقريبها بين اللغة والمنطق فإن فريجه يعتبر أن اللغة الطبيعية لا تناسب على الإطلاق حقائق الفكر والمنطق لأن ألفاظها غامضة أحيانا وغير مضبوطة المعنى، كما أن بعضا منها لها دلالات متعددة. بل إن ارتباطها بقواعد اللغة يحد من دقتها المنطقية. إن اللغة كما نستخدمها ليست مبنية استنادا إلى قواعد منطقية، إذ لا يكفي استعمال النحو في جمل

1– أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، د. ط، د. ت.،ص.20

2 - لغة الإسبرانتو لغة مصطنعة مبسطة وضعها لودفيج أليعزر زامنهوف كمشروع لغة اتصال دولية عام 1887.

3 - مدرسة فرنسية ذات اهتمامات منطقية ولغوية وتربوية، تأسست في القرن السابع عشر واستمرت حوالي ربع قرن.

لنضمن صرامة صورية لمجرى الفكر.[1] ومن أهم تحليلات فريجه في كتابه " أسس علم الحساب" (1884) تمييزه بين مقولتين لغويتين هما: "اسم العلم" و" اسم المحمول" بطريقة تجاوزت تحليل أرسطو الذي كان يخلط بين القضية الحملية وغير الحملية.[2] ولم يكن بالإمكان تحديد الفروق بين القضية الحملية وغيرها من القضايا ووضع تصنيف جديد للقضايا إلا مع تطور المنطق حديثا. فإذا تتبعنا العبارتين التاليتين مثلا من الناحية المنطقية:

أ- شئ ما هو حيوان لبون. ب-شيء ما هو الإسكندر المقدوني.

سنلاحظ أنهما غير متكافئتين لأن الرابطة في الجملة الثانية تعبر عن الهوية بينما في الأولى تفيد الحمل. وإذا استبدلنا هذه الحدود اللغوية بحدود رمزية أصبح من السهل علينا التمييز بين العبارتين. وذلك بتوظيف رابطة الانتماء ورابطة التساوي. ورغم أن النحو يسمح لنا بالتمييز بين الموضوع والمحمول على اعتبار أن الأول يحيل إلى الشيء والثاني إلى المفهوم لكنه يخفي ضمن اللغة الطبيعية العلاقات المنطقية الحقيقية. وعلى أساس هذا التمييز المنطقي يحلل فريجه القضية الكلية (كل ع هو ص) كما يلي :

مهما يكن (س)، إذا كان (س) هو ع، فإن (س)هو ص.

لقد أوضح فريجه أن المحمول يقوم بوظيفة التصور، أي أنه يسند مجموعة من الخصائص الوصفية الوظيفية إلى اسم العلم. أما هذا الأخير فإن وظيفته تكمن في الإشارة إلى شيء محدد ولا يمكنه أن يؤدي وظيفة الحمل. ومن هنا يمكننا أن نميز المحمول بخاصيتين اثنتين:[3]

1- Chauve Alain, *La logique et sa signification philosophique*, Delagrave, 2004, Paris, p-p 50,51

2- زيدان، محمود، في فلسفة اللغة، بيروت، دار النهضة العربية، 1985، ص. 12.

3- Frege, G., *Les fondements de l'arithmétique*, trad., française de C. Imbert, Paris, Le seuil, 1969, p.181

إن الوظيفة الأولى لاسم العلم هي إشارته إلى شيء فردي معين بينما وظيفة المحمول الأساسية هي دلالته على تصور، أي على جملة من الخصائص التي تسند لاسم الموضوع بكيفية ما حسب طبيعة القضية المنطقية. وفي هذه الحالة فإن معنى اسم العلم تام ومستقل لا يحتاج إلى لفظ آخر لإتمام معناه، بينما لا يأخذ المحمول معناه بمعزل عن اسم العلم. إن أسوار القضايا لا تحمل معنا إذا ارتبطت باسم علم بينما تصبح ذات معنى إذا دخلت على محمول.

أما ألفاظ التسوير أو المكممات– حسب الاصطلاح الرياضي– مثل: كل (مهما يكن)، بعض (يوجد على الأقل) فهي ليست ذات معنى حقيقي إذا دخلت على اسم علم، أما دخولها على المحمول فيفضي إلى معنى جديد، وبأسلوب آخر فإن ألفاظ الأسوار لا يمكن إضافتها لاسم العلم قصد الحصول على معنى، بينما يمكن تحقيق ذلك بإضافتها للمحمول.

وهذا أهم تمييز أدخله المنطق الحديث بين اسم العلم واسم المحمول في القضية الحملية، ومع أن أرسطو أدرك وجود فرق بينهما إلا أنه كان يخلط بين القضية الحملية وغير الحملية. كما سبق فريجه فيتغنشتاين في التمييز بين الاسم والقضية، حيث اعتبر في مقالته "حول المعنى والدلالة " سنة 1892 أن لكل من الاسم والقضية دلالة ومعنى بينما رأى فيتغنشتاين أن الأسماء ذات دلالة ولا معنى لها وأن القضايا ذات معنى ولا دلالة لها. ورغم الاختلاف بينهما في توظيف هذين المفهومين فإن آراء فيتغنشتاين كثيرا ما تتقاطع مع مواقف فريجه، بل يحصل ذلك أحيانا في نقاط جوهرية منها على سبيل المثال اتفاقهما في القول بأن معنى القضية هو الطريقة التي يتم بها تحديد جملة شروط صدق القضية، فلكي نستطيع القول أن قضية ما صادقة ينبغي علينا أن نحدد الشروط التي بناء عليها ندعو القضية بأنها صادقة وعلى هذا الأساس نحدد المعنى. وما يؤكد أهمية ومكانة فريجه بالنسبة لفيتغنشتاين هو أن هذا الأخير قد افترض في رسالته أن

قراءه ينبغي أن يكونوا قد اطلعوا على أعمال فريجه، " وأنا لن أشير إلا لمؤلفات فريجه العظيمة، التي أنا مدين لها كما أنني مدين لكتابات صديقي برتراند راسل من حيث استثارة أفكاري هذه " [1]

لقد قاد فريجه ثورة في المنطق بإدخاله الترميز الرياضي بغرض صورنة الاستدلال، إذ لا حظ مثلا أن "الاسكندر غزى آسيا" و"آسيا تم غزوها من طرف الاسكندر" تعبران عن نفس القضية بغض النظر عن تباينهما من حيث الموضوع والمحمول. وكنتيجة لذلك يمكن إقامة نفس الاستدلالات استنادا إليهما حيثما وردتا في استدلال ما أي أنهما عبارتان متكافئتان. وبأسلوب آخر فإن فريجه استبدل التمييز التقليدي بين الموضوع والمحمول بتمييز بين الحجة والدالة، حيث يقابل المحمول بالدالة الرياضية. مثلا :

إذا كانت لدينا الدالة: تا (س) = س²، بحيث مهما يكن (س) كمتغير من مجموعة الأعداد الحقيقية فإنه يمكن الحصول على قيمة مقابلة له تمثل هي الأخرى عددا حقيقيا إذ تم تحديد قيمة (س). أي أن هذه الدالة تعبر عن علاقة بين مجموعة المتغيرات التي يمثلها المتغير (س): [(س1،س2،س3...)] وبين مجموعة مقابلة لها تا(س): [(تا(س1)،تا(س2) تا(س3)،....]، بمعنى أنه يمكننا أن نضع في كل مرة ضمن الصيغة الرياضية ( ) ² متغيرا مثل (س) فتصبح الصيغة المقابلة هي (س)².

اعتمد فريجه مفهوم الدالة الرياضي الذي وضعه ليبنتز في تحليل القضايا فتبين له أن المحمول كالذي يرد في قولنا: " س حكيم " يمكن أن يفسر اعتمادا على مفهوم الدالة الرياضية والتي اصطلح عليها في الإطار الفلسفي " دالة قضية " حيث تعني هذه الأخيرة جملة الخصائص والعلاقات التي تصدق على جملة من الأفراد. وعند تعويضنا لـ: (س) باسم علم نحصل على قضية مثلما هو الحال في الرياضيات حيث يمكن الحصول على قيمة محددة لهذه الدالة عندما نعوض (س) بعدد محدد. وتدعى النتيجة قضية ذرية.

1 – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، ص. 60

وسنرى لاحقا كيف يواصل فيتغنشتاين تطوير هذا الجهاز الرمزي مستفيدا من أعمال فريجه ومحاولا تجاوز ما رآه في إسهامات فريجه وراسل من أخطاء.[1]

وظف فريجه مفهوم التكميم الذي كانت له نتائج مذهلة في المنطق والفلسفة واهتم بمنطقة الرياضيات ابتغاء وضع نظرية في الاستدلال الصوري المجرد من الحدوس الحسية، وتمحور اهتمامه حول استنباط المعاني الرياضية انطلاقا من المعاني المنطقية. لكنه لم يتوقع أن أعماله المنطقية والرياضية ستمثل بداية المنعرج اللغوي أو أنه سيصبح لاحقا من أهم رواد فلسفة اللغة.

كانت أعمال فريجه تتويجا لجهود علماء الرياضيات والمنطق في إقامة المنطق كعلم استنباطي وجعله أساسا لاستنباط القضايا الرياضية، وشكلت في مجموعها بعثا لمشروع ليبنتز المتعلق بإيجاد لغة رمزية مثالية، تتميز بالدقة والشمولية. ولكن طموحها تعدى مجالي الرياضيات والمنطق، إلى التفكير في أسس المعرفة الإنسانية بشكل عام. ومادام هذا المنطق الجديد منشغلا بتحديد قوانين الفكر وصياغتها رمزيا فإن هذه القوانين المنطقية– كما رأى فريجه– لن تخص موضوعا دون غيره، وإنما ميزتها الأساسية أنها عامة ومطلقة " فالفكر هو نفسه أينما كان وليس صحيحاً أنَّ هنالك أنواعاً مختلفة من قوانين الفكر لتلاءم أنواعاً مختلفة من الموضوعات المفكر فيها "[2]

والمهم هنا ليس هو تلك الإنجازات،خاصة التي قدمها بيرس وشرويدر وبيانو وفريجه ثم راسل ووايتهد لاحقا، وإنما المهم ما تمخضت عنه من نتائج شكلت مصدراً أساسياً لفلسفة فيتغنشتاين وعاملاً جوهرياً في بلورتها. هذه النتائج يمكن تلخيص أهمها في جملة من النقاط ابتغاء للوضوح والدقة.

---

1 – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة: 3,325، ص.78.

2- وداد الحاج حسن، رادو لف كارناب، نهاية الوضعية المنطقية،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء الطبعة الأولى،2001، ص.15

أولاً : رفض اعتماد اللغة العادية كلغة فلسفية ومنطقية نظراً لما تنطوي عليه من غموض،، وهذا يعني أن هذه اللغة ليست مناسبة للتعبير عن البنية المنطقية الأساسية للفكر وأن استخدام هذه اللغة يسمح بدخول كيانات غريبة متمثلة في كلمات مجردة أو قد تحجب عنا قواعدها اللغوية قواعد المنطق. مما يعني أن استخدام اللغة العادية لا يتسق مع منطق الفكر، وهذا ما يمهد لا حقا لتلك الانتقادات الموجهة ضد الميتافيزيقيا خاصة لدى الوضعية المنطقية.

ثانيا : التأكيد على أن قوانين الفكر هي ذاتها قوانين المنطق، أي أن هذه الأخيرة تحكم جميع ما هو مفكر فيه، الأمر الذي يعني وجود لغة منطقية عامة تمثل بنية عميقة للمعرفة، وهذا ما تعبر عنه فلسفة فيتغنشتاين الأولى، التي تهدف إلى صياغة هذه اللغة المنطقية أو إلى البحث عن الشروط التي تجعل اللغة كاملة منطقيا.

ثالثا : التأكيد على أن ما يحدد معنى كلمة معينة هو استخدامها، وهذا ما تضمنته بعض أبحاث فريجه إذ يعتبر أن من بين المبادئ الأساسية لكل استدلال، والتي هي مبادئ أو قوانين المنطق العامة، أن لا نسأل عن معنى كلمة بمعزل عن سياقها وهذه الفكرة تشكل أساسا لفلسفة فيتغنشتاين في المرحلة الثانية. وحسب فريجه فإنه ينبغي " ألا يسأل، البتة، عن معنى كلمة بمعزل عن سياقها في قضية".[1]

رابعا : التمييز بين القضايا التحليلية القبلية والقضايا التركيبية أو التأليفية البعدية واعتبار القوانين الرياضية والمنطقية تحليلية، وهذا يعني أنها ليست تركيبية كما رأى جون ستوارت ميل ولا تركيبية قبلية كما ذهب كانط، مع التأكيد على مكانة ودور كل من القضايا التحليلية والتركيبية الأساسي بالنسبة للعلوم أي دورهما في استخلاص وصياغة المعارف العلمية. إذا كانت القضايا التحليلية، أي قضايا الرياضيات والمنطق لا تقول شيئا عن الواقع إلا أنها مع ذلك تساعدنا على الانتقال من قضايا واقعية إلى أخرى واقعية. وهذه

1 – المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الفكرة ذاتها نجدها عند فيتغنشتاين في تصنيفه للقضايا، وهي في نظره إما تحليلية أو تركيبية أو أشباه قضايا " قضايا مزيفة"، وقد أضاف فيتغنشتاين هذا الصنف الأخير تماشيا مع الفكرة الأولى، أي لكون بعض الجمل اللغوية لا تتسق مع منط تلك هي أهم النتائج المترتبة عن التحولات الجذرية في مجالي المنطق والرياضيات والتي انعكس تأثيرها على المعرفة بشكل عام.

إن ما جاء به فريجه يمثل انقلابا في مسار الفكر اللغوي، ويتجلى ذلك من خلال رؤيته الدلالية التي يميز فيها بين اسم العلم والاسم المحمول وبين المعنى والمرجع. ويمكن إجمال اهتمامات الفلسفة التحليلية التي أسس لها فريجه في ثلاثة مطالب هي التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم وبالخصوص في جانبه الميتافيزيقي، وكذا تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من نظرية المعرفة إلى التحليل اللغوي، كما سعت إلى تجديد وتعميق المباحث اللغوية، وبالخصوص مبحث الدلالة والظواهر اللغوية المتفرعة عنها.[1] قدم فريجه توضيحا قيما يتعلق بالفرق بين الأفكار والتمثلات. وكان لهذا التمييز تأثير كبير في مجرى النقاش الفلسفي الدائر حول التعقل والحقيقة في أن واحد.[2]

ونتج عن هذا التصور حول التحليل اللغوي، ثلاث اتجاهات تمثلت في الوضعية المنطقية Positivisme logique التي يتزعمها رادولف كارناب والذي حاول أن يستبدل الفلسفة بعلم المنطق مبتدئا بالنحو "نحو اللغة المنطقي" يمكن استخدام هذا النحو لتشكيل لغات مثالية، لغات شكلية ودقيقة.[3] وكذا الظاهراتية اللغوية بزعامة إدموند هوسرل Edmund Husserl (1859-1939) الذي دعا إلى التخلي في الفلسفة عن كل تفسير سريع للعلم وعن كل الأحكام المسبقة للقيام بتحليل كل ما يتجلى للوعي. مظهرا قطيعة مع

1- دلاش، جيلالي، مدخل إلى السيميائيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط1، 1994، ص.11

2- فيري، جان مارك، فلسفة التواصل، ترجمة وتقديم:عمر مهيبل، منشورات الاختلاف،ط1، 2006،ص-ص.24،25

3- بيتركونزمان وآخرون، أطلس الفلسفة، مرجع سابق، ص. 221

اتجاهات التحليل النفسي السائدة آنذاك، ومعتبرا أن التعبير عن قوانين المنطق لا يعدو أن يكون تعبيرا عن القوانين النفسية التي تمثل أساسا يجب الاستناد إليه.[1] كما نتج عن هذا التوجه التحليلي أيضا ما عُرف بفلسفة اللغة العادية Philosophie De la Langue Ordinaire بزعامة فيتغنشتاين في المرحلة الثانية من فلسفته، هذا التوجه الذي قاده فيتغنشتاين هو المصدر الذي انبثق منه المنحى التداولي، ومعه تبلورت النظرة التداولية إلى اللغة، استنادا إلى ضرورة إعادة التفكير في مسألة المعنى بما يتناسب مع أغراض الكلام، وحياة الدلالة.[2]

1- المرجع السابق، ص. 195

2- عمارة، ناصر، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1، 2009 ص.69

المبحث الثالث:

التحليل اللغوي عند راسل

إن النزعة التحليلية التي تبناها برتراند راسل منذ أواخر القرن التاسع عشر ضد مثالية برادلي Francis Herbert Bradley(1846–1924) كانت موجهة ضد الحركات الهيغلية الجديدة التي زاد تأثيرها آنذاك في الفلسفة الانجليزية واتخذت فلسفته التحليلية صبغة ذرية منطقية كرد فعل ضد فلسفة هيغل القائلة بوجود حقيقة كلية واحدة. فذريته المنطقية التي تقول بأن أية حقيقة معزولة يمكن أن تكون حقيقة على نحو تام ومكتمل[1] ظهرت في مواجهة نزعة هيغلية واحدية ترى أن الحقيقة لا تتأسس إلا على طبيعة العلاقة بين أطراف.

وإنه لمن السهل أن نتبين الصلة بين التوجه التحليلي الذي نادى به راسل وبين ما تقدمه الرسالة المنطقية الفلسفية من وجود حقائق أولية، حيث تؤكد الرسالة أن ما من دالة قضية مركبة إلا وتنطوي على قضايا جزئية، وهذه الأخيرة على بسائط، ومرد هذه الفكرة إلى منهج راسل التحليلي. لكن ذلك لا يعني ما ذهبت إليه الوضعية المنطقية من أن وجود تلك البسائط يتوقف على تحققها التجريبي، وإنما يعني أن وجودها يتوقف على ضرورة منطقية، وهذا ما يعنيه فيتغنشتاين بقوله: " وإذا نحن عرفنا على أسس منطقية صرفة، ضرورة وجود قضايا أولية، فإن ذلك لا بد أن يكون معروفا بالنسبة لكل إنسان يفهم القضايا قبل تحليلها"[2] ويؤكد طابعها المنطقي الذي يبعدها عن كل دلالة تجريبية أو اختبارية ويرفعها إلى مستوى المعرفة القبلية: "إذا لم أستطع أن أعين القضايا الأولية على نحو قبلي، فإن من الضروري أن يفضي ذلك عندما أريد تعيينها إلى [اللامعنى] "[3]

وليس بمقدور التحليل – حسب راسل – الوقوف عند نقطة معينة وتحديد وقائع بسيطة لا تقبل التحليل إلى ما هو أبسط وذلك لكونه يرى بقابلية التحليل إلى ما لانهاية

1- Voir Bertrand Russell, *Histoire de mes Idées Philosophiques*, trad. G. Auclair, éd. Gallimard, 1961, p-p. 67,80

2 – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة :5.5562، ص.137

3 – المصدر نفسه، العبارة: 5.5571، ص.138

دون الوصول إلى ما هو بسيط رغم تسليمه بوجود وقائع ذرية، وكذا لكونه يعتبر أن رفض هذا سيقود إلى السقوط في تجريبية مبالغ فيها. ومهما يكن فإن راسل كان مقتنعا بأن التسليم بالقضايا الذرية لا يستند إلى اعتبارات تجريبية بل اعتبارات نحوية أو تركيبية.[1]

إن التحليل هو المنهج الأنسب عند راسل لمعالجة القضايا الميتافيزيقية، وتمثل فلسفته الذرية المنطقية نموذجا للفلسفة التحليلية، إذ يقول عن التحليل: " لكي نصل إلى طبيعة الشيء الذي نبحث فيه ينبغي أن نوظف التحليل، ونستطيع أن نوظفه حتى الوقت الذي نلتقي فيه بمواضيع لا تخضع للتحليل:الذرات المنطقية "[2]

ويمكن للتحليل عند راسل أن يتجاوز حدود التوضيح لما نعرفه إلى إمدادنا بمعارف جديدة وهذا يتسق مع نظرته لطبيعة الفلسفة التي تمثل بالنسبة له مطلبا معرفيا مهما لا تعالج مشاكله إلا باعتماد منهج التحليل وهو ما يؤكده في أكثر من موضع " ومنذ أن تخليت عن فلسفتي كانط وهيغل، أخذت أبحث عن حلول للمشكلات الفلسفية مستعينا بالتحليل".[3] أما الصعوبات التي تواجه التحليل فيشير إليها في كتابه " أصول الرياضيات" إذ رغم ما يقدمه لنا هذا المنهج من حقائق فإنه لا يمكن أن يقدم لنا كل الحقيقة، وإذا اتخذنا له معنى أوسع مما يمكن أن يعنيه فإنه لن يكون مجرد رداء للكسل يلتمس به العذر أولئك الذين يمقتون العمل[4]

1 - Russell, Bertrand, *Histoire de mes Idées Philosophiques*, traduit de l'Anglais par George Auclair, Paris, Editions Gallimard, 1961, p.279

2- Russell, Bertrand, *Ma Conception du Monde*, traduit par Louis Evrard, éd. Gallimard, 1962, p.p.13-14

3 – راسل، برتراند، فلسفتي كيف تطورت، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، تقديم: زكي نجيب محمود، الطبعة1، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، 1960، ص.4

4 – راسل، برتراند، أصول الرياضيات، ترجمة : محمد مرسي أحمد وأحمد فؤاد الأهواني،ج 2، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1964، ص.84

وتتمثل الأدوات المنهجية التي وظفها راسل لتجاوز الصعوبات التي تواجه المنهج التحليلي فتتمثل في الاقتصاد في الفكر والبناء المنطقي لقضايا المعرفة وصياغة هذه الأخيرة استنادا إلى لغة مثالية. يقوم مبدأ الاقتصاد في الفكر على عدم القبول بالكثرة إلا في حالة الضرورة القصوى التي قد تتطلبها ضرورة منهجية.و تطبيقه لنصل أوكام لاختزال المعرفة كان أولا في محاولة رد الرياضيات إلى المنطق والتي لم تتخذ طابعا علميا بحتا، بل تم توظيف ذلك ميتافيزيقيا بهدف الوصول إلى اللامعرفات وتبعا لمبرر ابستيمي مفاده أنه كلما سمحنا لأنفسنا بافتراض وجود عدد أكبر من الكائنات كلما كانت معرفتنا أكثر عرضة للخطأ. ومثال ذلك: إذا كان لدينا الكيانات التالية:(أ، ب، ت) وكان من الممكن رد (ج) إلى (أ أو ب)، بحيث أن كلا من (أ) و(ب) مستقلين وغير قابلين للاشتقاق من بعضهما البعض، فإنه يمكن في هذه الحالة حذف ج والاكتفاء بـ: (أ) و(ب).يعرف فيتغنشتاين هذا المبدأ بقوله: " إذا لم يكن هنالك ضرورة لعلامة ما فإنها تصبح عديمة المعنى (الدلالة) وهذا معنى نصل أوكام ".[1]

ولكن راسل لم يحدد رغم ذلك معايير دقيقة لاختزال ما يزيد عن الضرورة من الكائنات. أما الشكل الثاني لمبدأ الاقتصاد والذي يرمز إليه بنصل أوكام فيتمثل في البناء المنطقي ويهدف إلى الاستغناء عن الكائنات التي لا نعرفها مباشرة والاستعاضة عنها بما نعرفه مباشرة، ولهذا البناء هدف ابستيمولوجي هو تعويض الكائنات غير التجريبية بالكائنات التجريبية، وهدف ميتافيزيقي يتمثل في الاستغناء عن الكائنات المستدل عليها – أينما كان ذلك ممكنا– وتعويضها بالبناءات المنطقية.[2]

لقد وظف راسل التحليل المنطقي ضمن مشروعه في الأسس المنطقية للرياضيات محاولا إبراز أن هذه الأخيرة يمكن أن تعالج باعتبارها منطقا خالصا، معتبرا – مثل فريجه

1– فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، ص. 79

2 - Russell, Bertrand, *Histoire de mes Idées Philosophiques*, Op.Cit.., p. 15

– أن التقنيات المبتكرة للغة المنطق الرياضي ضرورية لإعادة النظر في المفاهيم والقضايا المنطقية والفلسفية كالمعنى، ووظائف الأسماء والمحمولات والقضايا والروابط المنطقية ومسألة تمثيل اللغة للواقع والتمييز بين البنية الظاهرة والخفية للقضية. ومثل ذلك طرحا جديدا للقضايا الفلسفة والمنطق. لقد كان نجاحه في هذا السياق عاملا مشجعا للخوض في المسائل الفلسفية التقليدية كفكرة المكان والزمان والحركة والمادة وغيرها استنادا إلى نفس الأدوات المنهجية. أما اللغة المثالية الاصطناعية فأراد بها راسل التحرر من الخلط السائد بين الشكل النحوي والشكل المنطقي في اللغة العادية، وذلك بهدف تجاوز غموض هذه الأخيرة وقصورها، وكذا بهدف اعتماد هذه اللغة لممارسة التحليل قصد الوصول إلى العناصر البسيطة التي لا يمكن التعبير عنها إلا بواسطة لغة رمزية دقيقة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن للغة المثالية أو الكاملة منطقيا جذور تاريخية، إذ نجد لها أصولا عند فرنسيس بيكون وديكارت وليبنتز بشكل خاص.

يرتبط منهج راسل التحليلي للغة بالمنطق الرياضي بوصفه اللغة الأكثر صرامة ودقة بل باعتباره الأساس الأنسب للمعرفة، ومن هنا جاء اهتمامه البالغ بهذه اللغة الاصطناعية التي وظفها بشكل متميز في تحليله للغة مقارنة ببقية الفلاسفة التحليلين. وهو يرفض اللغة العادية لأنها تضللنا بألفاظها وتراكيبها، كما أنها غير مناسبة لصياغة الحقائق العلمية.

إن اللغة العادية تخلط بين الشكلين النحوي والمنطقي ومن ثم فهي لا تستطيع التعبير منطقيا عن الواقع، إن جملها قد تتسق مع قواعد النحو ولكنها تنطوي على كثير من الخلط والغموض ومن هنا دعت الضرورة إلى لغة رمزية يمكنها أن تنتج المعنى الصحيح وتستأصل الغموض واللامعنى. وكما كتب راسل في مقدمة الرسالة المنطقية الفلسفية: " إن فيتغنشتاين مهتم بشروط اللغة الكاملة منطقيا "[1] فإن راسل هو الآخر ظل منشغلا

1– فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، ص. 32

ببناء لغة رمزية مثالية لكنه لم يكن يعتقد أن هذا الأمر يمكن انجازه في مدة قصيرة مثلما حاول فيتغنشتاين.

وبالرغم من ذلك هي في نظر راسل خطوة مهمة لشرح منطق اللغة. إن المسائل اللغوية التي يمكن أن نتناولها بالتحليل تتضمن ما يلي:[1]

1- المشكل النفسي –المنطقي ويتعلق بما يحصل حقيقة عندما نستعمل اللغة لنقصد معنا معينا.

2- مشكل العلاقة بين الكلمات والجمل وبين الأشياء أو الكيانات التي تحيل إليها أو بأسلوب آخر بين الكلمات والعالم.

3- مشكل توظيف الجمل لتبليغ الصدق بدلا من الكذب.

4- مشكل الشروط التي يخول إليها أن تقوم جملة مقام أخرى، وهذا مشكل منطقي انشغل به فيتغنشتاين في مؤلفه " رسالة منطقية فلسفية ".

يُعتبر المنطق الرياضي نواة أساسية في فلسفة راسل ومنهجه على حد سواء، لهذا ارتبط منهجه التحليلي بالمنطق الرياضي وبمختلف جوانبه الفنية، والتي يجب أن تكون ملائمة لصياغة المشكلات الفلسفية، ولعل أهم هذه الجوانب الفنية هو استخدامه للغة اصطناعية، فهذه اللغة التي أضفت على فلسفته طابعا مميزا بين فلاسفة التحليل، حيث يقول في ذلك: "كان تأثير اللغة في الفلسفة عميقا... فإن كان علينا ألاّ ننخدع بهذا التأثير، فمن الضروري أن نكون على وعي به، وأن نسأل أنفسنا إلى أي مدى يكون هذا التأثير مشروعا ".[2]

يناقش راسل في هذا القول موضوع اللغة العادية وتأثيرها علينا، وينتقدها لكونها تضللنا بمفرداتها وتراكيبها من جهة، ومن جهة أخرى فهي غير قادرة على التعبير بدقة عن الفكر

1 – المصدر السابق، الصفحة نفسها

2- Russell Bertrand, *Écrits de logique philosophique*, traduit de l'anglais par Jean Michel Roy, P.U.F., Paris, 1989, p. 330

العلمي، ولأن راسل يميّز بين الشكلين، وهذا الخلط هو الذي يجرنا إلى أفكار ميتافيزيقية عن صور الوقائع أو بنيتها التي تعبر عنها العبارات اللغوية، ويؤدي هذا التمييز بين الصور المنطقية والنحوية إلى أن القضايا ليست بالضرورة إما صادقة أو كاذبة بل قد تكون أيضا فارغة من المعنى، ويحدث ذلك حين ينشأ هناك خلط بين الأنماط المنطقية (Les types logiques).

يعبر راسل عن عدم قدرة اللغة العادية على تحقيق ما يسعى إليه التحليل بقوله "إذا أردنا أن تكون محاولتنا محاولة جادة في التفكير، فإنه ينبغي علينا أن لا نرتاح ونثق بما نسميه اللغة العادية، وأن نرضى بها، وسأبقى جد مقتنع وباستمرار بأن ما يشكل أمامنا بعض الصعوبات والعراقيل الأساسية في طريق التوصل إلى تحقيق تقدم يذكر في مجال الفلسفة هو مدى تمسكنا وتشبثنا غير المبرر بلغتنا العادية في التعبير عن أفكارنا الخاصة وإنني أرى ما يمثل أحد العوائق في عدم انتشار هذه القاعدة في اللغة المنطقية المصطنعة.[1]

ولكي نتجنب هذا الخلط ينبغي على الفلسفة أن تضع لنفسها لغة سليمة ستكون هي اللغة المثالية التي يحصل فيها التطابق بين الشكل النحوي والشكل المنطقي، ويؤكد راسل ضرورة هذه اللغة: "إن ما نحتاج إليه من الفحص الدقيق المنطقي في عملية التحليل التي نقوم بها أن نستخدم لغة مختلفة أساسا عن لغة حياتنا العادية وهذا إلى حد بعيد، وإن حاجتنا إلى هذه اللغة المنطقية هي من أجل هذا الهدف، ولا شيء غير ذلك".[2]

لقد أطلق راسل على هذه اللغة عدة أسماء أهمها: اللغة الكاملة منطقيا، واللغة المنطقية الكاملة واللغة المنطقية المثالية،[3] وما لاحظناه على هذه التسميات هو الاهتمام البالغ لراسل بمسألة اللغة وعلاقتها بالمنطق، فما هي إذن اللغة المثالية التي دعا إليها راسل؟

1– راسل برتراند، فلسفتي كيف تطورت، مرجع سابق، ص.21

2– نقلا: زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1968، ص.216

3- Russell, B., *Écrits de logique philosophique*, Op. Cit. , 335

إنها تتمثل في لغة اصطناعية صارمة قادرة على التعبير الدقيق عن المفاهيم، وهذا ما تعجز اللغة العادية عن الوفاء به، وترتبط اللغة الاصطناعية بعملية التحليل حتى يصل بنا التحليل إلى عناصر بسيطة كنا نجهلها من قبل وهذه العناصر البسيطة في حاجة ماسة إلى اللغة للتعبير عنها.[1] فإذا كانت اللغة العادية سليمة ودقيقة في التعبير عن المركبات فهي ليست كذلك في مجال البسائط، خاصة وأن الهدف من التحليل هو تفكيك المركبات والوصول إلى البسائط وبالتالي التعبير عنها لغويا، وهنا نجد أن اللغة الاصطناعية هي صاحبة القدرة على ذلك، ولكن: هل دعوى راسل إلى قيام لغة مثالية قد تحقق على يديه بالفعل؟ وهل طبقها في كل فلسفته؟ إن هذه الدعوى لم تتحقق وفق ما كانت تطمح إليه، حتى وإن قدم كتابه مبادئ الرياضيات نموذجا لتوظيف هذه اللغة، كما أن راسل تجنب فيما بعد الدعوة لتأسيس لغة مثالية بقوله: "لم أقصد أبدا إلى القول بأنه ينبغي ابتكار مثل هذه اللغة إلاّ في بعض الميادين ومن أجل بعض المسائل"[2]، معنى هذا أنه يجعل لتطبيق اللغة الاصطناعية حدودا من المتعذر تجاوزها وذلك رغم ضرورتها في التحليل.

نستنتج في الأخير أن محاولة راسل في الاستنجاد باللغة الاصطناعية هي محاولة لعلاج العيوب الناشئة عن اللغة العادية، وما يترتب عليها من أخطاء ميتافيزيقية، كما أن عملية البحث عن لغة منطقية صارمة والتي تمكننا من التخلص من أوهام الميتافيزيقا لم تسفر عن نتائج حاسمة لأن المشكلات الفلسفية التي اعتقد بعض الفلاسفة أنه يمكن التخلص منها بقليل من النحو المنطقي تثير مشاكل كامنة في حركة الجدل القائمة بين الأنا والعالم.

إن الخصائص الفنية للمنطق الرياضي ملائمة لصياغة المشكلات الفلسفية وتحليلها وأهم تلك الخصائص هو توظيفه للغة اصطناعية، اعتبرها راسل لغة مثالية وكاملة

1- Russell, B., *Écrits de logique philosophique*, Op.Cit., p.222
2- Moore , George Edward, *Some Main Problems of Philosophy*, London, 1953,p.15

منطقيا، مما يعني قدرتها على الوفاء بمتطلبات الدقة التي تقتضيها المعرفة وتجاوزها الغموض المميز للغة العادية،هذا الغموض اللغوي كان سببا للأخطاء المنطقية والفلسفية[1]

أما عن الصلة بين راسل وتلميذه فيتغنشتاين فقد كانت جهودهما مثمرة، حيث ساهما في تطوير الاتجاه الذري المنطقي الذي يقول بالكثرة أو التعدد في العالم وينكر وجود كُلٍ واحدٍ موحد، والكثرة في هذا العالم تعود إلى تعدد وقائعه. وفي هذا السياق يؤكد راسل أن هذه الفلسفة تنظر للعالم على أنه مؤلف من كثرة من الأشياء المنفصلة وهي منطقية لأن الذرات التي يريد راسل أن يصل إليها هي ذرات منطقية وليست فيزيائية أي أنها ذرات التحليل المنطقي لا ذرات التحليل الفيزيائي.[2] وقد ساهم هذا التصور التحليلي إلى جانب فلسفات أخرى في أفول الفلسفات النسقية التي يمثل هيغل هرمها، حيث يقف فيتغنشتاين ضد وجود نظام مسبق لتفسير ظواهر الواقع إذ " ليس هناك نظام أولي للأشياء "[3] ويرتكز هذا الرفض لأي نظام مسبق على تجنب التفسير الفلسفي الذي يجعلنا غالبا نرى الأشياء على غير ما هي عليه.

لكن انتماء راسل وفيتغنشتاين إلى نفس المذهب الفلسفي لم يكن ليعني اتفاقا بينهما في كل الأفكار، فمن أهم الفوارق أن راسل يصرح بوضوح أن تحليلنا للعالم يكشف لنا عن أربعة مكونات: الجزئيات أو الدقائق، الصفات، العلاقات والوقائع.[4] بينما يعود العالم بعد تحليله– حسب فيتغنشتاين– إلى الأشياء:" إن الأشياء تؤسس جوهر العالم "[5]

ورغم هذا الخلاف الجوهري فهناك نقاط اتفاق كثيرة بينهما، إذ كلاهما يحلل القضايا اللغوية إلى قضايا ذرية لا يمكن تحليلها إلى ما هو أبسط. على أن تعكس القضية الذرية

1- Russell, B. , *Histoire de mes idées philosophique,* Op.Cit., p. 182

2 – مهران، محمد، فلسفة برتراند راسل، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1979، ص–ص. 224، 225

3 – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة : 5,634، ص. 140

4 – ماهر،عبد القادر، فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص. 234

5 – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة : 2.021، ص.65

شيئا يتصف بصفة أو أشياء تربطها علاقة معينة حسب راسل، أو تعبر عن واقعة ذرية موجودة في العالم الخارجي بحيث تكون رسما لها[1] حسب فيتغنشتاين. وكلاهما يعتبر أن المنطق هو لب أو أساس الفلسفة إذ يعتبر راسل أن الفلسفة غير متميزة عن المنطق، ويقول فيتغنشتاين: " إن المنطق يبحث في جميع الإمكانات وجميع الإمكانات هي موضوعات بحثه" [2] "إن الفلسفة تتكون من المنطق والميتافيزيقيا، بحيث يكون الأول (أي المنطق) أساسا لها ".[3] مثل هذه النقاط المشتركة تؤكد التداخل والتلاحم بين كل من فلسفتيهما، كما تؤكد أيضا تأثير كل منهما على الآخر.

وهو يعترف كما جاء في قول سابق بفضل راسل مؤسس الذرية المنطقية والذي ساهمت أعماله في توجيه فيتغنشتاين إلى الاهتمام بالمنطق وأسس الرياضيات بل ساهمت في توجيه نشاطاته العلمية والفكرية التي كانت تبدو موزعة بين عدة اهتمامات.و قد استفاد فيتغنشتاين كثيرا من دراسة مؤلفات أستاذه راسل خاصة " أصول الرياضيات" ومبادئ الرياضيات الذي ألفه هذا الأخير مع وايتهد (1910-1913). إن التوجه المشترك فيما يتعلق بالفلسفة الذرية المنطقية وبالمنهج التحليلي المنطقي، وكذا مشروع رد الرياضيات إلى المنطق كل ذلك يمثل إطارا مؤسسا لمواقفهما اللغوية، ومن هنا تطلب الأمر الرجوع إلى هذه الجوانب لتسليط الضوء على إنجازات فيتغنشتاين اللغوية.

1 – المصدر السابق، العبارة: 2.173، ص.69، والعبارة: 4.022، ص.58.

2 - فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة: 2,0121، ص 64

3- Wittgenstein, L., *Notes on Logic,* traduit et annoté par Gilles-Gaston Granger, Paris, Gallimard,1971, p.93

المبحث الرابع:

فيتغنشتاين وفلسفته

إنه لمن الضرورة أن نقف عند بعض أهم الأحداث في حياة فيتغنشتاين وذلك لوجود صلة وثيقة بين ما عاشه من أحداث ومساره الفلسفي. إن تلك التغيرات والأحداث تعكس في مجملها ما لحق بأفكاره من تطورات. ومن شأن ذلك أن يلقي الضوء أكثر على فلسفته الموغلة أحيانا في كثير من التعقيد. لودفيج جوزيف يوهان فيتغنشتاين هو أكبر فلاسفة القرن العشرين، تميزت أفكاره بالعمق والجدة محدثة بذلك تحولا جذريا في التفكير الفلسفي وفي منهج التعامل مع المسائل الفلسفية.

ولد فيتغنشتاين في السادس والعشرين من أفريل عام 1989. وهو الإبن الثامن لأسرة نمساوية ثرية، عرفت باهتماماتها الفكرية وميولها الفنية. وكانت له رغبة في دراسة العلوم الطبيعة على يد الفيزيائي الشهير لودفيج بولتزمان L. Boltzmann (1844–1906) خليفة أرنست ماخ Ernst Mach (1838-1916) في جامعة فينا. إلا أن وفاة بولتزمان حالت دون ذلك، فاختار الالتحاق بالمعهد العالي للتقنيات في برلين(1906)، مما يؤكد أن ميوله كانت علمية وتقنية، وهذا ما تجسد في اهتمامه البالغ بالآلات وطريقة تركيبها.

وبعد إنهاء دراسته ربيع 1908، رحل إلى إنجلترا حيث قام باختبارات على الطائرات الشراعية في مقاطعة داربيشاير Derbyshire، ثم التحق بقسم الهندسة في جامعة مانشستر إلى غاية خريف1911. وكان اهتمامه طوال هذه الفترة بالملاحة الجوية،حيث أجرى تجاربا خاصة بالطائرات الشراعية،وقد كللت هذه التجارب في هذا المجال باختراع محرك نفاث. ولكن سرعان ما اتجه اهتمامه أكثر إلى تصميم المحركات والآلات، وإلى العمليات الرياضية التي تعتمد كأساس لهذا التصميم، فدفعه ذلك إلى التفكير والتساؤل عن طبيعة الرياضيات ووظيفتها بالنسبة للعلم.

وينبغي التأكيد هنا على أن هذا الاهتمام قد ترك أثرا بالغا على نفسيته وطريقة تفكيره مما انعكس على مواقفه، ويتجلى ذلك من خلال علاقة تصميم الآلة أو المحرك بما يشير إليه عمليا أي بالآلة أو المحرك ذاته، إذ هناك علاقة تقابل بين الطرفين تسمح بالانتقال

من أحدهما إلى الآخر. إن التفكير العميق والانشغال المتواصل بمسائل الفيزياء وببعض فروعها كعلم الحركة قد نقل فيتغنشتاين إلى معالجة بعض القضايا الجوهرية في الفلسفة لا سيما اللغوية منها مستلهما مثل هذه النماذج العلمية. وفي هذه الفترة صار أكثر انشغالا بالرياضيات لأن العلاقة بين التصميم الهندسي وما يشير إليه لا تحصل إلا من خلال الأشكال الهندسية والمعادلات الرياضية. وهنا تأكدت لديه أهمية الرياضيات ودورها في منظومة المعرفة ووجد فيها ضالته لما تتميز به من دقة وصرامة منطقية. إلا أن هذا الحقل العلمي هو الآخر مثل الفيزياء كان يمر بتحولات حاسمة وجذرية في إطار ما عرف بالبحث في أسس الرياضيات أو إعادة تأسيسها بعد أزمة مست ثوابتها وأخلت بمبادئها.

شكل موضوع أسس الرياضيات وفلسفتها أحد اهتماماته، خاصة بعد أن اطلع على كتابات برتراند راسل مثل كتاب "أصول الرياضيات"(1903)، الذي ترك أثرا بالغا على تطور أفكاره. وبتوجيه من راسل عكف على قراءة كتابات الرياضي الشهير ومؤسس المنطق الحديث فريجه. وفي عام 1911 توجه إلى ينا Jena بألمانيا ليناقش أفكاره حول أسس الرياضيات مع فريجه.وتنفيذا لنصيحة هذا الأخير، وفي نفس السنة، عاد إلى انجلترا ليواصل دراسته مع الفيلسوف وعالم المنطق برتراند راسل في جامعة كمبردج. حيث أمضى ما بين 1911 و1913 طالبا عاديا بهذه الجامعة. وخلال هذه الفترة استفاد كثيرا من راسل وألفرد نورث وايتهد Alfred North Whitehead (1861-1947). وعكف على دراسة انجازات كل منهما الرياضية والمنطقية والفلسفية.

التحق فيتغنشتاين مع بداية الحرب العالمية الأولى كمتطوع مدافعا عن وطنه في الجيش النمساوي، رغم أنه كان معفيا من الخدمة العسكرية لأسباب صحية. عُين أولا في الجهة الشرقية وتلقى تدريبا ليصبح ضابطا. ثم انتقل للجهة الغربية سنة 1918 ليقع أسيرا

لدى الإيطاليين بعد انهيار الجيش النمساوي (نوفمبر1918). وظل في الأسر ثمانية أشهر بأحد المعتقلات جنوب إيطاليا.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى، التحق بكلية المعلمين في فينا وذلك مابين سنتي 1919و1920، ليصبح مدرسا مابين 1920 و1926، حيث اشتغل في عدة مدارس بجنوب النمسا.كانت حياته في هذه الفترة تكتسي طابع العزلة والبساطة. وبدى له أول الأمر أن ظروفا كهذه هي أنسب إلى طبعه، وأنها أكثر ملاءمة لمزيد من التفكير والتأمل. ويبدو أنه تمكن في هذه الفترة أن يراجع بعمق وفي هدوء كثير من أفكاره اللغوية انطلاقا من فحصه الدقيق لطريقة التعلم والاكتساب اللغوي. إذ كانت تجربة التدريس هي الأخري عميقة الأثر في حياته، إذ من خلالها تعرف على كثير من حقائق اللغة خاصة ما يتعلق بالاكتساب والاستخدام اللغويين. وذلك ما تظهره جليا كتاباته الأخيرة.

وكمثال بسيط فإن دراسة إحصائية يمكنها تقريب هذه الفكرة وتبريرها، حيث يوظف فيتغنشتاين في مؤلفه " تحقيقات فلسفية " بدرجة أولى مفاهيمًا، مثل: التعلم أو ما يرتبط به (تعليم، متعلم...) 108 مرة، الطفل (أطفال، طفولة..) 42 مرة، (تدريب) 19 مرة، هذا بالقياس إلى بعض المفاهيم التأسيسية الأكثر أهمية مثل " شكل حياة"، وهذا المستوى من الحضور لبعض المفاهيم في نص التحقيقات له دلالته، إذ يؤكد أهميتها في توجيه مضامين الكتاب نحو ما أراد فيتغنشتاين أن يقوله بالضبط. وفرت له مرحلة التعليم هذه فرصة للتأمل في هدوء وشكلت في نفس الوقت بداية انعطاف في مساره الفكري. لكنه سرعان ما وجد في نفسه رغبة ملحة في الاحتكاك والتعامل أكثر مع الآخرين، وهو ما لا يمكن تحقيقه في مهنته تلك، فعاش فترة اضطراب انتهت به إلى الاستقالة.

كانت حياته مليئة بالتضحيات والتجارب المتنوعة، حيث وظف جهده وتفكيره لبناء منزل لإحدى أخواته في فينا ما بين 1926 و1928. واشتغل في نفس هذه الفترة بالنحت، وشُغِف خاصة بنحت التماثيل. حيث وجد فرصا جديدة لتجسيد ما يمكن أن يعبر عن

أفكاره، لذلك يمكننا أن نفهم انطلاقا من تجاربه هذه كيف يوظف فيتغنشتاين أمثلته وكيف يحاول تقريب أفكاره استنادا لما يرتبط بالتعليم والبناء والنحت، خاصة إذ تذكرنا أنه نشأ في أسرة شديدة الاهتمام بالفنون كالرسم والنحت والموسيقى. ولم تحل هذه الاهتمامات الجديدة بعد الحرب العالمية الأولى دون ممارسته لنمط من التفكير العميق والبحث الجاد والمتواصل فيما تطرحه الفلسفة والرياضيات من إشكاليات.

ويبدو أن سنوات الحرب وتلك التي تليها عندما اشتغل بالتدريس تشكل في مجموعها مرحلة عزلة وانقطاع عن المحيط الجامعي الذي ألفه، ولكن الحقيقة أنه ظل على اتصال بأصدقائه واطلاع مستمر على ما يحصل من مستجدات في مجالي العلم والفلسفة. إذ حرص صديقه فرانك رامزي (1903–1930) Frank Ramsey الذي زاره مرتين على إقناعه بالرجوع إلى انجلترا،فاستجاب لذلك مكتفيا بزيارة في صيف 1925.

وخلال إقامته في النمسا إلى نهاية 1928 تعرف فيتغنشتاين على بعض مؤسسي مدرسة فينا لاحقا مثل الفيلسوف الألماني موريتس شليكMoritz Schlick (1882–1936) وفريدريش فايزمان Friedrich Waismann (1896- 1959). وكان لمناقشاته معهم أثرا بالغا في إرساء الاتجاه الوضعي المنطقي،بل وأيضا في استمرارية وتطور مشروعه الفكري بالرغم مما فرضته ظروف المرحلة.

وبعد غياب دام خمسة عشر عاما، عاد فيتغنشتاين من جديد إلى كمبردج مع بداية 1929. رغب أولا في التحضير لشهادة الدكتوراه في الفلسفة، وأخذت الجامعة بعين الاعتبار السنوات التي أمضاها في الدراسة قبل الحرب العالمية الأولى، فصار بإمكانه نيل هذه الشهادة برسالته المنطقية الفلسفية،وهو ما تحقق في يونيو من عام 1929، ليصبح أستاذا بكمبردج ابتداء من السنة الموالية.

وفي كمبردج التقى بالعديد من العلماء والفلاسفة حيث أسهمت علاقاته في بلورة أفكاره واستثمار قدراته،و تجدر الإشارة مرة أخرى أن صلته براسل كانت قوية وأن تأثره به كان

شديدا.[1] وقد عاش بقية العمر في إنجلترا مع قيامه خلال هذه الفترة برحلات متعددة إلى النمسا والنرويج والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. استقر في النرويج ما يقارب السنة مابين (1935-1936) في كوخ منعزل ليؤلف جزءا هاما من كتابه "تحقيقات فلسفية" "Philosophical Investigations ". ثم عاد إلى كمبردج سنة 1937 ليواصل التدريس بها ويخلف جورج إدوارد مور G.E. Moore (1873–1958) على كرسي الفلسفة بعد تقاعد هذا الأخير سنة 1939. ومع بداية الحرب العالمية الثانية تطوع للعمل بأحد المستشفيات في نيوكاسل Newcastle، لكنه لم يتخل عن منصبه في كمبردج. وفي سنة 1947 استقال من منصبه مفضلا حياة العزلة في الريف الايرلندي ابتداء من 1948،حيث اختار الاستقرار على الشاطئ الغربي لايرلندا. غير أن وضعه الصحي لم يتحمل درجة الرطوبة فمكث في أحد الفنادق وعمل على إتمام الجزء الثاني من كتابه "تحقيقات فلسفية". وقد تبين سنة 1949 أنه مصاب بالسرطان فخضع للرعاية إلى أن توفي يوم 29 أفريل1951.

عُرف فيتغنشتاين بذكائه الشديد وأمانته وصدقه وإحساسه القوي بمعنى الواجب، وتميز أيضا بعزة النفس والاستقلالية الفكرية وتحرر الشخصية ولعل هذا ما دفعه إلى التنازل عن الثروة الكبرى لأسرته والابتعاد عن محيطها حيث الجاه والشهرة،كما عرف أيضا بالتشاؤم والميل إلى العزلة. وكان له تأثيرا بالغا على طلبته وأصدقائه من النواحي العقلية والسلوكية والأخلاقية. أما طريقته في التدريس فهي شبيهة بطريقة سقراط، فهو يعتمد الجدل والحوار إيمانا منه بأن توجيه الأسئلة والأجوبة كفيل بنقل المعرفة للآخر وتبسيطها. بل إن كلا منهما يشارك الآخر في الإخلاص للأفكار والمثل والتضحية بكل شئ في سبيل الفلسفة.

ويجمع أسلوبه في الكتابة بين البساطة أحيانا والتعقيد أحيانا أخرى، وتكشف عباراته، خاصة الواردة في الرسالة عن قصر في المبنى وغزارة في المعنى. بلغت بعض أفكاره

1- Sluga Hans , David G.Stern , *The Cambridge Companion to Wittgenstein* , University Press, 1st Publication, 1996, p.5

درجة من العمق أحالها إلى عالم يصعب الولوج إليه ويتعذر فك رموزه حتى بالنسبة لأولئك الذين كانوا أقرب إلى فلسفته من مشاهير أصدقائه وتلامذته، وأدى ذلك إلى سوء فهم لأفكاره مما جعله يتردد في نشرها لتوقعه أنها لن تفهم حسب ما أراد.

درس فيتغنشتاين أعمال شوبنهاور في سن السادسة عشر، فكان لها بالغ التأثير على فكره. وهو يعترف أحيانا بذلك معتبرا أنه لم يكتشف طريقا جديدا للتفكير وإنما قام به هو مجرد توضيح لأعمال السابقين كشوبنهاور.[1]وظهر ذلك التأثير في موقفه المثالي خاصة فكرة " الأنا واحدية" فكرته عن " الحد" (حدود العالم، حدود اللغة) وفكرة القيمة.

وأهم ما تأثر به أيضا أعمال فريجه وبالتحديد نقده لنظرية ترابط الأفكار التي اعتبرت أن الحكم هو نتجة ترابط جملة من الجزئيات.

وهذا النقد الذي قدمه فريجه وكذلك برادلي (1846–1924) كان موجها للأساس الذي يقوم عليه موقف جون ستوارت مل التجريبي J.Stuart Mill (1806-1873) وهو افتراض أسبقية الحدود على القضايا أو أسبقية الألفاظ على الجمل، أي أن المعرفة لا تبدأ من الوحدات الأولية وإنما تبدأ حين يبدأ الحكم ولا يحصل ذلك إلا بترابط الحدود.هذه إحدى الأفكار الفلسفية المهمة التي انتقلت من فريجه إلى فيتغنشتاين، حيث أصبحت القضايا الأولية هي الحد الأدنى كموضوع للفكر أو الوحدات البسيطة الأولى في تحليل المعرفة [2] بدلا مما كان يعتقد كل من جون لوك، دافيد هيوم وستوارت مل. وهذا ما جعل فيتغنشتاين يرد الفكر إلى جملة القضايا البسيطة أو الذرية، والواقع الخارجي إلى جملة الوقائع الذرية معتبرا أن الواقع يتكون من الوقائع لا من الأشياء [3]

1 - Wittgenstein L., *Remarques Mêlées,* traduit de l'Allemand par Gérard Granel, Trans-Europ Repress, France, 1984, p.29

2 – زكي نجيب محمود، نحو فلسفة علمية، مرجع سابق، ص. 30

3 – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة: 1,1، ص 63

هناك مرحلتان أساسيتان في حياة فيتغنشتاين الفكرية، وضمن كل واحدة منهما يمكن الحديث عن مرحلتين فرعيتين. إذ تأثر في المرحلة الأولى بالفلسفة المثالية خاصة "بالأنا وحدية " أو مذهب الأنانة أو مذهب وحدة الأنا، "Solipsisme" وأصل هذه الكلمة الأخيرة لاتيني بحيث" Solus" تعني "وحدية" و(Ipse) بمعنى "أنا"[1]وقد استخدم هذا المفهوم من وجهة نظر أخلاقية ونفسية ليعني الأنانية وهذا هو المعنى الغالب في الاستخدام إلى سنة (1870)، أما من وجهة النظر الميتافيزيقية فهي " الذاتية باعتبارها إجماع الوجود، وباعتبارها الوجود من تمثلي أو من صنع تفكيري".[2] ومن وجهة النظر الإبستمولوجية– وهذا المعنى هو الأهم بالنسبة لنا– فهي: " الذاتية باعتبار الذات هي موضوع المعرفة الوحيد، وهي أصل كل معرفة بالواقع، ومن ثم يمكن تسميتها بأنانية المعرفة".[3] وهذا المذهب يقوم على أساس أن: " الأنا الفردي الذي نعيه، مع تجلياته الذاتية،هو كل الواقع، كل الحقيقة، وأنا الأنوات الأخرى التي نتمثلها، لم يعد لها وجود مستقل إلا مثل شخوص الأحلام، أو على الأقل قد يقوم على التسليم باستحالة البرهان على العكس ".[4]

لقد ميزت هذه الفلسفة بمنظورها الميتافيزيقي والمعرفي تفكير فيتغنشتاين في المرحلة الأولى إلى سنة1911 م. حيث بد أ تحول ظاهر نحو الذرية المنطقية، ابتداء من 1911 وامتد هذا التحول والتطور إلى عام 1929. وخلال هذه الفترة ساهم فيتغنشتاين إلى جانب راسل في وضع أسس الذرية المنطقية التي شكلت إحدى أهم الاتجاهات التحليلية المعاصرة. ويعود استخدام مصطلح "الذرية المنطقية" إلى راسل الذي وظفه ضمن محاضراته المنشورة تباعا عامي 1917–1918 مبينا أسس هذه هذه الفلسفة ومبررا اختياره لهذه التسمية. فهي تحليلية انطلاقا من كونها تنظر إلى العالم على أنه يشمل كثرة

2 - Anton Hügli , Poul Lübcke , *Philosophielexikon*, Rowohlt Taschenbuch Verlag, Hamburg, 2013, p. 835

2 – عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، دار المعارف، سوسة، تونس، 1992، ص.67

3 – المرجع نفسه، الصفحة نفسها

4 – لالاند، أندري، مرجع سابق، المجلد الثالث، ص.1313

من الأشياء المنفصلة، ولا تعدُ الكثرة الظاهرة في العالم مظاهر وتقسيمات غير حقيقية لحقيقة واحدة لا تقبل الانقسام. وهي منطقية لأن الذرات التي يراد التوصل إليها هي في نهاية التحليل ذرات منطقية، وليست ذرات فيزيائية... أي أن الذرة المقصودة هي ذرة التحليل المنطقي لا ذرة التحليل الفيزيائي.[1]

ويعتبر مؤلف "رسالة منطقية فلسفية" أهم مصدر لهذه الفلسفة بل يجوز القول أن أهميته تجاوزت إطار الذرية المنطقية ذاتها. وضمن مقدمته للرسالة، أورد عزمي إسلام أقوال العديد من المفكرين الذين اعترفوا بمكانة الرسالة وأثرها العميق في الفلسفة المعاصرة. فقد جعل شليك من ظهورها نقطة تحول حاسمة في تاريخ الفلسفة.[2] وكانت – على حد تعبير بلانشارد (Blanshard (Percy Brand (1892–1987) تطبيقا للمنطق الرمزي على أوسع نطاق.[3] ويرى فيتغنشتاين أن أفكار الرسالة يستحيل الشك في صدقها وأنها تقدم حلا أساسيا ونهائيا لمختلف الإشكاليات الفلسفية. وأهم مضامين الرسالة فكرته عن الذرية المنطقية والنظرية التصويرية للغة ونظريته في طبيعة المعنى وموقفه من القضايا من حيث هي دالات صدق للقضايا الأولية إلى جانب فكرته عن الأنا وحدية، وغير ذلك مما يشكل في مجمله ما يمكن قوله بوضوح وما يمكن معرفته. والموضوع الأساسي في الرسالة هو تحليل اللغة من أجل تجنب الفوضى والارتباك، وبأسلوب آخر فالكتاب يعالج مشكلات الفلسفة، ويوضح فيما يعتقد فيتغنشتاين أن الذي دعا إلى إثارة هذه المشكلات هو أن منطق لغتنا منطق يُسَاءُ فهمه.

وإذا كانت فلسفة فيتغنشتاين قد عرفت تطورا وتحولا مابين (1911-1929)، فهذا لا يعني وجود قطيعة تامة بين مرحلة وأخرى، ففي رسالته المنطقية الفلسفية التي نشرت سنة 1921 م، نجد امتدادا لأفكار سابقة. وهذا المؤلف الذي يمثل أحد أهم مصادر الذرية

1 – مهران، محمد، مرجع سابق، ص–ص. 224، 225

2 – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، ص.6

3 – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المنطقية ينطوي على نزعتين متضادتين،فهناك رفض للميتافيزيقا في تحليله للغة ابتغاء للوضوح وتحديدا للمعنى واستبعادا لما تنطوي عليه الألفاظ أو الجمل مما هو ميتافيزيقي، وهناك إقرار بحقائق ميتافيزيقية تبدو بصورة أوضح في سياق تحليله للعالم عندما تناول العالم كحقيقة واحدة للتحليل. لم تظهر أفكار الرسالة دفعة واحدة بل هي وليدة مراحل من التأمل والتفكير. حيث انشغل فيتغنشتاين في البداية أكثر بمشكلة العلاقة بين الرياضيات والمنطق، وأيهما يمثل أساسًا للآخر؟ أم أنهما بنائين صوريين منفصلين ؟ وبعد ذلك انتقل اهتمامه إلى اللغة، ثم إلى طبيعة العالم فإلى العلاقة الممكنة بين اللغة والعالم الخارجي، ولكن هذه المراحل جاءت معكوسة في رسالته فهو يبدأها بتعريف العالم ثم اللغة وأخيرا طبيعة المنطق.

إن المحاور الأساسية في فلسفة فيتغنشتاين الأولى تتمثل اختصارا في ربطه الفلسفة بالفكر وفي نقده للغة وفي علاقة هذه الأخيرة بالعالم. "فالفلسفة يجب أن تحدد ما يمكن التفكير فيه، وبالتالي ما لا يمكن التفكير فيه، إنها تحدد ما لا يمكن التفكير فيه وذلك من خلال ما يمكن التفكير فيه ".[1] وفي موضع آخر: " تحدد الفلسفة كل ما له معنى في الحديث وما ليس له معنى في الحديث".[2] إن أهمية الرسالة تكمن في طريقة صياغتها الدقيقة والمنهج المتميز في عرض الأفكار باعتماد منهج التحليل المنطقي. فهي مكتوبة بأسلوب جديد متميز في التركيز والدقة، إلى درجة يبدو فيها أن فيتغنشتاين يحصي كلماته وعباراته وكأنها معادلات رياضية كي لا يتجاوز الحد الكافي للتعبير، وقد حاول تطبيق هذه الطريقة على فلسفته كلها وإن كان ذلك بدرجة أقل صرامة في مرحلة لاحقة. ولعل السبب في ذلك هو تفكيره الرياضي الصارم، بحيث أخضع كل نشاطاته الفكرية إلى

1 – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة: 4.144، ص. 92

2 - Wittgenstein, *Les Cours de Cambridge 1930-1932*, Traduit de l'Anglais par Elisabeth Rigal , édition trans-europ , 1988, p. 75

التقدير الكمي كما هو الشأن في الرياضيات.[1] أما أهمية الرسالة فتكمن في كونها بلورة وإعادة طرح لعدد كبير من المسائل الفلسفية بأسلوب جديد مع إضافات نوعية خاصة من حيث المنهج. إنها حسب رامزي :" كتاب هام لأنه يحتوي على أفكار جديدة تغطي (مجالا) واسعا من الموضوعات الفلسفية، إنه كتاب له أهمية غير عادية ويستحق أن يوليه كل الفلاسفة اهتمامهم الشديد ".[2]

والجديد في الرسالة هو منهجها المبتكر أو طريقة تناولها للقضايا الفلسفية، حيث يكشف التحليل المنطقي أن غالبية المشاكل التي واجهتها الفلسفة كانت نتيجة سوء فهم لمنطق اللغة. إضافة إلى هذا كونها تطبيق للمنطق الرمزي على أوسع نطاق باعتباره اللغة التي من شأنها أن تقدم صياغة دقيقة متكاملة للمعرفة. وتكمن قيمتها أيضا في أثرها على المدارس الفلسفية خاصة التحليلية منها كالوضعية المنطقية ومدرستي أكسفورد وكمبريدج اللغويتين. يقول برتراند رلسل في تقديمه للرسالة: " سواء كانت رسالة فيتغنشتاين المنطقية الفلسفية أو لم تكن قد برهنت بالصدق المطلق على الموضوعات التي تعالجها فإنها يقينا تستحق لعمقها واتساع مجالها أن تعتبر حدثا هاما في عالم الفلسفة ".[3]

أما مرحلته الفكرية الثانية، فتمتد بداية من 1929–1930 لتنتهي بوفاته، وهي تضم مرحلة بدأ فيها التراجع تدريجيا عن كثير من أفكار الرسالة ما بين 1930–1945. وهي مرحلة انتقالية في تطوره الفكري، وهي في مجملها مقالات ومحاضرات جمعها طلبته من بعده. ويذكر أحد هؤلاء وهو فون رايت (1916–2003) Georg Henrik Von Wright, أن فيتغنشتاين قد سلمه رفقة كل من روش ريز(M. Rush Rhees,) (1905–1989)

1- Deloche,Christian, *La Philosophie des Mathématiques chez Wittgenstein*, CNRS éditions, Paris, 1995, p.14

2 - فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، ص.3

3– المصدر نفسه، ص.31

وأنسكوم[1] Anscombe, (1919–2001) مذكراته يوم 29 جانفي 1951 وكلفهم بنشر ما يتهيأ لهم أنه مناسب منها.[2] وكتاباته في هذه المرحلة إما أن تقدم توضيحا أو شرحا لبعض عبارات الرسالة أو أن تطرح بعض معالم ما أسماه فيتغنشتاين بالفلسفة الجديدة خاصة في الكتاب الأزرق وهذه الكتابات لم يتم نشرها إلا بعد وفاته.

أما المرحلة الأخيرة فيلخصها كتاب " تحقيقات فلسفية " الذي أنهى الجزء الأول منه سنة 1945 وكتب الجزء الثاني منه ما بين عامي (1947-1949) وهو يلخص التوجه الجديد نحو فلسفة اللغة العادية. فالمنطق والفلسفة عليهما أن يأخذا اللغة العادية كموضوع للبحث، والتي هي لغة قصدية، بمعنى أنها شكلت لغاية محددة ".[3] وفي هذا المرحلة الجديدة تؤدي الفلسفة دورا علاجيا لأمراض اللغة الناتجة عن سوء استخدام الألفاظ والعبارات والتي تكون سببا للمشكلات الفلسفية.

كان فيتغنشتاين مثالا للفيلسوف الذي ما فتئ يعدل أفكاره، وكانت الفلسفة بالنسبة له نشاطا تشخيصيا دائما للكشف عن الأمراض التي تلازم معارفنا ومن هنا فإن " الفيلسوف هو الشخص الذي ينبغي أن يعالج في نفسه عددا من أمراض الفهم قبل أن يتمكن من بلوغ مفاهيم الفهم الإنساني السليم ".[4] ويقترب فيتغنشتاين هنا من نيتشه في إبراز الدلالة التشخيصية العلاجية للفلسفة، فكلا الفيلسوفين يجمعان على الطابع التشخيصي الذي ينبغي أن يتحلى به الذي ينبغي أن يتحلى به التفكير الفلسفي، بل كلاهما ينيط بالفلسفة مهاما أسمى وأرقى من تلك المنوطة بالعلوم. " إن مرض عصر ما يعالج بواسطة تغيير

1- إليزابيث أنسكومب(1919-2001) Gertrude Elizabeth Margaret Anscombe تلميذة فيتغنشتاين المقربة إليه، وهي من أصل ايرلندي،رعت أعماله جمعا وتحقيقا،نشرا وترجمة، تعد من بين أهم الفلاسفة الانجليز في القرن العشرين.

2 - Georg Henrik (Von Wright), *Wittgenstein*, Traduit de l'Anglais par Elisabeth Rigal, édition Trans- Europ., 1986, p.70

3- Op.Cit., p.46

4-Wittgenstein, *Remarques sur les fondements des mathématiques*, trad., M.A. Lescourret, éd. Gallimard, 1983,cinquième partie: 53. p. 252

نمط عيش الناس، ومرض المشاكل الفلسفية لا يمكن أن يعالج إلا بتغيير نمط التفكير والعيش... ".[1]

لكن ينبغي أن لا يفهم أن في ذلك تمجيد للممارسة على حساب النظر والتفكير أو أن فيتغنشتاين يدعو لنزعة علمية متطرفة على نحو ما هو الأمر بالنسبة لحلقة فينا، بل إن فيتغنشتاين كان ينتقد الأوهام التي يولدها الإيمان الأعمى بالعلم. أما انتقادات فيتغنشتاين للفلسفة فكانت في مجملها قائمة على الكيفية التي يوظف بها الفلاسفة اللغة وليس على الفلسفة في حد ذاتها. إن المنحى الذي اتخذه فيتغنشتاين في نقده للغة الفلسفة خاصة ضمن كتابه " تحقيقات فلسفية "ينأى به بعيدا عن الموقف الوضعي المنطقي لحلقة فينا، إذ لا يمكن مع فيتغنشتاين تعويض ما يشوب الخطاب الفلسفي من نقص بلغة منطقية تستبعد اللغة الطبيعية، فهو حريص في فلسفته الأخيرة على الانتقال باللغة من استعمالها الميتافيزيقي إلى استعمالها اليومي وعلى رد الإشكاليات الفلسفية إلى أسس اللغة الطبيعية. وقد مثل هذا التوجه منعرجا مهما في فلسفة اللغة. ذلك لأنه رد الاعتبار للغة بوصفها نشاطا حيويا فاعلا ومندمجا في سلوك الأفراد. ولم يعد من مهام الفلسفة أن تتدخل على نحو ما في الاستعمال الفعلي للغة، فهي تكتفي بوصفها دون أن تعطي أي أساس لها، إنها تترك كل شيء على ما هو عليه.[2]

إن المشاكل الفلسفية ليست بالتأكيد ذات طبيعة تجريبية، كما أن حلها لا يمكن أن يجلب لنا معارف إضافية، ولا تحل مشاكلها بالبحث عن تجارب جديدة، وإنما " بتنظيم ما وقعت ملاحظته منذ زمن. الفلسفة هي مقاومة فتنة تفكيرنا بواسطة لغتنا".[3] إن هدف الفلسفة حسب فيتغنشتاين هو إيضاح ما تنطوي عليه اللغة من غموض بإخضاعها لمنهج تحليلي يسمح بتحديد التماثلات المغلوطة التي قادت إلى طرق مسدودة في التفكير

1- Wittgenstein, L., *Investigations Philosophiques*, Op.Cit., deuxième partie, p-p. 126-127
2- Ibid., p.116

3 – فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق § 109، ص. 195

بخصوص مسائل عدة كوجود ما تشير إليه الألفاظ من أشياء.[1] إن المشاكل الفلسفية ستبقى مطروحة دائما لأننا نخلط بين مجالات الأشياء المتعددة، وبالتالي لا نميز بينها وبين الجمل المعبرة عنها. إن الفلسفة هي نشاط يتمثل في الكشف عن أعراض إبهام كهذا واجتثاث الأسباب المؤدية إليه، ولذا فهي نشاط علاجي.

1 - المصدر السابق، § 109، ص. 195، § 122، ص–ص. 199،200، § 126، ص. 201

المبحث الخامس:

التداولية والمنهج التداولي

ترتبط كلمة "تداولية" اشتقاقا في العربية بمادة " دول" التي ترد في عدة معاجم لغوية بمعان مختلفة، ومنها يتداول تداولا ويقال تداولنا الأمر وأخذناه بالدول أي تبادلنا الأدوار. وتداولته الأيدي أي أخذته بالتناوب، هذه مرة وتلك مرة أخرى. وتداولنا العمل أي تعاونا عليه. وداول أمرا ما بين أطراف أي جعله متداولا بينهم، يقال داول الله الأيام بين الناس أي أدارها وصرفها مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء.[1] وإذا تتبعنا تلك الدلالات المختلفة وجدناها تشترك في معاني التبادل والتفاعل والتحول والانتقال من وضع لآخر ومن حال إلى حال. وينطوي ذلك أيضا على وجود أطراف مشاركة. وسيسمح التعرف على التداولية بالتحقق من مشروعية اعتماد اللفظ العربي "تداولية" بدلا من ألفاظ أخرى مثل: " السياقية، الاتصالية، التبادلية. والأهم من ذلك أن نتعرف على أسس وخصوصيات الدرس التداولي لنتمكن من رصد وتتبع معالمه الأولى في فلسفة فيتغنشتاين اللغوية.

إن مصطلح التداوليات مركب من مقطعين، الأول "تداول" من الفعل تداول وهو من صيغة تفاعل التي تعني المشاركة أو الاندماج في نشاط ما، والمقطع الثاني هو اللاحقة "يات" التي تحيلنا إلى البعد المنهجي والعلمي في هذا التوجه العلمي المعاصر.

يستند الموقف التقليدي للغة على رؤية معيارية افتراضية انطلاقا من معيار الخطأ والصواب بالمعنى النحوي، ولم تسلم من هذه الرؤية قواعد لغة من اللغات بما في ذلك النحو العربي بالرغم من محاولات علمائه.[2] وحصل ذلك تقليديا لاعتبارات أهمها ما يخص تطور اللغة ذاتها كارتباطها بالكتابة، وحاجة الإنسان إلى ضبط قواعدها بما يحقق التواصل عبر الزمان والمكان. وكذا لارتباط اللغة أحيانا بأشكال من قواعد التفكير

1 - الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع للطباخة والنشر، بيروت، 2003، ص. 900. ويمكن الاطلاع على معاجم أخرى تقدم شروحا مطولة لا ضرورة لعرضها جميعا مثل لسان العرب لابن منظور.

2 – أحمد الحمو،(محاولة ألسنية في الإعلال)، مجلة عالم الفكر، العدد 3، الكويت، 1989، ص. 167

الفلسفي والمنطقي، حيث ترغم اللغة على تلبية شروط لا تخص استعمالها الجاري، ومثال ذلك إخضاعها لقواعد المنطق الأرسطي لزمن طويل.

لم يكن هناك تمييز فاصل في النحو تقليديا بين الجملة موضوع التفكير النحوي وبين القول باعتباره حدثا ناتجا عن نشاط كلامي لمتكلم ما. وهذا ما يعكسه تعريف الجملة حيث اعتبرت نتيجة لإسناد يتم بين المسند والمسند إليه، كيفما كانت الجملة اسمية أم فعلية. الأمر الذي أدى إلى الاهتمام بالقواعد على حساب القول ذاته باعتباره نشاطا منخرطا في سياقات متباينة يصعب حصرها مما يجعله غير خاضع للدراسة. ويرد الكلام استجابة لنشاط كلامي آخر. وهذا ما يجعل الكلام حدثا خاصا، إذ ليس هناك قولان متماثلان حتى ولو تلفظ بذلك نفس الشخص مثل :"سأغادر حالا "، فقد لا يحتمل ذلك نفس المعنى ولا نفس القصد حتى ولو تكرر الكلام من نفس الشخص، لما قد يعنيه القول من تأكيد أو تهديد أو تهرب أو وعيد أوقد يكون القصد منه مجرد نقل معلومة معينة.

ومن هنا فإن وصف الأقوال يخالف وصف الجمل، إذ ينظر في هذا الأخير إلى سلامة القواعد، ويكتفي النحو بدراسة الوظائف الأساسية الخاصة بتركيب الجمل(المسند أو المسند إليه) دون أن يربط ذلك بالمتكلم والسامع وبالسياق الذي اقتضى ذلك القول ولا الهدف من ورائه. أما ما تعنيه الجملة فقد تأكد ضمن حقلي علم التراكيب والدلالة أن معناها يتطلب ضرورة الاستعانة بنظرية حول القول وهو ما عرف بـ "التداولية".[1] لكن هذا الدرس الجديد في الحقل اللغوي لا يمتلك حدودا واضحة، ومن هنا أصبح التعريف به أكثر صعوبة مع تعدد وجهات النظر التي ينطلق منها الفلاسفة والباحثون حيث تقع التداولية كأكثر الدروس حيوية في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية.[2]

1- عبد السلام عشير،الكفايات التواصلية، اللغة وتقنيات التعبير والتواصل، منشورات Top Edition، ط:1، 2007، ص. 136

2- أرمينكو، فرونسواز، مرجع سابق، ص.7

إن مفهوم التداولية مشتق من الكلمة اليونانية "Pragma" التي تعني فعل، إنجاز، طريقة تصرف، أثر الفعل أو ما يترتب عنه. ويعود مصطلح التداولية إلى الفيلسوف والسيميولوجي الأمريكي شارل موريس(1901-1979)Charles Morris الذي استخدمه سنة 1938م دالا على فرع من فروع علم العلامات Semiotics. أي أن موريس قد وظف هذا المصطلح ليعرف به مجالا معرفيا لم تتحدد معالمه آنذاك، معتبرا أنها فرع من النظرية العامة للعلامات (السيميولوجيا)، والتي تشمل إلى جانب ذلك كلا من علم التراكيب وعلم المعاني. إنها تدرس العلاقات بين العبارات اللغوية (العلامات) من جهة وبين مقاصد وسلوكات مستعمليها من جهة أخرى.[1] إنها حسب موريس " جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"[2]. ويبدو أن هذا التعريف يتجاوز بكثير المجال الإنساني لأن استعمال العلامات قد يتعدى ذلك إلى المجالين الحيواني والآلي.

وإذا كان علم الدلالة هو الآخر مهتم بدراسة معنى الجملة ومعنى ما تنطوي عليه من ألفاظ ضمن سياقها التركيبي أي من خلال العلاقات بين وحدات الجملة، فإن التداولية تهتم بتتبع التفاعل بين البنى اللغوية مع محددات أو عوامل السياق ومقاصد الألفاظ، وتعمل على تقريب الهوة التي يمكن أن تحصل بين المعنى الحرفي للجملة وما يريده المتكلم. وقد اتضح للباحثين، خلال السبعينات من القرن العشرين، مدى الارتباط بين المتكلم والسامع وبين السياق اللغوي ومدى أهمية ودور القصد لدى المشاركين في تحديد المعنى بالنسبة للفعل التواصلي.

وظهرت في مجال الدراسات اللغوية مفاهيم ظلت مهملة من قبل فلاسفة اللغة واللسانين مثل: الفعل اللغوي باعتبار أن اللغة فعل يسمح بتأسيس المعنى في سياق معين ويحدث فعلا على العالم أو أثرا على الآخرين. ومفهوم السياق اللغوي، وذلك لأن دلالة

1- Anton Hügli , Poul Lübcke , Op.Cit , p.731

2 – أرمينكو، فرنسواز، مرجع سابق، ص.8

القول أو العبارة اللغوية لا يمكن أن تتحدد بصورة مجردة عن وضعيات ملموسة تنشأ ضمنها كالمكان والزمان وهوية المتخاطبين وشروط إنجاز الفعل اللغوي.و كذا مفهوم رفع اللبس أو رفع الغموض[1] Désambiguisation الذي يشير إلى أن بعض المعطيات غير اللغوية تبقى ضرورية لتوضيح المعنى وتجاوز الغموض. واستنادا لمفاهيم كهذه انشغلت التداولية بمحاولة الإجابة عن الأسئلة من قبيل: ما الذي يحصل عندما نتكلم ؟ من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ ولأجل ماذا ؟ ماذا نقول بالتحديد عندما نتحدث ؟ لماذا لا نقول بالتحديد ما أردنا قوله ؟ ولماذا لا نرغب في قول ما تلفظنا به ؟ ماذا علينا أن نعلم حتى نرفع الإبهام عن هذه الجملة، أو تلك؟ أو ما الذي يجب أن نعرفه بالتحديد لإزالة الغموض تماما عن عبارة ما ؟هل بإمكاننا أن نثق في المعنى الحرفي المباشر لقول ما ؟ ما هي استعمالات اللغة المختلفة ؟هل من مقياس يحدد القدرة اللغوية الإنسانية ؟

وما الكيفية التي تتم بها صياغة الاستدلالات بالنسبة للمستمع حول ما يقال للوصول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم ؟أي كيف يمكن فهم أكبر قدر ممكن مما لم يتم قوله على أساس أنه جانب مما يراد إيصاله ؟ ويثير هذا السؤال الأخير مسألة أخرى تتعلق بطبيعة العلاقة بين المتخاطبين. ويتعلق الأمر هنا بالتباعد بين الأطراف، وينطوي ذلك على القرب الاجتماعي أو الثقافي أو الخبرة المشتركة، حيث يحدد المتكلمون بناء على ذلك مقدار ما يحتاجون قوله قصد التفاهم. ومن هنا قد يرد تعريف التداولية مرتبطا بمفهوم التباعد على أساس أنها دراسة التعبير عن التباعد النسبي.

إن التداولية تتناول اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في آن واحد، إنها مهتمة بالتواصل اللغوي ومنجزيه وبالشروط المختلفة التي توجه الفعل اللغوي وتحدد دلالاته. ومهما كان المنظور الذي يمكن أن تتخذه في دراستها فهي تجعل من اللغة

1- الفاسي الفهري، عبد القادر، نادية العمري، معجم المصطلحات اللسانية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2009، ص. 302

موضوعها الأساسي. ويمكن توضيح مفهوم التداولية مقارنة بعلوم اللغة الأساسية استنادا لما عرضه تشارلز موريس Charles Morris على النحو التالي :

– علم التراكيب: يدرس كيف تركب العلامات لتشكل جملا مقبولة نحويا

أي يهتم بالعلاقة بين العلامات اللغوية، دون مراعاة لمستخدم الصيغ اللغوية.

– علم الدلالة (المعاني): يدرس علاقة العلامات اللغوية بالواقع الخارجي عن اللغة.[1] فهو يدرس الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائمة بين العلامات وما تدل عليه.[2] أي كيفية ارتباط الكلمات بالأشياء والعبارات بالوقائع بغض النظر عن المستخدم

– التداولية : التي تدرس علاقة العلامات اللغوية بمستخدميها من بني الإنسان، فليست اللغة بأي حال شيئا مخزنا في المعاجم وكتب النحو بصورة نظرية بل هي شيء متصل بحياة الأفراد ومرتبط بما يمارسونه من نشاطات مختلفة. ويمكن القول أن ما تتناوله التداولية يشمل جميع المسائل التي لا يمكن أن يبحثها اللغويون، وفلاسفة اللغة في نطاق علم النظم أو علم الدلالة[3]. إنها تتناول مفاهيم كانت غائبة تماما عن الدرس اللغوي واللساني، الذي ظل يهتم بقضايا شكلية وبنائية في اللغة كالنظام والنسق والبنية. من هنا تكمن قيمة الدرس التداولي الذي تجاوز الجانب التركيبي والدلالي إلى الجانب التداولي أو إلى البعد الاستعمالي للغة.

إن التداولية هي توجه معرفي يعنى بما يميز الاستعمال اللغوي والدوافع النفسية للمتكلمين وردود أفعال المستقبلين والنماذج الاجتماعية للخطاب، وذلك دون أن يغفل الخصائص التركيبية والدلالية. وهي تدرس في نظر موريس ضمائر التكلم والخطاب وظرفي المكان

1– آن روبول وجاك موشار،التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دعفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2003، ص. 29

2– المرجع نفسه، ص.29

3– عادل مصطفى، مدخل إلى الهيرومينيوطيقا، نظرية الفهم من أفلاطون إلى غادامير، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2003، ص.303

والزمان (الآن،هنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري في التواصل ومع ذلك ظلت التداولية لا تغطي أي بحث فعلي.[1] ونجد تعريفا إدماجيا آخر يقدمه فرانسيس جاك Francis Jacques إذ " تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية، وتواصلية واجتماعية معا".[2]

اكتسبت إذن التداولية عددا من التعريفات وذلك تبعا لمجال اهتمام الباحث نفسه، فقد يقتصر الباحث على دراسة المعنى، ولكن ليس المعنى بالمفهوم الدلالي البحت، بل المعنى ضمن سياق التواصل، مما يمكن أن يُصطلح عليه المعنى لدى المتكلم، فيعرفها تبعا لذلك بأنها " دراسة المعنى التواصلي، أو معنى المتكلم، في كيفية قدرته على إفهام المتلقي بدرجة تتجاوز معنى ما قاله ".[3] وقد يعرفها من خلال اهتمامه بتحديد مراجع الألفاظ، وأثرها في الخطاب، بما في ذلك طرفي الخطاب، وبيان أثرها في تشكيل الخطاب، ومعناه وقوته الإنجازية. والتداولية في هذا السياق هي مجال دراسة الجملة كوحدة لغوية، في ارتباطها بالواقع وفي حالة دخولها عالما ممكنا لترتبط به ارتباطا قيميا.

كما قد تعرف التداولية، من جهة نظر المتكلم، بأنها كيفية إدراك المعايير والمبادئ الموجهة للكلام عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر السياق، بما يكفل له ضمان التوفيق بالنسبة للمتلقي عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه. ومن هذه الرؤى المتعددة تغدو التداولية في معناها العام هي:" دراسة الاتصال اللغوي في السياق".[4] وهذا يعني أن التداولية مهتمة بدراسة أثر السياق في بنية الخطاب، ومرجع رموزه اللغوية ومعناه، كما يقصد المتكلم.

1- روبول، آن وموشلار، جاك، مرجع سابق، ص.29

2- المرجع نفسه، ص.12

3- محمد سالم ولد محمد الأمين، (مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة)، عالم الفكر، الكويت، العدد 28، يناير/مارس، 2000، ص.61

4-عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 1، 2004، ص.22

وقد عمد الباحثون إلى هذا المنهج، ليمدهم برؤى جديدة، نظرا لقصور الدراسات الشكلية، وإهمالها لمقاربة اللغة في تجليها الحقيقي، أي في الاستعمال بين الناس. ولذلك يرى ليفنسون Stephen Levinson أن نشوء المنهج التداولي كان كرد فعل على منهج شومسكي Chomsky في دراسة اللغة بوصفها موضوعا تجريديا، أو بكونها قدرة ذهنية بحتة، بعيدا عن استعمالها ومستعمليها ووظائفها، ثم عرض عددا من العوامل التي كانت وراء تطور المنهج التداولي، إذ كان منها ما يتعلق بالتراكيب، وتحديد المراجع، ومنها ما يتعلق بدلالة الخطاب في السياق، والتعامل الاجتماعي بين طرفي الخطاب.[1]

ويمكن تحديد مهام التداولية الرئيسة وإن كان من المتعذر حصرها جميعا انطلاقا من الحديث عن أكثر الجوانب أهمية. إن المنهج التداولي مهتم بتحليل الشروط التي تجعل العبارات ملائمة ومقبولة في موقف محدد بالنسبة لمستخدمي هذه اللغة أو تلك. وتتبع أثر القواعد المتعارف عليها خلال العبارات الملفوظة. كما تهتم بإيجاد المبادئ الموجهة لفعل الكلام الذي يتم إنجازه بطريقة متشابكة، هذه المبادئ من شأنها أن تجعل الكلام مفهوما. وكما تهدف التداولية إلى البحث في كيفية تماسك ظروف نجاح العبارات اللغوية باعتبارها أفعالا انجازية وتعيين الشروط التي تساعد على نجاح تلك العبارات في مواقف معينة. إن اهتمام التداولية يتمحور حول تحويل مجرى الدراسات التي كانت تركز على البنية المجردة لموضوع العبارة اللغوية مثلما هو عليه الحال في الاتجاه البنيوي إلى الدراسة التي تهتم بإنجاز العبارة. إن هدفها بشكل عام يتمثل في تجاوز الموقف الصوري الذي تبنته الاتجاهات اللغوية السابقة بغية الاهتمام بكافة الشروط المرتبطة بالاستعمال اللغوي انطلاقا من قناعتها بأن للغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية، وظيفة التواصل.[2]

1- المرجع السابق، ص. 9

2 – المتوكل، أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، المغرب، ط1، 1985، ص.8

لقد اهتم أعلام المنهج التداولي بالتأكيد على الكيفية التي يحصل بها الاستعمال اللغوي، والنأي باللغة عن تجريدها من تداولها العادي وهذا ما نجده عند أوستين وسيرل وغرايس. وكان هذا التوجه وليد " فلسفة اللغة العادية " التي أرسى دعائمها فيتغنشتاين. وإذا كانت التدولية قد استمدت مفاهيمها وأفكارها من حقول معرفية متعددة فإن مصدرها الأول هو تيار الفلسفة التحليلية، ومنها مثلا؛ مفهوم "فعل الكلام " ومفهوم " الحوار" في السياق التداولي أي ضمن" نظرية الحوار". أما مفهوم الملاءمة فمستمد من علم النفس المعرفي.[1] إن نظرية الأفعال الكلامية التي أسسها وطورها رواد التداولية انبثقت من الفلسفة التحليلية وبالتحديد من أعمال فيتغنشتاين خاصة تلك المرتبطة بالمرحلة الثانية من تطوره الفلسفي.

ولم تصبح التداولية مجالا يُعتدُ به في الدرس اللغوي إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة هم أوستين، سيرل Searle وغرايس Grice. وخلاصة القول أن هناك إسهامات متعددة أسست للتداولية، لكنا الذي يهمنا في هذا البحث هو أصولوها الفلسفية عند فيتغنشتاين وهو ما تضطلع الفصول اللاحقة ببحثه وتوضيحه. ولا يمكن أن يتم ذلك إلا من خلال تحليل أهم مواقف فيتغنشتاين اللغوية في ترتيبها وحسب مسارها التاريخي مع التركيز على ما هو أكثر أهمية منها.

1 – صحراوي، مسعود ، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص.17

الفصل الثاني:

النظرية التصويرية للغة

1. المبحث الأوّل: القضايا والوقائع
2. المبحث الثاني: الألفاظ والأشياء
3. المبحث الثالث: المعنى في النظرية التصويرية
4. المبحث الرابع: أزمة النظرية التصويرية

المبحث الأوّل:

القضايا والوقائع

يشكل الواقع منطلقا للتحليل في فلسفة فيتغنشتاين لكونه مرآة تعكس ما يمكن قوله بوضوح. ويمكن أن يُعزى هذا الترتيب أو الأسبقية في تحليله للواقع أو العالم قبل اللغة، إلى كون هذا الأخير هو معيار للتحقق من صدق القضايا اللغوية. إلا أن هذا المفهوم ذاته غير محدد، فقد استخدمه ليقصد به أحيانا العالم الموجود بالفعل. أي أن "العالم حدوده الوقائع، وأن هذه الوقائع هي جميع ما هنالك منها"[1] أو أنه "مجموع الوقائع الذرية الموجودة"[2] أي العالم الفعلي أو الواقعي.

وأحيانا يستخدم هذا المفهوم ليشير إلى مجموع الوقائع الموجودة والروابط المنطقية القائمة بينها، وعندها يصبح عالم فيتغنشتاين ليس هو العالم الخارجي بل هو الوقائع بالإضافة إلى الروابط المنطقية القائمة بينها" الوقائع في المكان المنطقي هي العالم"[3]، والتعبير" المكان المنطقي"يقصد به "الروابط المنطقية بين الوقائع"، وفي هذه الحالة يصبح العالم هو مجموع الوقائع الموجودة والوقائع الممكنة أو الموجبة والسالبة.

ومعنى ذلك أنه يستخدم مفهوم "العالم" كجزء من الوجود الخارجي عندما يقصد بالعالم مجموع الوقائع الذرية الموجودة أي أن الوجود الخارجي أشمل وأوسع من مجال العالم،لكنه يطابق أحيانا بينهما إذ يعتبر أن " جملة الوجود الخارجي هي العالم"[4]، وفي هذه الحالة يصبح العالم هو مجموعة الوقائع الموجودة بالفعل أو الموجبة وكذا الوقائع الممكنة أو السالبة.

إذا أخذنا هذا التباين في توظيف مفهومي "العالم" و"الوجود الخارجي"، بما تطرحه الرسالة من معايير منطقية ومن ضرورة التزام الدقة والوضوح والصرامة المنطقية، سنكون أمام غموض يكتنف هذه المفاهيم. الأمر الذي طرح صعوبة على الباحثين في تحديد معناهما

1- فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة:1.11، ص.63

2- المصدر نفسه، العبارة: 2.04،ص.67

3- المصدر نفسه، العبارة:1.13، ص.63

4- المصدر نفسه، العبارة: 2.063، ص.67

الحقيقي، لكننا إذا أخذنا هذا التباين بمعيار أن المعنى موجه أو محدد بالسياق فإن الكثير من الالتباسات ستزول.

وتبعا لذلك، فإن العبارة التي تقول :"والمنطق يملأ العالم وحدود العالم هي أيضا حدوده"[1] تؤكد أن عالم فيتغنشتاين المقصود هنا ليس هو العالم الواقعي الموجود بالفعل، وإنما هو عالم منطقي، بينما تعني العالم الموجود أو المتحقق في العبارات: "العالم هو مجموع الوقائع لا الأشياء"[2]، "فالعالم ينحل إلى وقائع"[3] والعبارة: "والعالم هو مجموع الوقائع الذرية الموجودة"[4]

بدأ فيتغنشتاين في تحليل العالم بقوله أن "العالم هو جميع ما هنالك" [5]، أي أنه يتشكل من كل ما هو موجود أو بمعنى أنه يمثل أجزاء مترابطة فيما بينها. ويتسق هذا التعريف مع مذهب الكثرة أو التعدد الذي يعتبر أن العالم ليس كلا واحدا، وإنما هو كثرة من الأجزاء المترابطة. ومع ذلك، فإن العالم في نظره يأخذ دلالة أنطولوجية،فيعتبره كلا واحدا شاملا لأجزائه. ومكونات العالم هي الوقائع Facts(Tatsachen) " فالعالم هو مجموعة الوقائع لا الأشياء " [6] أي أنه ينحل في النهاية إلى وقائع أو وحدات أولية بسيطة هي الواقع الذرية، وهذه تدخل بدورها في تشكيل وقائع مركبة. وتنحل الوقائع الذرية بدورها إلى أشياء لا تملك وجودها المستقل أو المعزول، أي أن الشيء لا يأخذ وجوده المستقل بل إنه لكي يكون شيئا لابد له أن يدخل في تشكيل واقعة معينة.

وإذا عدنا إلى مفهوم الواقعة لنبحث تعريفها وخصائصها وطريقة فيتغنشتاين في تصنيفها فسنجد أنها تمثل مفهوما أساسيا في نسقه الفلسفي، إن مفهوم الواقعة Fact

1 – المصدر السابق، العبارة 5.61، ص.138

2 – المصدر نفسه، العبارة 1.1، ص. 63

3 – المصدر نفسه، العبارة 1.2، الصفحة نفسها

4 – المصدر نفسه، العبارة 2.04، ص.67

5– المصدر نفسه، العبارة 1، ص.63

6 – المصدر نفسه، العبارة 1.1 ، الصفحة نفسها

(Tatsache) يحتل مكانا مركزيا في تحليل العالم، ويقصد به اختصارا كل ما هو مركب في الوجود الخارجي"إن ما هو مركب في العالم يعتبر واقعة"[1]. وتتكون الواقعة من عدة وقائع ذرية بمعنى أن الأولى مركبة بينما الثانية بسيطة، ويمكن تلخيص الخصائص التي تميز الوقائع عند فيتغنشتاين كما يلي:

أولا: أنها وقائع مركبة من وقائع ذرية، وبالتالي فهي ليست بسيطة، وما هو مركب يقصد به ما هو كائن أوموجود بالفعل.

ثانيا: تتميز بأنها مستقلة أو منفصلة عن بعضها البعض، بحيث لا يمكن إثبات أو نفي واقعة انطلاقا من أخرى " إن العالم ينحل إلى وقائع"[2] و"كل منها يمكن أن تكون ما هو قائم هنالك أو لا تكون، دون أن يؤثر ذلك فيما عداها"[3]. ومن الواضح أن الخاصية الأولى مرتبطة بالوقائع المركبة، بينما الثانية تخص الذرية منها، أي أن جميع الوقائع المركبة قابلة للتحليل إلى أخرى بسيطة أو ذرية كما أن جميع الوقائع البسيطة مستقلة عن بعضها البعض. لكن إذا أخذنا الخاصية الثانية بمعنى عدم قابلية اشتقاق واقعة من أخرى، فإنه يمكن للقضايا المركبة أن تكون هي الأخرى مستقلة عن بعضها البعض. الأمر الذي يعني أن كلتا الخاصيتين تميزان الوقائع المركبة، والفرق بينهما أن خاصية مركبة ضرورية أو جوهرية بالنسبة للواقعة المركبة بينما خاصية مستقلة ممكنة بالنسبة لها، وهذا ما يمكن استخلاصه من العبارة الأخيرة. وما يرجح هذا، أن الخاصية الثانية وردت ضمن تحليله للعبارة الرئيسية الأولى التي تتناول الواقعة بشكل عام، ولم يتعرض للواقعة الذرية حتى وصل إلى العبارة الرئيسية الثانية. وبأسلوب آخر يمكن القول أن خاصية " مستقلة " ترتبط بالواقعة بشكل عام. لكن إذا قبلت إحدى الوقائع أن تكون مشتقة من أخرى، فإنها بالضرورة ليست مستقلة عن هذه الواقعة التي اشتُقت منها.

1- المصدر السابق، ص.34

2- المصدر نفسه، العبارة: 1.21، ص.63

3- المصدر نفسه، العبارة: 1.21، الصفحة نفسها

ثالثا: إن الوقائع تتميز بقابلية الاشتقاق أو التركيب انطلاقا من أشياء لتشكيل وقائع ذرية، أو من هذه الأخيرة لتشكيل وقائع مركبة.كما يمكن لهذه الأخيرة أن تقبل التركيب مرة أخرى، وما هو قابل للاشتقاق هو ما هو ممكن.

هناك انتقال في تحليل فيتغنشتاين للعالم من الكل إلى الجزء ومما هو مركب إلى ما هو بسيط. وهو المسار ذاته الذي اتخذه العلم وهو ينتقل إلى العالم الأصغر، عالم الذرة. وبنفس الكيفية يتشكل تصور فيتغنشتاين للعالم،فكلما انتقلنا إلى ما هو جزئي كنا أمام ما هو أبسط، ولم يكن بإمكاننا أن نستمر في عملية الاشتقاق. لكن الحكم بوجود نهاية للتحليل قد يعني مرة أخرى موقفا فلسفيا تقليديا يقضي بوجود الجوهر الفرد الذي لا يقبل التبسيط. ولما كانت هذه النظرة تتعارض مع حقائق العلم الحديث والذي يواصل غزوه لعالم المادة مؤكدا باستمرار وجود ما هو أبسط من الذرة وما هو أبسط من الإلكترون، كان ولابد من عدم الإقرار مسبقا بوجود نهاية لهذا التحليل.

وفي هذا السياق يمكن أن نفهم إحجام فيتغنشتاين عن عدم تحديد دلالة واضحة للواقعة الذرية وللشيء البسيط معتذرا بأن تحليله لا يتجاوز حدود المنطق. بل إن راسل يعمم ما يمكن تسميته بعدم قابلية التعريف أو صعوبته إلى جميع الوقائع،فتعريفها –حسب تعبيره–هو "ما يجعلها صادقة أو كاذبة".[1] وبالإضافة إلى التصنيف الذي تقدم ذكره أي واقعة مركبة Tatsache، وواقعة بسيطة (واقعة ذرية) Sachverhalt، هناك تصنيف آخر حسب فيتغنشتاين وهو أن الواقعة إما أن تكون موجبة، إذا تطابقت مع ما هو حاصل في الواقع الخارجي أو تكون سالبة إذا أشارت إلى ترابط لا يتحقق مع ما هو حاصل بين الأشياء.هذا عن الواقعة بشكل عام فماذا عن الواقعة الذرية؟

يمثل مفهوم الواقعة الذرية أحد المفاهيم الغامضة في فلسفة فيتغنشتاين فهو يستخدمه بأكثر من معنى. وأدى ذلك إلى ترجمات متباينة، فقد ترجمه راسل إلى الواقعة الذرية

1- المصدر السابق، ص.49

ضمن قوله:" والوقائع التي لا تتركب من وقائع أخرى يسميها فيتغنشتاين بالوقائع الذرية (Sachverhalten) Atomic Facts)، بينما تسمى الواقعة التي قد تتكون من واقعتين أو أكثر بالواقعة المركبة Fact (Tatsache)".[1] وما يسمح بتأييد هذه الترجمة أن الواقعة تُذكر ضمن سياق تحليله للعالم في العبارة رقم (1.1)، بينما وردت كلمة (sachverhlat) لأول مرة في العبارة رقم (2). ومن مؤيدي الترجمة السابقة، أوجدن Ogden مترجم الرسالة المنطقية الفلسفية وكذا فرانك رمزي وأنسكومب[2] G. E. Anscombe تلميذة فيتغنشتاين.بينما يذهب بعض المترجمين والباحثين مثل بتشر Pitcher إلى أن المقصود بكلمة (Sachverhalt) هو"state of affairs" أي حالة الأشياء أو الحالة التي تكون عليها الأشياء.[3] ولا يخالفون ترجمة (Tatsache) بكلمة " واقعة "، بينما يرى آخرون مثل اريك ستينيوس Erik Stenius أنه لا يوجد مقابل دقيق لكلمةSachverhalt بدقة وأن المعنى الأقرب هو النحو الذي توجد عليه الأشياء (How matters stand).[4] ويبدو حسب هذه الترجمة أن الأصل هو الفعل (sich verhalten) بمعنى سلك أو تصرف[5] أي أن المقصود هو الكيفية التي تتصرف بها أو تسلك وفقها الأشياء أو الكيفية التي توجد عليها الأشياء. وترتب عن هذا الخلاف تباين في عدة مسائل منها مثلا:هل الواقعة الذرية ممكنة أم فعلية؟ وهذا السؤال يرتبط بالخلاف الذي سبق عرضه حول معنى اللفظ "Sachverhlat". فمن قبل ترجمة هذا الأخير إلى "واقعة ذرية" مثل راسل ومترجم الرسالة أوجدن اعتبر أن الواقعة الذرية فعلية،بينما أولئك الذين رفضوا هذا الترجمة على أساس

1- المصدر السابق، ص.34

2 - إليزابيث أنسكومب Gertrude Elizabeth Margaret Anscombe (1919-2001) تلميذة فيتغنشتاين المقربة إليه وهي من أصل ايرلندي،رعت أعماله جمعا وتحقيقا، نشرا وترجمة، تعد من بين أهم الفلاسفة الانجليز في القرن العشرين.

3- Pitcher, G. *The Philosophy of Wittgenstein*, Prentice-Hall, N.J, 1964, p.46.

4- Stenius, *E. Wittgenstein's Tractatus*,Oxford Basil Blackwell,2nd.Impression, 1964, p.29

5- Götz Dieter, Hans Wellmann, Langenscheidts Großwörterbuch, 8 Auflage, Langenscheidt , Berlin,1997, p.1046

أن المقصود هو النحو أو الطريقة التي توجد عليها الأشياء مثل ستنيوس، فإنهم قالوا بأن الواقعة الذرية ممكنة. ويحاول كل من الطرفين أن يبرر موقفه استنادا إلى عبارات أخرى في الرسالة، أو على أساس–وهذا بالنسبة للموقف الأول– أن فيتغنشتاين قبل الترجمة التي تمت إلى اللغة الانجليزية أول الأمر، أي أن التبريرات لا تتعدى السياق اللغوي، في حين أنه من الأنسب البحث عن الدلالات في مختلف السياقات. وإذا أردنا فهما أدق لما أراده فيتغنشتاين فإن ما يساعد على ترجمة صحيحة لمفاهيم فلسفته ويلقي الضوء أكثر على معظم التعقيدات التي تنطوي عليها هو السياق العلمي الذي يؤسس لهذه الفلسفة. وللتعرف أكثر على مفهوم "الواقعة الذرية" نحاول تحديد خصائصها المميزة والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولا: هي أبسط ما يمكن أن ينحل إليه الوجود الخارجي أو العالم.

ثانيا: هي بسيطة كواقعة لكنها تقبل التحليل إلى أشياء أو عناصر أبسط منها، أي أن الواقعة الذرية هي مجموعة موضوعات (موجودات – Entities)، أو(أشياء Things).[1] ولكن طالما أن العالم ينحل إلى وقائع وهذه الأخيرة إلى أشياء، فلم اعتبر فيتغنشتاين أن"العالم هو مجموعة الوقائع لا الأشياء"[2] ؟

تبرير ذلك أن الأشياء ليس لها وجود مستقل عن الوقائع التي تدخل في تركيبها، ولا يعقل بالنسبة له وجود الشيء معزولا عن غيره " فمن جوهر الشئ أن يكون مكونا ممكنا لواقعة ذرية ما "،[3] وكما أننا لا نستطيع تخيل الأشياء المكانية خارج المكان ولا الأشياء الزمانية خارج الزمان، فكذلك لا نستطيع أن نتخيل شيئا ما معزولا عن إمكان ارتباطه بأشياء أخرى.[4] ولنا أن نلاحظ هنا كيف أن الأشياء ليس لها وجودها المستقل ومع ذلك

1 – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، 2.01، ص.63

2– المصدر نفسه، العبارة :1.1، الصفحة نفسها

3– المصدر نفسه، العبارة: 2.011، الصفحة نفسها

4 – المصدر نفسه، العبارة: 2.021، ص. 64

فهي أساس وجود الوقائع. أي أن فيتغنشتاين نفى ضمنيا الوجود المستقل للأشياء، أي نفى ما ليس له وجود وفي هذا مخاطرة حقيقية بالنسبة لموقف لا يريد أساسا ميتافيزيقيا للمعرفة.

ثالثا: تتميز الوقائع الذرية بكونها مستقلة أو منفصلة عن بعضها البعض أي أننا "لا نستطيع أن نستنتج من وجود واقعة ذرية ما وجود أو عدم وجود واقعة ذرية أخرى".[1] بعد أن يخطو فيتغنشتاين شوطا في تحليل العالم إلى وقائعه، ثم أشيائه يحاول أن يعرض لنا كيفية تشكل الوقائع الذرية.

رابعا: تتكون الواقعة الذرية بناءً على الصفات أو الروابط أو العلاقات بين الأشياء.أي أن واقعة معينة تكون ذرية لكونها تقوم على تركيبة أو ترابط محدد بين الأشياء، وليست مجرد تراكم اعتباطي بينها أو فوضى من الأشياء.

وهنا يأخذ التحليل مسارا آخر نحو التركيب متجها من الأشياء باعتبارها أجزاء إلى الواقعة الذرية باعتبارها كلا مركبا من أشياء، " التركيبة التي قوامها أشياء هي التي تشكل الواقعة الذرية"[2] ففي الواقعة الذرية تتشابك الأشياء أحدها بالآخر كحلقات السلسلة "[3] أو أن الأشياء " ترتبط ببعضها البعض على نحو محدد"[4]، لكن كيف ارتبطت الأشياء وفق تركيبة محددة؟ أو ما الذي جعلها تقبل علاقات معينة؟حسب فيتغنشتاين فإن هذا السؤال –رغم مشروعيته الفلسفية– هو مما لا يمكن الخوض فيه أو هو مما ينبغي الصمت عنه.

خامسا: للواقعة الذرية "بنية"structure ولها "صورة" forme، وبنية الواقعة هي الطريقة التي تتشابك بها الأشياء في الواقعة الذرية.[5] أما إمكان ترابط الأشياء بكيفية محددة،أي

1 – المصدر السابق، العبارة: 2.062، ص.67

2 – المصدر نفسه، العبارة: 2.0272، ص.66

3 – المصدر نفسه، العبارة :2.03، الصفحة نفسها

4– المصدر نفسه، العبارة :2.031، ص.67

5 – المصدر نفسه، العبارة: 2.032، الصفحة نفسها

إمكان قيام البنية فيدعوه فيتغنشتاين بصورة الواقعة،[1] وهذا يعني أن بنية الواقعة تعكس الطريقة التي تترابط وفقها الأشياء في الواقعة، أي كما هي بالفعل في الواقعة. أما صورة الواقعة فتتعلق بإمكان ترابط الأشياء وفقا لطريقة معينة.مما يعني أن البنية تمثل الواقعي والموجود بالفعل، أما الصورة فتمثل الممكن والموجود بالقوة.

وبأسلوب آخر فإن بنية الواقعة تخص واقعة محددة، بينما صورتها ترتبط بالأشياء التي تتكون منها هذه الواقعة.وقد تعكس الصورة أكثر من إمكانية في الترابط. وتبسيط ذلك بمثال أن نفترض مجموعة الأشياء (ا، ب، ج) ونفترض تمثيلها لواقعة ذرية (ا ب ج). نقول عن الترتيب السابق أنه يشكل بنية، وأنه يشارك بقية الترتيبات في صورة الواقعة،أما بقية الترتيبات فهي:(اج ب)،(ب ا ج)،(ب ج ا)،(ج ا ب)،(ج ب ا).

إذن فالصورة أغنى من البنية وأشمل منها وهي متغيرة بالقياس إليها. ومن اليسير أن نتبين هنا تلك الخلفية التي توجه هذا التحليل فتقوده إلى نهايته المحتومة أو المحددة. إن الواقع ككل يمكن أن يمثل صورة لوقائع تتغير في ترتيبها وروابطها، وتشخيص هذا الواقع أو رصد حالته التي هو عليها يمثل واقعة ممكنة أي بنية، أما تتبع جميع الترتيبات التي تخص هذه الوقائع فيمثل الصورة. ونحن هنا نوظف "الواقع" كمثال بدلا من "الواقعة الذرية" بشكل مقصود، لأن العبرة بالروابط والعلاقات وليس بالأشياء في حد ذاتها. وداخل الواقعة الذرية أيضا يمكن أن نتحدث عن وقائع جديدة، كما يمكن الحديث عن عوالم أخرى خارج العالم.

وعمليات التحويل هذه من مستوى إلى آخر يبررها النموذج العلمي ممثلا في حقائق الفيزياء الدقيقة والكيمياء الذرية. فالصعوبات التي واجهها العلماء في رصد التغيرات السريعة لظواهر الذرة دعت بالضرورة إلى البحث عن نموذج ذري يمكنه التعبير عن تلك

1 – المصدر السابق، العبارة :2.033، ص.67

التغيرات. وهذا النموذج يمثل ما هو ممكن أو هو الصورة بالنسبة للحالات التي يمكن رصدها، وكل من هذه الأخيرة تمثل بنية.إن هذا النموذج يسمح بدمج أكثر من ظاهرة لتفسيرها نسقيا. والضرورة في ذلك هي إرجاع الفوضى إلى النظام وربط المتغيرات بمبدأ ثابت.

سادسا: الواقعة الذرية هي مما يمكن ملاحظته وإدراكه، وهي المعيار الذي نلجأ إليه لنعرف صدق أو كذب القضية الأولية والتي تصور الواقعة أو تأتي رسما لها، فلكي نكشف عما إذا كان الرسم (القضية) صادقا أو كاذبا يلزم أن نقارنه بالوجود الخارجي[1] "إذا يتألف صدق الرسم أو كذبه من اتفاقه أو عدم اتفاقه مع الوجود الخارجي ".[2]

ولكي تتم المقارنة لابد أن تكون الوقائع موجودة بالفعل، بحيث يمكننا استنادا إلى اتفاق القضية أو عدم اتفاقها أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب. ولهذا كان ولابد من عرض الواقعة قبل القضية وتحليل العالم قبل تحليل اللغة.

سابعا: وجود الوقائع الذرية ضروري لكي يكون للغة معنى لأن الوقائع الذرية هي ما يجعل القضايا الذرية صادقة فإن كانت القضية الأولية صادقة كانت الواقعة الذرية موجودة، وإذا كانت كاذبة لم يكن للواقعة الذرية وجود"[3] بمعنى أن الوقائع الذرية يجب أن تكون أسبق في الوجود من القضايا التي يكون صدقها أو كذبها مرهونا بوجود أو عدم وجود تلك الوقائع. "فلا يجوز لنا أن نقول مثلا: (أن العلاقة المركبة "أ ع ب" تعني أن ا ترتبط بعلاقة هي ع مع ب) إنما يجب أن نقول (أن كون "ا" مرتبطة بعلاقة معينة مع "ب" يعني أع ب)"[4]، وهذا الذي نعتمده في معرفة صدق أو كذب القضية هو مبدأ التحقق. إن وجود الوقائع الذرية ضروري كذلك ليوجد العالم أصلا، وفي هذا السياق

1 – المصدر السابق، العبارة :2.223، ص.70

2 – المصدر نفسه، العبارة: 2.222، الصفحة نفسها

3 – المصدر نفسه، العبارة :4.25، ص.100

4- المصدر نفسه، العبارة: 3.1432،ص.73

يمكن أن نفهم قول فيتغنشتاين " حتى لو كان العالم مركبا بطريقة غير متناهية لدرجة أن كل واقعة تتكون من عدد لا متناه من الوقائع الذرية، وكل واقعة ذرية تتكون من عدد غير متناه من الأشياء، فحتى في هذه الحالة لابد من وجود أشياء ووقائع ذرية.[1]

ثامنا:وما يميز الوقائع الذرية أيضا أنها متغيرة،أما الثابت فهو الأشياء التي تتكون منها هذه الوقائع الذرية وحسب قول فيتغنشتاين فإن " الشئ هو الثابت، وهو الموجود، أما المتحول المتغير فهو البناء المركب من أشياء ".[2] و" التركيبة التي قوامها أشياء هي التي تشكل الواقعة الذرية ".[3]

ورغم أن هذا التحليل يبدو للحظة الأولى متسقا فإن حركته قد يختل مسارها، وقد يتوقف متعثرا بين الخطوة والأخرى خاصة إذا انتبهنا مثلا لأسئلة من قبيل: هل هناك واقعة ذرية موجودة بالفعل؟ وما هو الشيء بالضبط ؟ هل من أمثلة واقعية عن كل منها ؟ وإذا عرفنا أن فيتغنشتاين قد رفض أن يقدم أمثلة عن ذلك معتذرا بأنه رجل منطق، فكيف يمكن لمنطقه أن يتطابق مع العالم الخارجي وأن يعبر عن كل ما هنالك ؟ لا يوجد ما يوضح ما هي الوقائع الذرية. ويكتفي فيتغنشتاين بالإشارة إليها رمزيا: ق، ك، ل.... كأنما أراد القول لا يوجد مثال يمكن تقديمه، تمهيدا لدمجها في جهاز منطقي صوري يقابل فيه بين ما يمكن أن ينتهي إليه التحليل وبين ما يمكن قوله.

وهو يريد بذلك تقابلا بين الواقع الخارجي واللغة، والأمر لا يتوقف في نظري على عدم وجود مثال وإنما لأن عملية التحليل ذاتها غير محصورة وإنما هي مستمرة باستمرار اكتشافنا للواقع وتحليلنا لمعطياته. وتحليل المادة لم يتوقف عند حد، بل هو يعلن كل يوم جديد عن وقائع بسيطة داخل الوقائع التي اعتقد الإنسان في الماضي أنها تمثل الحد الأقصى للتحليل، وينجر عن ذلك كما تدل اكتشافات علم الذرة والخلية أنه لا وجود

1 – المصدر السابق، العبارة: 4.2211،ص.99

2– المصدر نفسه، العبارة: 2.0271،ص.66

3– المصدر نفسه، العبارة: 2.0272، الصفحة نفسها

لمعيار يحدد البساطة.هذا التفسير يمكن أن يصبغ المشروعية على نتائج التحليل الذي يمارسه فيتغنشتاين وإلا فمن الصعب إيجاد تسويغ لها. وفي غياب هذا التفسير فإن الأمر لن يتوقف عند دلالة المصطلحات بل سيتعدى ذلك إلى تعارض الأفكار وإن كان أي غموض في طرف سينتقل إلى الطرف الآخر. عندها تأخذ عبارات فيتغنشتاين دلالة متعارضة وتتحول إلى أسرار تطرح تحديها من جديد.

وكمثال على ذلك فإن بعض العبارات توحي بأن المقصود منها أنه لا ضرورة لوجود الواقعة وجودا فعليا.وهذا ما دفع بعض الباحثين مثل يحي هويدي إلى القول بأن الغرض الذي ينشده فيتغنشتاين هو إعدام الوجود المادي ونفي وجود العالم الخارجي.[1]إنه- حسب تعبير يحي هويدي – ينبذ الأشياء المادية ويفرغ العالم من أشياءه ليحوله إلى صيغ لفظية، فهو في نظره فيلسوف عدمي قد أعدم وجود المادة.لكن حقيقة الأمر ليست كذلك، وإنما يسعى مشروع فيتغنشتاين إلى تحليل الوقائع لا بالاستناد إلى العالم الخارجي وما تمدنا به معطيات التجربة المباشرة بل استنادا إلى لغة منطقية تتحقق فيها شروط الدقة والصرامة والشمولية، وتمدنا هذه اللغة ذاتها بوسائل التفكيك والتحليل وتشكل في نفس الوقت منهجا للاستدلال يساعد على معرفة الواقع. وهنا يبدو التماثل ظاهرا بين مسعى كل من الفيزياء النظرية والفلسفة الذرية. فالأولى تستند إلى منهج رياضي فرضي- استنباطي أكثر مما تعتمد على التجربة العلمية التي لم تعد إمكانياتها المخبرية قادرة على التحقق من صحة الفروض العلمية وتفسير الظواهر الذرية التي ابتعدت كثيرا عن مجال الإدراك، والثانية توظف منهجا تحليليا منطقيا لا يتعامل مع الوقائع المنطقية على أنها مما يدرك دوما بشكل مباشر،بل على أنها في مستوى معين تتجاوز هي الأخرى مجال الإدراك المباشر، وهذا ما يبرر ضرورة التحليل.

1- هويدي، يحي ، الفلسفة الوضعية في الميزان،مكتبة النهضة المصرية،1972/1971،ص-ص.75،74

وما يؤكد ذلك أن تغير الواقعة المستمر يجعلها لا تتصف بصفة الوجود الفعلي، كما أن الوقائع الذرية عند فيتغنشتاين بعضها موجب يعبر عن ما هو موجود بالفعل في الواقع وبعضها سالب يعبر عن ما هو ممكن ولكنه غير قائم بالفعل، وأن صدق الموجبة يعود إلى اتصال أجزائها، بينما صدق السالبة يعود إلى عدم اتصال أجزائها. ولكننا عندما نريد الكلام عن العالم فسنذكر جميع الوقائع سواء تلك التي تحقق الارتباط بين أجزائها، أي الوقائع الموجبة أو تلك التي لم يتحقق الارتباط بين أجزائها أي الوقائع السالبة، فإن ثبت بعد ذلك هذا الارتباط أصبحت موجبة. والمقصود هنا أن الوقائع الذرية السالبة ليس لها وجود بالفعل، ومع ذلك فهي جزء من حديثنا عن العالم، أي أن ما يقابلها من قضايا تدخل في وصفنا للعالم.

وانتقالا من الواقع إلى القضايا فإن " الوقائع السالبة ليست إلا تبريرا لنفي القضايا الأولية.[1] غير أن هذا التحليل لا يتفق كلية مع بعض الوقائع السالبة التي تنطوي على انفصال بين مكوناتها لكنها تعبر عن ما هو موجود بالفعل فعندما نقول " الماء لا لون له"أو" ليس للماء لون" فنحن نقر بما هو قائم بالرغم من أن الواقعة سالبة، والحالة العامة التي يندرج تحتها هذا المثال يمكن تسميتها تعريفا بنفي الصفات. الأمر الذي يعني أن الواقعة السالبة قد تعبر عن ما هو قائم بالفعل. ومن الملاحظ أيضا أن تحديد ما هو سلبي من الوقائع يرتبط بما هو ايجابي منها وأن الوقائع السالبة بالرغم من أنها ليست موجودة بالفعل إلا أنها جزء من حديثنا عن العالم، ويترتب عن ذلك أننا لن نختزل اللغة إلى ما هو ضروري منها، وسنقول كل ما يمكن أن يقال. وهذا النتيجة التي ينتهي إليها فيتغنشتاين لا تتسق مع مبدأ الاقتصاد في التعبير أو مع مبدأ أوكام، كأنما أراد أن يقول "كل ما هو واضح ينبغي أن يقال".إن هذه الفكرة لا تتسق مع العلم، فهذا الأخير رغم

1- Wittgenstein, Les Carnets 1914-1916, traduit de l'allemand par Jean-Pierre Cometti, Edition Farrago, 2001, p.94

إنجازاته الكبرى غير قادر بشكل تام على تحديد أو حصر جميع الوقائع الموجبة. فكيف يمكنه تحديد ما هو سلبي من الوقائع؟

ما من شك أن المنهج التحليلي لم يستوعب بشكل دقيق جميع الحقائق العلمية أو أنه يحاول أحيانا القفز فوق إنجازات العلم بالرغم من حرصه الشديد على مسايرة المعرفة العلمية واستلهام منطقها الجديد. إن الحرص على جعل الوقائع السالبة جزءا مما يمكن أن يفكر فيه ومما يمكن أن يقال يحتمل أكثر من تفسير، ومن ذلك مثلا ضرورة أن نستبعد ما لا يمكن أن يقال أو ما هو ميتافيزيقي، ومراعاة لهذه الضرورة قد يضطر فيتغنشتاين إلى التضحية بما هو منطقي.

هكذا ينتهي تحليل القضايا والوقائع إلى نتائج تؤكد وجود تقابل بينهما، ويمكن لذلك أن ينعكس في لغة صارمة دقيقة تجعل القضايا وصفا تاما للوقائع، ثم ينتقل فيتغنشتاين ضمن خطوة لاحقة للحديث عن الألفاظ والأشياء فهل يتخذ التحليل نفس المسار بحثا عن اللغة الأنسب التي يُناطُ بها حل إشكالية المعنى.

المبحث الثاني:

الألفاظ والأشياء

إن اللغة باعتبارها نظاما رمزيا تستند إلى الألفاظ كوحدات بنائية لا تضيف شيئا لما هو موجود في الواقع الخارجي. إن كل ما تقوم به هو تصوير هذا الأخير، حيث يصبح كل اسم مقابلا لشيء. إن الاسم وحده لا يمثل شيئا بقدر ما هو يشير إلى شيء موجود في العالم الخارجي، وترتبط الأسماء ببعضها لتشكل رسما واحدا يمثل الواقعة الذرية.[1] ولكن هل الرسم يمثل الصورة ؟ إن فيتغنشتاين يميز بين الرسم والصورة، فالرسم هو الذي له ما يقابله من وقائع في العالم الخارجي" إن الرسم في حد ذاته واقعة "[2]، أما الصورة فلا تقابلها واقعة في العالم الخارجي بل هي إمكان حدوث الرسم، " ونقصد بالصورة الممثلة للرسم إمكان أن تجيء الأشياء مرتبطة بعضها ببعض على النحو الذي [ارتبطت به] عناصر الرسم".[3]

تنحل الوقائع المركبة إلى وقائع بسيطة، وهذه الأخيرة بدورها إلى أشياء أو عناصر أولية. فالأشياء هي محتويات أو مكونات بسيطة مترابطة على نحو معين تؤلف في تركيبتها "الواقعة الذرية". وهذا الارتباط يسمح بالانتقال من أحدهما إلى الآخر،بالرغم مما يشوبهما من غموض. ويزداد التعقيد والغموض بشكل متزايد كلما اتجهنا من المركب إلى البسيط. وبالرغم من ذلك، فإنه ليس مستحيلا أن نحاول تحديد مفهوم الشيء استنادا إلى ما عرضه فيتغنشتاين وذلك حسب المعاني التي يمكن أن يأخذها مفهوم الشيء والتي طرحت خلافا بين الدارسين. ويمكننا التمييز في هذا السياق بين ثلاثة تعريفات:

1- الشيء هو المفرد، أي الذي لا يمكن أن ينحل إلى ما هو أبسط "الشيء بسيط"[4]، ومعنى ذلك أن الشيء يختلف عن الصفة وعن العلاقة، وهذا موقف بعض

---

[1]- Wittgenstein, *Les Cours de Cambridge 1930-1932*, traduit par Elisabeth Rigal, Édition Trans -Europe Repress, 1988, p. 49

[2] – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة: 2,141، ص. 68

[3]– المصدر نفسه، العبارة: 2,151، الصفحة نفسها

4 – المصدر السابق، العبارة : 2.02، ص.65

الباحثين[1]مثل جورج بتشر George Pitcher وأنسكومب. لكن هذا التعريف لا يفيدنا كثيرا في تحديد المعنى للاعتبارين التاليين:

أولا: لأنه لا يتم بإسناد صفات مميزة للمعرف تحدد المعنى، وإنما تم بنفي صفات أو بنفي صنف من الصفات. كأنما أراد القول أن الشيء هو ما لا يقبل الوصف بقابلية الانحلال. ويأخذ هذا التعريف صيغة الدالة السالبة لأن " قابلية الانحلال" هي تصور صوري وليست صفة. وهكذا، كما هو الحال في مواطن أخرى، يتم اللجوء إلى التصورات الصورية كلما كان من غير الممكن عمليا تحديد المقصود أو كلما استحالت معرفة دلالة المفهوم واقعيا.

إن فيتغنشتاين لم يقدم توضيحا لهذا التعريف لأن أفكاره كما جاء سابقا كانت كالنتائج التي لا يعرف القارئ ما المقدمات التي تستند إليها. ولعل هذا التعريف للشيء يستبطن ولو بصورة غير واعية صيغة تقليدية في تعريف ما لا يقبل التجزئة أي " الجوهر الفرد". وإذا تأكد ذلك فإن هذا المفهوم المركزي في الذرية المنطقية سيبعدها عن الوضوح والدقة ويحيل نسقها إلى فوضى فيوقعها في أخطاء طالما حذرت منها.

ثانيا: إن ما هو مفرد من أشياء الواقع يقبل التحليل إلى أشياء أخرى، مثلا (الكتاب) كشيء (ورق، حبر، غراء...، وتركيبة هذه الأشياء)، وإن كان فيتغنشتاين لم يعترف كمنطقي بوجود مثال مناسب عن الشيء وهذا ما يدعم التفسير الذي عرضته سابقا، أي أن الشيء هو ما يقال على كل شيء ولا يوجد شيء يمكن أن يقال عليه، هذا ما يمكن فهمه من سياق التعريف الأول. لكننا عندما نرد هذه المعطيات إلى السياق العلمي الذي يمثل حسب هذه الدراسة خلفية التفسير فإن نتائج هذا الأخير ستتغير.

1 – عزمي إسلام، لدفيج فيتغنشتاين، دار المعارف، القاهرة،1967، ص– ص.117، 118

2- يستخدم فيتغنشتاين الأشياء أحيانا للدلالة على المعطيات الحسية، إذ يتكلم عن الأشياء باعتبارها" بقعة في مجال الرؤية...عن نغمة ما..عن الصلابة...الخ". ويقترب هذا المعنى من انطباعات دافيد هيوم، ومن مفهوم العناصر النهائية عند أرنست ماخ. إذا ما حاولنا أن نحصل على تحليل فعلي للأشياء فسنلتقي بالألوان والأصوات...الخ بدرجاتها وتغيراتها المستمرة، وبمجموعات منها...مما لا نستطيع أن نعبر عنه كله بواسطة أساليبنا العادية في التعبير

3- يوظف الشيء بمعني أوسع فيتجاوز المعطيات السابقة "المفردات" و"الصفات" ليشمل أيضا العلاقات[1]، وهذا ما يؤيده ايريك ستنيوس Erik Stenius. فالصفة التي تسند كمحمول في واقعة ذرية يمكن اعتبارها شيئا، على أساس أن الواقعة الذرية حسب وصف فيتغنشتاين تتكون من عدد غير متناه من الأشياء مثلا في العبارة التي تقول:"وحتى لو كان العالم مركبا بطريقة غير متناهية [...]،وكل واقعة ذرية تتكون من عدد غير متناه من الأشياء، فحتى في هذه الحالة لا بد من وجود أشياء ووقائع ذرية".[2] لكن هناك ما يتعارض مع هذا المعنى الواسع ففي العبارة (3.1432) يميز من خلال مثال وبصورة واضحة بين الشيء والعلاقة:(ا ع ب) يعني حسب السياق أن العلاقة (ع) ليست اسما لشيء بل هي مما يمكن إظهاره لا قوله أما بالنسبة لـ(ا) و(ب) فهي أسماء لأشياء وهي ما يمكن قوله. والصفات عند فيتغنشتاين إما صورية أو مادية، أما الأولى فهي لا تمثل أشياء، "إن كون قضايا المنطق تحصيلات حاصل، يبرز الصفات الصورية-أي الصفات المنطقية للغة وللعالم"[3]بمعنى أن الصفات الصورية يمكن إبرازها في القضية ولا يمكن تمثيلها بألفاظ لكن الأشياء يمكن تمثيلها أو تسميتها. أما الصفات المادية فهي ليست

[1] - المرجع السابق، ص.116.

[2] - فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة :4.2211، ص.99.

[3] - المصدر السابق، العبارة: 6.12، ص.143.

أشياء لأنها لا تنتج إلا بناء على تشكل الأشياء.[1] ومن هنا فالمعنى الأنسب للشيء هو المفرد البسيط.

وليس هناك ما يثبت بل ما يوحي بتوظيف "الصفة" أو" العلاقة" كـ "شيء" بشكل واضح عند فيتغنشتاين باستثناء عبارة واحدة تقول :" إننا نجد أن الاستعمال المتغير لكلمة " صفة " و" علاقة " يقابله الاستعمال المتغير لكلمة " شيء" "[2] وهذا ما يرجح أن المعنى الأنسب الذي أراده صاحب (الرسالة) للشيء هو المفرد البسيط.

وإلى جانب خاصية البساطة التي تميز الأشياء باعتبارها تشكل نهاية للتحليل فهي تمثل مكونات الوقائع الذرية، وهي تدعى أشياء لأنه لابد لها من أن تشكل مكونات الوقائع؛ " إنه لمن جوهر الشيء أن يكون مكونا ممكنا لواقعة ذرية معينة"[3] أي لا يمكن تصور الشيء دون اتصافه بصفة معينة أو ارتباطه بشيء آخر أو أكثر من شيء بعلاقة ما. وإمكان دخوله في تشكيل واقعة هو ما يدعوه فيتغنشتاين بصورة الشيء "[4].

كما يتميز الشيء بأنه ثابت مقارنة بالواقعة الذرية، إن " الشيء" هو الثابت، وهو الموجود، أما المتحول المتغير فهو البناء المركب من أشياء "[5]، "والتركيبة التي قوامها أشياء هي التي تشكل الواقعة الذرية "[6]

والأشياء هي جوهر العالم، أي أساسه باعتبارها تمثل الثابت الكامن وراء المتغير، إنها بمثابة نقاط الارتكاز التي تسمح برصد التغير، إنها " تكوّن جوهر العالم"[7]

1 – المصدر نفسه، العبارة :2.0231، ص.66

2 – المصدر نفسه، العبارة: 4.123، ص.94

3 – المصدر نفسه، العبارة: 2.011، ص.63

4 – المصدر نفسه، العبارة: 2.0141، ص.65

5 – المصدر نفسه، العبارة: 2.0271، ص.66

6 – المصدر نفسه، العبارة: 2.0272، الصفحة نفسها

7 – المصدر السابق، العبارة: 2.021،ص.65

وتأخذ " الأشياء " هنا دلالة ميتافيزيقية بالرغم من تعارض ذلك مع اتجاه فيتغنشتاين التحليلي اللاميتافيزيقي، بل يحاول تبرير هذه الخاصية بقوله:"إنه إذا لم يكن للعالم جوهر، فإن القول عن قضية ما أنها ذات معنى، سيتوقف عندئذ على أن قضية أخرى تكون صادقة"[1] أي أن غياب الجوهر الثابت والذي يسمح، باعتباره مرجعا أو نقطة ارتكاز، بتحديد معنى القضية وقيمة صدقها، سيضطرنا إلى محاولة اشتقاق المعنى من قضية أخرى صادقة وهذه من ثالثة وهكذا ننحصر في جملة قضايا.

إن استخدام اللغة استخداما صحيحا يفترض وجود " أشياء " تدل عليها "الأسماء" كما أن ترابط الأشياء بطريقة معينة هو ما يسمح بإسناد قيم الصدق للقضايا التي تعبر عن هذا الترابط بين الأشياء. ويمكن النظر للأشياء على أنها مستقلة لها وجودها المنفصل عن الأشياء الأخرى كما يمكن النظر إليها على أنها غير مستقلة عن الأشياء الأخرى والوقائع التي تدخل في تركيبها، فالشيء له وجوده المستقل "بمقدار إمكان وجوده في جميع الظروف الممكنة "[2] و" إنني لو عرفت شيئا ما فإنني كذلك أعرف جميع إمكانات دخوله في الوقائع الذرية. وكل إمكان في هذه الإمكانات لابد أن يكون كامنا في طبيعة الشيء ذاته "[3]. ومعنى ذلك أن الشيء يعرف من خلال مجموع الإمكانات التي تربطه بالأشياء أو أنه مجموع الإمكانات التي يدخل فيها.

ويبدو أننا بصدد تعريف أقرب إلى التعريف الأرسطي للشيء الذي يعتبر أن الخصائص الجوهرية للشيء ليست ما يكون الشيء به وإنما ما لا يكون الشيء إلا بواسطته. كما أن الشيء ليس له وجود مستقل إذا نظرنا لصفته الأساسية عند

1 – المصدر نفسه، العبارة: 2.0211، الصفحة نفسها

2 – المصدر نفسه، العبارة 2.0122، ص. 64

3 – المصدر نفسه، العبارة: 2.0123، الصفحة نفسها

فيتغنشتاين وهي" أن يكون مكونا ممكنا لواقعة ذرية معينة"[1] إن إمكان دخول الشيء في واقعة ذرية ما كامن في طبيعة الشيء نفسه، ونفس المعنى قصده فيتغنشتاين بقوله:" ليس في المنطق شيء عرضي: فإذا أمكن لشيء ما أن يدخل في تكوين واقعة ذرية، فإن إمكان وجود هذه الواقعة الذرية لابد أن يكون مقررا من قبل في ذلك الشيء نفسه" [2] و"لا نستطيع أن نتخيل شيئا ما معزولا عن إمكان ارتباطه بأشياء أخرى".[3] وما يمكن استخلاصه من هذه الأقوال أن دخول الشيء في عدة إمكانات يمثل طابع التغير بالنسبة للواقعة الذرية لأن كل إمكان يشكل واقعة جديدة، أما كون الشيء مستقلا أي ينطوي على إمكانات معينة فهذا يمثل طابع الثبات بالنسبة للشيء. لكن ألا يعني هذا التحليل أننا لا نستطيع أن ندرك الأشياء إلا إذا كانت مرتبطة ببعضها أو إلا إذا دخلت في تركيب واقعة ما، يقول فيتغنشتاين: "والمكان والزمان واللون (التلون بلون ما) كلها صور للأشياء، فهي كلها زمانية ومكانية ولابد أن كثيرا منها ذات لون معين، والأمثلة الواردة في العبارة رقم: 2.0131 عن اللون والصوت والصلابة توضح ذلك: "ليس من الضروري لأية بقعة في مجال الرؤية أن تكون حمراء، لكنها لابد أن تكون ذات لون".[4] لماذا قدم فيتغنشتاين أمثلة عن الأشياء بالرغم من أنه تجنب إعطاء مثال عن الشيء عندما طلب منه؛ ما الشيء؟ من الملاحظ أنه قدم الأمثلة عندما تعلق الأمر بسياق أسئلة غير مباشرة عن الشيء. فما معنى أن تكون الأشياء ملونة حسب ما جاء في العبارة السابقة رقم (2.0131) ؟ ألا يتعارض ذلك مع كون الشيء بسيطا ؟ إن الأشياء بسيطة وبمجرد حصولها على صفة ما فإنها تدخل في بناء واقعة معينة،

1 – المصدر السابق، العبارة :2.011، ص. 63

2 – المصدر نفسه، العبارة: 2.012، الصفحة نفسها

3 – المصدر نفسه، العبارة: 2021، ص. 64

4 – المصدر نفسه، العبارة 2.0131، ص.65

ويترتب عن ذلك أن ما قدمه من أمثلة عن أشياء إنما جاء في سياق اندماجها لتشكيل واقعة ذرية، فهي ليست معزولة عن أية صفة أو لا يمكن وصفها وهي معزولة أو كما قال:"الأشياء لا لون لها " [1] وهذا يعني أن الأشياء بسيطة إلى درجة أنها لا تحمل أية صفة. وإذا أسندت إلى الشيء صفة تشكلت واقعة أو أن الشيء لا يحمل صفة إلا داخل واقعة، وهذا ما عبر عنه بقوله:"إننا لا نعرف الأشياء البسيطة معرفة مباشرة"[2]،أي أننا نعرفها عن طريق الوقائع الذرية التي تدخل في تشكيلها. أما فيما يتعلق بنظرته للصفات فإن فيتغنشتاين يرد الصفات إلى العلاقات، فكون الشيء متصفا بصفة ما يعني أنه يرتبط بشيء آخر بطريقة معينة وهو يميز بين نوعين من الصفات: فهناك صفات داخلية (Internal) وأخرى خارجية (External).

الصفات الداخلية: هي الصفات الأساسية التي لا يمكن تصور الشيء بدونها والصفة تكون داخلية "إذا كان محالا علينا أن نتصور موضوعها خاليا منها".[3] أما الخارجية فهي تلك التي يمكننا إدراكها عندما يدخل الشيء في تكوين واقعة ما أو هي التي :" تنشأ نتيجة لتشكل الأشياء"[4] مثلا أن يكون للقلم لون معين فهذه صفة داخلية، بينما أن يكون لونه أزرقا فهذه صفة خارجية أو مادية كما يسميها فيتغنشتاين. إن الصفة الداخلية ضرورية حتى يكون هناك قلم بينما الثانية ليست ضرورية وإنما هي ممكنة، إذ يمكن تصور الشيء بدونها. وفي حقيقة الأمر فإنه بالقياس إلى نسق فيتغنشتاين تتحول الصفة إلى صنف صفة، فأن يكون لشيء ما

1- المصدر السابق، العبارة: 2.0232، ص.66

2- Wittgenstein,L., Les Carnets 1914-1916, Traduit par Jean-Pierre Cometti édition Farrago, 2001, p.50

3- فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة :4.123،ص.94

4- المصدر نفسه، العبارة: 2.0231، ص.66

لون أو أن يكون له شكل ليست صفة وإنما صنف صفة لكونها تمثل مجالا لصفات مثلا بالنسبة للألوان كونها عاكسة أو ممتصة للضوء.

ومجموع أصناف الصفات تحدد إمكانات دخول الشيء في تكوين علاقات، أو أن هذا المجموع يحدد المجال الذي يحصر الصفات الخارجية. فالقلم له لون، شكل، وزن، حجم، هذه أصناف صفات بينما أن يكون أزرقا، وله شكل معين، ووزن محدد، وحجم كذا فهذه صفات خارجية (مادية). وفي هذا المثال، يمكن أن نلاحظ كيف تمثل الصفات الداخلية أصناف صفات أو تصورات صورية وعند إسنادها إلى الأشياء يصبح التركيب بين الشيء والصفة تعبيرا عن واقعة، وهي ليست قضية ذرية بل قضية مركبة فعندما نقول مثلا ؛"شيء ما (أ) له لون" فنحن لا نشير إلى شيء ما في الواقع.

والملاحظ أيضا أن الشيء لم يعد ثابتا، لأن الصفات الخارجية متغيرة بالنسبة للشيء الواحد، فاللون قد يتغير بتغير زوايا النظر ودرجة الإضاءة... والأهم من هذا أن هناك إمكانية تجعل الشيء قابلا للتحليل مرة أخرى كما تدل الممارسة العلمية، فسرعان ما يُظهر التحليل أنه ينطوي على أشياء بل وقائع، وبالتالي نظاما من الأشياء. لقد اعتقد العلماء عند اكتشاف الذرة لأول وهلة أنهم وضعوا أيديهم على ذلك الجوهر الفرد الذي افترضه الفلاسفة كأبسط جزء للمادة، لكن الأبحاث أظهرت لاحقا أننا أمام عالم فريد من الأشياء والوقائع.

إن الأشياء الواردة سابقا كأمثلة (قلم، كتاب، طاولة) ليست بسيطة بالمعنى الدقيق.ومثال ذلك أشياء توحي بأنها تشكل نهاية التحليل(خلية، ذرة، نواة، إلكترون)، أي أنها جميعا ليست أشياء بالمعنى المنطقي، فما هو الشيء إذن؟ إن نظرية فيتغنشتاين لا تأخذ المسألة بمنظور ستاتيكي لأنها تنفر من الثبات،ولا تريد أن ترسي تعريفا تاما للشيء لأنها بالأساس لا تبشر بنتائج قد تم الوصول إليها، وإنما

هي تطرح ممارسة أو فعالية وتوظف منهجا يستلهم إلى حد كبير نتائج الإبداع العلمي ويساير خطواته ويتفاعل في نفس الوقت مع ما يعترضه من عوائق وأزمات.

إن الأشياء هي مجرد مفاهيم إجرائية أو فروض تؤدي وظيفتها داخل نسق شامل ونفس الأمر بالنسبة للوقائع الذرية، وهي كذلك طالما أن التحليل عملية مستمرة. ونحن لا نملك دليلا على أن هذه العملية ستقف عند حد، وما نختاره أو ندعوه أشياء إنما يخص مجالا أو مستوا معينا من مستويات التحليل. هذا المعنى هو الأنسب لمفهوم "الشيء"، وهو يقترب كثيرا مما قصده راسل في مقدمة"الرسالة ": "إن فيتغنشتاين لم يذهب إلى (أنه) يمكننا أن نقول فعلا ما هو بسيط أو أن نعرفه معرفة تجريبية، لأنه ضرورة منطقية تتطلبها النظرية مثل: الإلكترون. وأساس اعتقاده وتسليمه بضرورة وجود هذه البسائط هو أن ما هو مركب، يفترض دائما أسبقية وجود الواقعة.[1]

وذهب فيتغنشتاين نفسه إلى القول بأننا لا نستطيع أن نتكلم عن وجود الأشياء ولا كيف تكون وكل ما نستطيع قوله هو تسمية الأشياء فقط، "ولا يسعني إزاء الأشياء إلا أن أسميها، فيكون لكل منها علامة تمثلها..... وكل ما تستطيعه القضية هو أن تقول كيف يكون الشئ لا ماهيته ".[2]

إن رد العالم إلى وقائع ذرية أولية تنحل إلى أشياء بسيطة يمثل نظرة ميتافيزيقية، حيث تكون الأشياء ماهيات وجودية بسيطة ونهائية يتكون منها العالم، وهي عندئذ أشبه ب"موندات" ليبنز و"أشياء" وايتهد و"ماهيات" جورج سانتيانا (1863-1952) George Santayana. لكن " الأشياء " عند فيتغنشتاين ليست تجريدية ونظرية إلى الحد الذي يجعلها تدخل فيما هو ميتافيزيقي بشكل مطلق. بل إنها ذات صلة بالواقع

1 – المصدر السابق، ص.38

2 – المصدر نفسه، العبارة: 3.221، ص.74

وبمستوى التطور العلمي، إنها تستوعب ما هو حاصل من تحول حاسم في مجال العلوم المادية خاصة الفيزياء.

إن الشئ ليس مستقرا وثابتا بشكل نهائي، بل هو متحول ومتغير باستمرار وبشكل يتناسب طرديا مع ازدياد فاعلية التحليل التي تنقلنا من مستوى إلى آخر. وتفكك ما كان بالأمس بسيطا ليصبح عالما جديدا من الأشياء والوقائع. ويمكن أن نفسر عدم اهتمام فيتغنشتاين برد المفاهيم والأفكار إلى سياق علمي محدد وعدم إقحام علم معين كي يمثل نموذجا أو تجليا لما يتم عرضه من بناء منطقي إلى حرص فيتغنشتاين على أن تكون فلسفته ولغتها المنطقية أساسا مشتركا لجميع العلوم. إن هذه النظرية الذرية للعالم قد مثلت مرحلة من مراحل فلسفة فيتغنشتاين، حيث كان لا يزال متأثرا بالفلسفة المثالية وظل خلالها يعتبر أن العبور إلى المعنى يتحقق عن طريق تحليل العالم والأشياء، ويقتضي ذلك إيجاد لغة مثالية أو كاملة منطقيا يمكنها أن تعكس بنية العالم. غير أنه انتقل تدريجيا إلى تحليل اللغة والفكر، وتزامن ذلك الانتقال مع رفض للأفكار السابقة، ليكتشف أن مشكلة المعنى ينبغي أن تعالج في إطار اللغة. وأصبح يعالج قضايا العالم ومكوناته بصورة غير مباشرة من خلال اللغة. ولم تعد هذه الأخيرة بالنسبة له مجرد وسيلة للتعبير عن قضايا ذات صورة منطقية ثابتة بحيث تصور القضايا والوقائع تبعا لقواعد محددة. فكيف عالج هذا الموقف اللغوي الذي تبناه فيتغنشتاين في مرحلة أولى إشكالية المعنى وما الدور الذي صارت تمثله اللغة حسب مشروع التحليل المنطقي للغة ؟

المبحث الثالث:

المعنى في النظرية التصويرية

تمثل اللغة محورا أساسيا في فلسفة فيتغنشتاين وهو يتناول في هذا الموضوع معنى اللغة ووظيفتها ومنطقها وحدودها، بيد أننا لو ركزنا على الوظيفة–كما قال صلاح إسماعيل– لتجلت الجوانب الأخرى بشكل أوضح.[1] إن اللغة عند فيتغنشتاين تقترب من معنى الفكر، فهما في نظره وجهان لعملة واحدة. وقد ذهب في مقدمة كتابه " رسالة منطقية فلسفية " إلى أن الهدف فيه هو إقامة حد للتفكير أو على الأصح إقامة حد للتعبير عن الأفكار أما ما يقع خارج مجالي الفكر واللغة فلا معنى له [2]

" إن اللغة هي مجموع القضايا" [3] والقضايا ليست إلا جملة من الأفكار "و الفكر هو القضية ذات المعنى".[4] القصد من ذلك أنه يرفض الفصل بين الفكر واللغة، وبين اللفظ والمعنى. كما أنه يرفض أن تكون وظائف الفكر وعملياته أشبه بالأحداث المختفية وراء السلوك اللغوي أو أن تكون الألفاظ في دلالتها الأولية لا تشير إلا للأفكار القائمة في ذهن قائلها كما اعتقد جون لوك. وفي كتابه " أبحاث فلسفية" يتعرض مرة أخرى لنفس الموضوع، فيحلل الرأي التقليدي لدى بعض الفلاسفة خاصة التجريبيين والذي يفصل بين اللفظ ومعناه أو بين الفكرة الذهنية والألفاظ المعبرة عنها والذي يجعل التفكير سابقا للتعبير بحيث تكون عمليات التفكير كالتذكر والتخيل عمليات خبيئة وراء السلوك اللغوي. وينتهي التحليل إلى رفض هذا الفصل وفي هذا السياق يتساءل فيتغنشتاين: " كيف يمكن أن تكون عملية الفهم خبيئة عندما أقول (أنني أفهم الآن لأنني فهمت)، كيف أعرف ما يجب علي أن أبحث عنه؟"[1]

---

[1]- صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، مرجع سابق، ص.70

[2]- فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، ص.59

[3]- المصدر نفسه، العبارة:4.001، ص.82

[4]- المصدر نفسه، العبارة: 4، الصفحة نفسها

5-Wittgenstein, L., *Investigations Philosophiques*, traduit de l'Allemand par Pierre Klossowski, Gallimard, Paris, 1961, ch. I, §135, p.179

إنه من الأنسب لنا – حسب فيتغنشتاين– أن لا نفكر في الفهم على أنه "عملية عقلية" على الإطلاق، إذ لا وجود لعمليات عقلية مستقلة بصورة تامة عن سلوكنا اللغوي الفعلي. هنا يتبنى فيتغنشتاين بصورة واضحة موقف المدرسة السلوكية في تفسير مثل هذه الظواهر النفسية. ويترتب عن ذلك أن الفهم والتفكير والتذكر والحب والأمل ليست عمليات عقلية خالصة، بل هي استجابات سلوكية في سياقات معينة.

إذا كان تحليل العالم قد انتهى إلى الأشياء فإن تحليل اللغة ينتهي إلى الأسماء، ولكن ما هي العلاقة بين اللغة والعالم، أو بين الأسماء والأشياء؟ إن إجابة فيتغنشتاين عن هذا السؤال في فلسفته الأولى تتمثل في نظريته التصويرية للغة. ووظيفة هذه الأخيرة في الرسالة هي تصوير الواقع الخارجي، "إن القضية لا تثبت شيئا إلا بقدر ما هي رسم له "[1] ويوضح ذلك فيتغنشتاين أكثر فيقول: " إن كل اسم واحد يقابله شيء واحد، والاسم الآخر يقابله شيء آخر، ثم ترتبط هذه الأسماء بعضها ببعض بحيث يجيء الكل بمثابة رسم واحد يمثل الواقعة الذرية "[2] والقضية يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة لكونها تمثل رسما للوجود الخارجي أي باعتبارها " وصف لواقعة من الوقائع "[3] التي ينحل إليها العالم. ولا يعني ذلك أن القضية رسم عادي – أي مكاني– للواقعة وإنما هي بالأحرى "رسم منطقي". "و ما تلك الصلة أي صلة القضية بالواقع –في الحقيقة إلا كون هذه القضية رسما منطقيا لهذا الأمر من أمور الواقع".[4] أما الشروط الضرورية لتمثل قضية رسما لواقعة معينة فهي أن يكون هناك اتساق بين العناصر المكونة للرسم وأن تخضع هذه الأخيرة إلى علاقة ترتيب معينة وأن تكون هناك علاقة تناظر بين القضية وما جاءت لترسمه، بحيث يمكننا تطبيق قواعد الإسقاط بين

[1]– فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة: 4.03، ص.87

[2] – المصدر نفسه، العبارة: 4.0311، الصفحة نفسها

[3] – المصدر نفسه، العبارة: 4.023، ص.86

[4] – المصدر نفسه، العبارة: 4.03، ص.87

الطرفين عندها يمكن للقضية أن تمثل رسما منطقيا للواقعة. غير أن هذه الشروط هي ذاتها مسلمات النظرية التصويرية للغة، وهي تدخل –حسب نسق فيتغنشتاين – ضمن ما يظهر أو يتجلى في اللغة ولا يمكن التعبير عنه.

والخلاصة أن هناك تقابل بين اللغة والعالم الخارجي ويمكن تبسيط ذلك كما يلي:

(اللغة..العالم)، (القضايا..الوقائع)، (القضايا الذرية.. الوقائع الذرية)، (الأسماء..الأشياء)

إن الوظيفة التي أسندها فيتغنشتاين للغة في فلسفته الأولى تجعل لغة الفرد مرتبطة بخبرته الخاصة أي أن ما يقع في خبرته من وقائع هو الذي يحدد عدد القضايا الأولية التي يمكنه معرفتها فيصبح محدودا بنطاق عالمه الأمر الذي جعل فيتغنشتاين يقول: " أنا هو عالمي (عالمي الصغير) "[1] لأن " حدود لغتي تعني حدود عالمي "[2]

ولما كانت الخبرة مختلفة بين الأفراد كان التفاهم أمرا متعذرا وهذه إحدى نتائج " الأنا واحدية "التي سعى فيتغنشتاين في فلسفته الثانية إلى تفاديها ليعود إلى المفهوم العادي للغة ووظيفتها الاجتماعية.

وتفسير هذا الخلاف بين المرحلتين أنه في الأولى كان منشغلا بالبحث عن لغة منطقية مثالية يمكنها أن تساعد على وضع صياغة أكسيومية للمعرفة، وهذا تحت تأثير الانجازات الرياضية والمنطقية، أما المرحلة الثانية وبعدما تبين فشل المشروع الأول أصبح البديل بالنسبة له هو تأسيس نظرية لغوية تهتم بقواعد الاستخدام اللغوي. ومن الملاحظ أن أفكاره في المرحلة الثانية تعكس اهتماما متزايدا بموضوع اللغة الذي ظل يشكل الموضوع المحوري في فلسفته، كما تعكس أيضا تأثره بنتائج الثورة العلمية الكبرى في مجال اللسانيات وعلم النفس، حيث سعى فيتغنشتاين في هذه المرحلة إلى

[1] – المصدر السابق، العبارة: 5.63، ص.139

[2] – المصدر نفسه، العبارة: 5.6، ص.138

تأسيس نظرية في فلسفة اللغة تهتم بتحديد قواعد ومنطق الاستخدام اللغوي.و أهم ما يتضمنه موضوع اللغة هو تحليله الخاص للقضايا والذي تناول فيه معنى القضية وتصنيفها وشروط الصدق المنطقي.

اللغة كما عرفنا سابقا عند فيتغنشتاين هي ما يمكن قوله من قضايا، والقضية قول مفيد يحتمل الصدق أو الكذب،و يمكن أن نتناول تحليله للقضايا بصورة موجزة مع محاولة مواجهة الإبهام أو الغموض الذي يكتنف هذا الموضوع فما هو المقصود بالقضية ؟

أولا: معنى القضية عند فيتغنشتاين مستقل عن كونها صادقة أو كاذبة، ومعنى قضية " هو أن نعرف ما هنالك إن كانت صادقة. (ولذا فيمكننا أن نفهم القضية بدون أن نعرف ما إذا كانت صادقة أم لا)، وإننا لنفهمها إذا فهمنا الأجزاء التي تتكون منها"[1]،" يجب أن نكون قادرين على فهم القضية دون معرفة ما إذا كانت صادقة أو كاذبة".[2] ويترتب عن هذا أن القضية ينبغي أن تقول شيئا وإن كان كاذبا، وأنه بإمكاننا أن نفهم المعنى وإن تم تركيب القضية بصورة لم نألفها. وهذه إحدى فرضيات فيتغنشتاين التي تؤسس لنظرية النحو التوليدي Generative Grammar قبل تشومسكي، إذا جاء في مذكراته:" يجب أن نكون قادرين على فهم القضايا التي لم نسمع بها أبدا من قبل".[3] وجاء في الرسالة: "إنه لشيء جوهري بالنسبة للقضايا أنها تنقل إلينا معنا جديدا".[4]

والفرق بين القضية والاسم، أن للقضية معنى سواء كان لها ما يقابلها في الوجود الخارجي (إذا كانت صادقة) أو لم يكن ما يقابلها في الوجود الخارجي (إذا كانت

1 – المصدر السابق، العبارة: 4.024، ص. 86

2 - Wittgenstein, L., *Notebooks1914-1916*, translated and edited by Anscombe, G.E., Basil Blackwell, Oxford, 1961, p.9

3 – Ibid., p.98

4 - فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة : 4.027، ص.86

كاذبة)، أما الاسم فلا يكون له معنى إلا إذا كان هناك ما يقابله في الوجود الخارجي لأن معنى الاسم هو الشيء المسمى بهذا الاسم ؛ " إن الاسم يعني الشيء، والشيء هو معناه"،[1] الاسم له "دلالة" (Bedeutung، Reference) بينما يكون للقضية "معنى" (Sense ،Sinn).

وبالنسبة لمفهوم " القضية" فإن فيتغنشتاين يوظفه بمعنيين مختلفين يمكن إيجازهما كما يلي:

المعنى الأول: القضية رسم للوجود الخارجي، إنها تصفه لكونها تمثل رسما له، بينما الاسم يشير إلى الشيء مباشرة ولا يصفه ويعبر فيتغنشتاين عن ذلك بقوله: " إننا بدلا من أن نقول إن هذه القضية تعني كذا وكذا يمكننا أن نقول إن القضية تمثل هذا الأمر أو ذاك من أمور الواقع "[2]، " فالقضية رسم للوجود الخارجي لأنني أعرف حالة الواقع الذي جاءت تمثله،وذلك إذا فهمت القضية"[3] ولذا "فالذي يمثله الرسم هو معناه "[4]

المعنى الثاني: القضية اتجاه يوضح سير القضية أي أن لها مقصد مرتبط بالواقعة أو الوجود الخارجي ولذا فهي أشبه بالسهم: " إن الأسماء تشبه النقط بينما القضايا تشبه السهام، ولذا فهي لها مقصد "[5] ويرتبط معنى القضية بالوجود الخارجي الذي يؤخذ كمعيار لصدقها. ولما كانت القضية مؤلفة من أسماء والواقعة من أشياء كان لابد أن تحويان نفس الكثرة المنطقية بحيث كل اسم في القضية يقابله شيء في الواقعة، و"تترابط الأسماء فيما بينها بحيث يجيء الكل بمثابة رسم واحد يمثل الواقعة الذرية "[6]

1 – المصدر السابق، العبارة: 3.203، ص.73

2 – المصدر نفسه، العبارة، 4,031، ص.87

3 – المصدر نفسه، العبارة: 4.021، ص. 85

4 – المصدر نفسه، العبارة: 3.144، ص.73

5 – المصدر نفسه، العبارة: 4.0311، ص.87

6 – المصدر نفسه، العبارة: 4.064، ص.90

وحتى تكون القضية صادقة ينبغي أن تكون رسما يتناول جميع الأشياء الموجودة في الواقعة، وأن تترابط الأسماء فيها بكيفية مطابقة للعلاقة بين الأسماء، أما إذا لم ترسم بشكل دقيق الكيفية التي تترابط بها الأشياء التي نسميها فإنها ليست صادقة. ويقوم الصدق المنطقي كما نلاحظ هنا على التساوي والتقابل بين مكونات كل من القضية ومكونات الواقعة وهذه الشروط تدخل ضمن فكرة وجود تطابق بين اللغة والواقع وبين اللغة والفكر، تلك الفكرة التي تمثل مسلمة أساسية في نسق فيتغنشتاين.

ثانيا:لا يحتاج معنى القضية إلى إثبات لأن معناها هو ما تثبته القضية." فكل قضية يجب أن تكون ذات معنى بالفعل، وإثباتها لا يضيف إليها معنا، لأن ما تثبته هو معناها نفسه. وإن هذا ليصدق أيضا على حالة النفي..الخ"[1]

ولكن ما الذي تثبته القضية ؟ إنها" لا تثبت شيئا إلا بقدر ما هي رسم له"[2]

والقضية رسم للوجود الخارجي لأنني أعرف حالة الواقع الذي جاءت تمثله، وذلك إذا فهمت القضية "[3] وباعتبار أن الوجود الخارجي " هو وجود وعدم وجود الوقائع الذرية "[4] فإن ما تمثله القضية هو " وجود وعدم وجود الوقائع الذرية "[5]

ثالثا: مجموعة القضايا الصادقة تمثل صورة لجملة الوقائع أو أن جملة القضايا الصادقة هي بمثابة الرسم الذي يصور العالم الموجود بالفعل، أما مجموع القضايا الأولية فهي الوصف الكامل للعالم ؛" إن مجموع القضايا الصادقة هو كل العلم الطبيعي (أو هو كل العلوم الطبيعية) "[6]، كما أن " استقصاء جميع القضايا الأولية

1 – المصدر السابق، العبارة : 4.064، ص. 90

2– المصدر نفسه، العبارة: 4.03 ص.87

3 – المصدر نفسه، العبارة: 4,021، ص.85

4 – المصدر نفسه، العبارة: 4.1، ص.91

5 – المصدر نفسه، العبارة: 4.1، الصفحة نفسها

6– المصدر نفسه، العبارة: 4.11، الصفحة نفسها

يقدم لنا وصفا كاملا للعالم "[1]. وإذا كانت القضية الصادقة تشير إلى أن الأشياء تترابط على نحو ما، فإن القضية الكاذبة لا تشير إلى الكيفية التي تترابط بها الأشياء الموجودة إنما إلى كيفية ممكنة، إذن فالقضية الكاذبة هي واقعة ممكنة لا فعلية.

وجميع القضايا الصادقة والكاذبة تصور جميع الوقائع الموجودة، وغير الموجودة الممكنة مادمت الأشياء التي تتكون منها موجودة. وإذا أردنا وصفا كاملا للعالم فإن ذلك سيتطلب منا عرض القضايا الأولية جميعها صادقة كانت أم كاذبة، وفي هذا السياق يقول فيتغنشتاين: " إن العالم يوصف وصفا كاملا عن طريق استقصاء جميع القضايا الأولية، بالإضافة إلى ذكر ما هو صادق منها وما هو كاذب "[2]

رابعا: معنى القضية هو ما تظهره لا ما تقوله، فمعناها أو ما تظهره أن الأشياء توجد على كيفية محددة عندما تكون القضية صادقة أما ما تقوله فهو أن الأشياء توجد على هذه الكيفية أو تلك. أي أن إظهار القضية لمعناها هو أن تظهر كيفية وجود الأشياء في واقعة ما وهي تظهر ذلك باعتبارها رسما لهذه الواقعة وذلك بأن تكون لكلتيهما نفس الصورة المنطقية. وأن تكون لهما نفس الصورة المنطقية هي أن ترتبط أشياء الواقعة بعلاقات داخلية فيتكون بذلك بناء الواقعة وأن ترتبط ألفاظ القضية بعلاقات داخلية فيتكون بناء تلك القضية.

وإذا كانت الطريقة التي تترابط بها الأسماء هي نفسها الطريقة التي تترابط بها الأشياء كانت القضية رسما صادقا للواقعة، أو إذا كانت الصفات الخاصة بالبنية أي بنية القضية أو بنية الواقعة (يسميها فيتغنشتاين الصفات الداخلية) متماثلة فإن القضية تكون رسما صادقا للوجود الخارجي. إن الصفات الداخلية والتي يسميها فيتغنشتاين أحيانا صورية هي مما لا يمكن التعبير عنه بالألفاظ أو مما لا يمكن قوله أو مما يبدو

1 – المصدر السابق، العبارة: 4.26، ص.100

2 - المصدر نفسه، العبارة: 4.26، الصفحة نفسها

في القضية لا مما يقال. ويعبر عن ذلك فيتغنشتاين بقوله:"وجود صفة داخلية لأمر ممكن ما من أمور الواقع، لا يعبر عنه بواسطة قضية، بل هي تعبر عن نفسها في القضية التي تمثل الشيء، بواسطة الصفة الداخلية الخاصة بهذه القضية "[1]

خامسا: يعتبر فيتغنشتاين أحيانا أن القضية واقعة من الوقائع، وأحيانا لا يراها واقعة بل يذهب إلى أن علامة القضية هي التي تكون واقعة، فهو يعتبر أن"القضية رسم للوجود الخارجي،هي نموذج للوجود الخارجي على النحو الذي نعتقد أنه عليه".[2]

ويرى أن الرسم في حد ذاته واقعة من الوقائع مثلا في قوله "إن الرسم واقعة"[3] بينما نجده أحيانا يعتبر أن علامة القضية لا القضية هي الواقعة، إذ يقول: " إن علامة القضية واقعة "[4]، وعلامة القضية هي الكلمات التي يتكون منها التعبير في القضية سواء كانت هذه الكلمات منطوقة أم مكتوبة، يقول : " علامة القضية قوامها كون عناصرها – أي كلماتها – مترابطة فيها بطريقة معينة "[5] أي أن علامة القضية ليست إلا العلامات "Signs" التي يمكن إدراكها بالحواس في القضية، مثل الحروف المكتوبة أو المطبوعة على الورق أو درجات الصوت التي نسمعها، وعلامة القضية ليست مجرد مجموعة من العلاقات البسيطة أو الأسماء بل أيضا الكيفية التي يحصل بها الترابط بين العلامات،فإذا اتفق هذا الترابط بين العلامات مع ترابط الأشياء في الخارج كانت القضية صحيحة.

[1] - المصدر السابق، العبارة: 4.124، ص. 94

[2] - المصدر نفسه، العبارة: 4.01، ص.84

3 – المصدر نفسه، العبارة: 2.141، ص. 68

4 – المصدر نفسه، العبارة: 3.14، ص. 72

5 – المصدر نفسه، العبارة: 3.14، الصفحة نفسها

سادسا:إن القضايا تنحل إلى قضايا أو وحدات بسيطة أو أولية أو ذرية، بحيث كل من هذه الأخيرة تقابل واقعة ذرية، إن جميع "القضايا عبارة عن دالات صدق للقضايا الأولية والقضية الأولية هي دالة صدق نفسها "[1]

إن المهمة الأساسية التي رسمها فيتغنشتاين للفلسفة هي التحليل المنطقي للغة. وذلك لمواجهة التضليل والخلط الذي حصل بسبب سوء فهم الإنسان لمنطق اللغة، مما جعله يتخبط باحثا عن حلول لإشكالات لا أساس لها. والخلاص من هذا الوضع يستدعي بذل جهد فلسفي. إن هذه الفاعلية أو النشاط أو المنهج التحليلي يوضح لنا حدود التفكير وقواعده المنطقية أو بالأحرى يضع حدودا للتعبير عن الأفكار.

إن معظم الأسئلة أو القضايا التي طرحها الفلاسفة ليست كاذبة بل هي خالية من المعنى، "والذي دعا إلى إثارة هذه المشكلات هو أن منطق لغتنا منطق يساء فهمه"[2] والفهم الصحيح للفلسفة هو:"ألا نقول شيئا إلا مما يمكن قوله، أي قضايا العلم الطبيعي،أي شيئا لا علاقة له بالفلسفة." [3]

ويرجع فيتغنشتاين القضايا الميتافيزيقية الناتجة عن سوء فهمنا لمنطق اللغة إلى عدة أسباب منها:

1- عدم التمييز بين الصورة المنطقية للقضايا وبين صورتها الحقيقة، ويعترف بأسبقية راسل في التمييز بينهما، "وفضل راسل يعود إلى أنه قد أوضح أن الصورة المنطقية الظاهرة للقضية ليست بالضرورة هي صورتها الحقيقة".[4] وذلك لأن الكلمة الواحدة قد تكون ذات معنيين مختلفين من قضية لأخرى أو أن نجد كلمتين لهما دلالة مختلفة ولكنهما تستخدمان بطريقة واحدة في القضية. ومثال ذلك فالفعل المساعد في اللغة

1 - المصدر السابق، العبارة: 5، ص.107

2 - المصدر نفسه، ص.59

3 - المصدر نفسه، العبارة: 6.53، ص. 163

4 - المصدر نفسه، العبارة: 4.0031، ص. 83

الانجليزية (To be) يستخدم كرابطة بين الموضوع والمحمول ويستخدم كعلامة مساواة. وكلمة (Like) ترد بمعنى متماثل، متشابه وكذا بمعنى يرغب أو يفضل.

وهو يعني بذلك أن استخدامنا للكلمات في سياقات يكون للكلمات فيها معنى، يدفعنا للاعتقاد بأن وجود هذه الكلمات في سياقات أخرى لها نفس الصورة المنطقية الظاهرة للسياقات الأولى يجعلنا نعتبر أن لهذه الكلمات معنى في هذا السياق الجديد، في حين أنها تكون خالية من أي معنى. واستنادا إلى أمثلة فيتغنشتاين فإننا نظن بوجود صورة منطقية مشتركة للعبارتين "I am existing" "I am going" مما يدفعنا للاعتقاد بأن " موجود " كخبر في العبارة الأولى هي من نفس النمط المنطقي لكلمة "ذاهب" كخبر في الجملة الثانية. ولتفادي هذا الخلط لابد من جهاز رمزي لا تستخدم فيه العلامة الواحدة لرموز مختلفة، أي الكلمة الواحدة لدلالات متعددة. ولا تستخدم فيه العلامات بنفس الطريقة على حين أنها تكون ذات دلالات مختلفة.[1]

2- الظن بأن معاني الكلمات أشياء يمكن الإشارة إليها بقولنا هذا هو المعنى، وهذا ما وقع فيه فريجه وراسل حين تساءلا ما هو العدد (2)؟ كأن للعدد (2) معنى محدد يمكن الإشارة إليه.

3- الخلط بين التصورات الصورية (أي المعاني الكلية) وبين تصوراتنا عن الأعلام، فالتصورات الصورية أي المعاني الكلية لا تشير إلى أشياء موجودة في الواقع مثل" إنسان " لا تشير إلى فرد معين أما اسم العلم فهو اسم جزئي يشير إلى فرد محدد، وعندما يرد التصور الصوري في قضية ما، فهو أشبه بالمتغير الذي يمكن استبداله بإحدى قيمه المفردة، إنه يدل على عدد لا محدد من الأفراد. أما إذا استخدم التصور الصوري ليدل على شيء مفرد، أصبح تصورا زائفا وكانت عبارته خالية من المعنى، وعندها تنشأ أشباه القضايا التي تدخل في بناء مشكلات زائفة.

1 - المصدر السابق، العبارة: 3.325، ص. 78

4- الخلط بين ما يمكن قوله وما لا يمكن قوله بل إظهاره فقط، فهناك ما لا يمكن التعبير عنه وإذا حاولنا ذلك فقد تجاوزنا حدود اللغة ومن الأمثلة على ذلك:

أ- استحالة التعبير عن صورة التمثيل الموجودة بين القضية(الرسم) وبين الواقعة (المرسوم) التي تمثلها القضية، إذ يعتبر فيتغنشتاين أنه لابد من هوية بين القضية أو الرسم وما تمثله من واقعة. ومع ذلك فإن الرسم لا يستطيع أن يمثل بوضوح ما في المرسوم من صورة للتمثيل وإنما يكتفي بإظهاره. وهذا يعني أن الصورة المنطقية المشتركة بين بنية القضية وبنية الواقعة التي تمثلها ليست شيئا يقال في اللغة، وإنما هي شيء يتجلى بنفسه ولا يخبر عنه. وأية محاولة للإخبار عنه تمثل تجاوزا للغة وكلاما عما لا يمكن قوله. " فالقضايا يمكن أن تمثل الوجود كله، إلا أنه لا يمكنها أن تمثل ما يجب أن يكون مشتركا بينها وبين الوجود الخارجي... وهو الصورة المنطقية.."[1].

ولكي يمكن تمثيل الصورة المنطقية، يجب أن يكون في مستطاعنا أن نضع أنفسنا نحن والقضايا خارج المنطق، أي خارج العالم ". إن الصور المنطقية للقضايا تعكس نفسها في اللغة وما يعكس نفسه في اللغة لا يمكن تمثيله.

ب- القضية الأولية ليست بحاجة إلى تحليل يظهر معناها بل إن معناها يتجلى في القضية نفسها " فالقضية (الأولية) تظهر معناها- وهي تظهر لنا كيف توجد الأشياء إذا كانت صادقة،كما تخبرنا بأن الأشياء موجودة على هذا النحو" [2] والكلام عن معناها هو تجاوز لحدود اللغة.

ج- الصفة الداخلية للواقعة والعلاقة الداخلية الخاصة :

الصفة الداخلية للواقعة أي الطريقة التي تتكون بناء عليها الواقعة من عدة أشياء والعلاقة الداخلية أو الخاصة ببنيات الواقعة لا يمكن التعبير عنها باللغة، إذ يعتبر

1 - المصدر السابق، العبارة: 4.12، ص.92

2 - المصدر نفسه، العبارة:4.022، ص.85

فيتغنشتاين " أن بلورة مثل هذه الصفات والعلاقات الداخلية لا يمكن إثباته في قضايا، إنما هي تتبدى في القضايا التي تمثل الوقائع، وتعالج الأشياء المطروحة للبحث ".[1]

أي أن العلاقات لا توصف بألفاظ وإنما تظهر في طريقة تركيب القضايا، ومحاولة التعبير عنها فيه تجاوز لحدود اللغة.

د- إذا كنا لا نستطيع أن نعرف أن شيئا ما موجود إلا إذا وقع في خبرتنا حسب فكرة الأنا وحدية، وهي فكرة كان فيتغنشتاين يعتقد بها لكونها تتسق مع اعتبار القضايا اللغوية رسما للواقع الخارجي، فمعنى ذلك أن حدود الواقع هي حدود اللغة التي نعبر بها عن هذا الواقع " إن معنى أن العالم هو عالمي، يتبدى في الحقيقة القائلة بأن حدود اللغة (اللغة التي أفهمها) تعني حدود عالمي ".[2]

أي رغم أن ما تقصده الأنا وحدية صحيح إلا أنه مما لا يمكن أن يقال لأن فيه تجاوز للغة، ففكرة الأنا وحدية هي مما يمكن إظهاره أو ما يتجلى بنفسه أو ما ينعكس في اللغة التي نعبر بها عن العالم، لا مما يمكن التعبير عنه. وطالما أنه لا يوجد في العالم الخارجي إلا الوقائع، فلا يمكن الكلام عن كل العالم من حيث أنه موجود أم لا، إنه كلام لا معنى له لكونه لا يراعي حدود اللغة. تلك هي نظرة فيتغنشتاين الذرية المنطقية فيما يتعلق بحقيقة اللغة في فلسفته الأولى والتي اكتشف لاحقا أنها لا تنطوي على حل موضوعي لإشكالية المعنى.

1 – المصدر السابق، العبارة: 4.122، ص.94

2 – المصدر نفسه، العبارة: 5.62، ص. 139

المبحث الرابع:

أزمة النظرية التصويرية

اكتشف فيتغنشتاين بشكل تدريجي أن فلسفته الأولى لم تكن في كثير من جوانبها إلا تعميمات قائمة على الحدس، وأنها لا تتفق في كثير من جوانبها مع اللغة الواقعية. وأن خطأه الأساسي يعود إلى عدم مقاربته لموضوع اللغة انطلاقا من منظور واقعي يأخذ السلوك اللغوي في أبعاده المختلفة، مما يمكنه أن يعمق البحث في موضوع اللغة، هذا الأخير الذي بدأ يتحول إلى حقل خصب للدراسات العلمية. كما اكتشف أيضا خطأ اعتقاده بأن الاستعمالات المتنوعة للغة لابد أن يكون بينها عامل مشترك. وقد انطوت كتاباته في المرحلة الثانية على كثير من الانتقادات للنظرية التصورية، الأمر الذي ترتب عنه توجه جديد يتجاوز الطرح السابق لإشكالية المعنى.

إن التوجهات النقدية حيال النظرية التصورية قد كشفت عن كثير مما تنطوي عليه من قصور وذلك لأن هذه النظرية تستند إلى كثير من الفروض اللامبررة فمفهوم الشيء يبقى في نظر البعض مثل جيلس غاستونGilles Gaston Granger مجرد افتراض ميتافيزيقي لا يمكن تبريره بحال ما من الناحية المنطقية والفيزيائية وهو يضع هذا المفهوم ضمن صعوبات الرسالة.[1] وتتضح صعوبة الإقرار بما هو الشيء أحيانا ضمن كتابات فيتغنشتاين. "و لا يسعني إزاء الأشياء إلا أن أسميها فيكون لكل منها علامة تمثلها، وبهذا لا يسعني إلا أن أتحدث عنها دون أن أستطيع تقرير وجودها".[2]

ومن هنا يمكن القول أن بعض منطلقات الرسالة هي مجرد فروض لا يؤيدها برهان شأنه في ذلك شأن الرياضيين حين ينطلقون في بناء أنساقهم من مسلمات دون برهان. مما يعني أن الذرية المنطقية عند فيتغنشتاين نظرية ميتافيزيقية لأنها تقوم على افتراض ميتافيزيقي هو أن جميع القضايا الحقيقية عبارة عن قضايا مركبة نشأت من ذرات منطقية هي الوقائع الذرية. وهذا يعني أنه على الرغم من أن فيتغنشتاين يرفض القبول بالقضايا الميتافيزيقية والتي هي ليست تمثيلا للواقع الخارجي وليست أيضا قضايا تحليلية تساعد

1 - Gilles, Gaston Granger, *Ludwig Wittgenstein*, édition Seghers, Paris, 1969, p.58

[2] – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، § 3,221، ص.74

على الانتقال من قضايا واقعية إلى قضايا أخرى واقعية، ولكنه يقر بفروض ميتافيزيقية لا تخضع لمعيار القضايا التحليلية ولا لمعيار القضايا التركيبية." لو كان العالم مركبا بطريقة غير متناهية لدرجة أن كل واقعة ذرية تتكون من عدد غير متناه من الأشياء، فحتى في هذه الحالة،لا بد من وجود أشياء ووقائع ذرية ".[1]

ينتهي هذا الموقف الذري الذي تقوم عليه النظرية التصويرية للغة إلى موقف صوفي تتحد فيه الذات العارفة مع موضوع المعرفة، حيث يصبح المطلق موضوعا للمعرفة.

إن النظرية التصويرية محصورة جدا بالقياس لما سيقدمه فيتغنشتاين لاحقا ضمن نظرية ألعاب اللغة، والتي تضمنت انتقادات جذرية للموقف الأول، لقد ادعت أن اللغة رسم للواقع أو تصوير له في حين أن هناك أوضاع لا تعكس فيها اللغة الواقع.[2]

لقد اختُزلت وظيفة اللغة ضمن مشروع الرسالة في الوصف، بينما تتعدد وظائف اللغة بشكل يصعب حصره. " كم صنفا من الجمل إذا؟ الإقرار والسؤال، مثلا؟- هناك عدد لا يحصى من هذه الأصناف: عدد لا حصر له من أصناف الاستعمالات المختلفة لكل ما نسميه ‘علامات' و' ألفاظا' و'جملا' وهذه الوفرة في العدد ليست ثابتة، أي أنها ليست معطى نهائي..."[3]،" الأمر والتصرف بمقتضى الأمر....تأدية دور في مسرح، التماس، شكر، لعن، تحية، تعبد"[4]. وهذه الطرق في استخدام اللغة هي الأخرى صحيحة لأن كلا منها ينطوي على معنى وبنية تتناسب مع دلالتها. إن هذا التوسع في ضروب الدلالة هو ما دفعه إلى تغيير تصوره للغة.

إن وظيفة الوصف ترتبط بالممارسة العلمية، حيث يوجد ما يمكن أن نسميه – حسب الاصطلاح الرياضي- تطبيق تقابلي بين الألفاظ والمعاني. بينما تستخدم اللغة ضمن

1 – المصدر السابق، العبارة: 4,2211، ص.99

2 – فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق،§ 297، ص. 278

3 – المصدر نفسه، § 23، ص.136

4 – المصدر نفسه، § 23، ص-ص. 137، 138

ممارسات متنوعة ترتبط بما يسميه فيتغنشتاين أشكال الحياة ومثال ذلك اللغة اليومية في وسط اجتماعي معين، إنها أولى من لغة النشاط العلمي ذاته، لأنها تخص المجال الذي تكتسب فيه اللغة.[1]

وهكذا يتسع مفهوم الدلالة في اللغة، إذ لم تعد مقصورة على اللغة العلمية، ولكنها تشمل أيضا بالإضافة إلى ذلك مختلف العلامات اللغوية وكذا النشاطات الإنسانية وما تحيل إليه هذه النشاطات. إن هذه النشاطات من وجهة نظر فيتغنشتاين ذات دلالة في الأصل من خلال شروط الحياة الإنسانية. وبين المعنى المبني والنشاط الإنساني هناك نظام لغوي يمثل الجسر بينهما. والذي تحدد وظيفته حسب الاستعمال تبعا لما يقوم به الفرد من نشاطات وحسب الظروف الخاصة بكل نشاط.

تظهر لنا نظرية فيتغنشتاين التصويرية في المعنى أن فلسفته لم تكن معزولة عن سياقها الحضاري والعلمي بل هي متأثرة بالأسس النظرية للمعرفة العلمية. والتي تضمنتها العديد من الأبحاث كتلك التي أشار إليها فيتغنشتاين بشكل واضح، فعندما يقول مثلا:" ارجع إلى كتاب هرتز في الميكانيكا عن النماذج الديناميكية"[2] أي يقصد كتاب "مبادئ الميكانيك" لمؤلفه هينريش هرتز Heinrich Hertz فهو يرشدنا إلى الكتابات التي وجهته إلى بعض المنطلقات الأساسية في فلسفته.ومن بين أفكار هذا الكتاب الأساسية ضرورة وجود مطابقة بين الطبيعة والتفكير، ففيه يمكن أن نقرأ ما يلي:"إن العلاقة بين نموذج ديناميكي وبين النسق الذي يعد نموذجا له هي نفس العلاقة تماما بين الرسوم التي يشكلها عقلنا للأشياء وبين الأشياء ذاتها.لأننا لو اعتبرنا حالة النموذج بمثابة تمثيل لحالة النسق، فإن نتائج هذا التمثيل–التي يجب أن تتضح وفقا لقوانين هذا التمثيل– هي أيضا

1– Johanna LIU, *Sprachspiel und Lebensform* (Jeux de Langage et Forme de Vie), dans Langage Ordinaire et Philosophie chez le Second Wittgenstein, séminaire de Philosophie du langage 1979-1980, Cabay, Louvain-la-Neuve, 1981, p. 21

2 – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، الفقرة، 4.04، ص.88

تمثيل للنتائج التي تنشأ عن الشيء الأصلي وفقا لقوانين هذا الشيء الأصلي. وبناءً على ذلك يشبه الاتفاق بين العقل والطبيعة الاتفاق بين نسقين يكون كل منهما نموذجا للآخر، ويمكننا أن نفسر تماما هذا الاتفاق عن طريق افتراض أن العقل قادر على صنع نماذج ديناميكية فعلية للأشياء، وقادر على العمل معها".[1] وفي نفس هذا الكتاب الذي رأي فيتغنشتاين أن قيمته لا تضاهيها قيمة كتاب آخر ورد أيضا: " نقول عن نسق مادي ما أنه نموذج ديناميكي لنسق آخر، حينما يمكن التعبير عن العلاقات الموجودة في النسق الأول بمثل الإحداثيات التي يجب أن تستوفي الشروط الآتية:

أ- أن يكون عدد إحداثيات النسق الأول مساويا لعدد إحداثيات النسق الثاني.

ب- إنه بناءً على التركيب المناسب لإحداثيات كل من النسقين ينشأ تساوي حالتيهما..."[2]

مثل هذه الأفكار ساهمت في تشكيل نظرة فيتغنشتاين للعالم وللغة وفي القول-حسب الاصطلاح الرياضي- بوجود تطبيق تقابلي بينهما، وفي نظرته لمعنى القضية والصدق المنطقي وكافة تصوراته عن ما يمكن قوله وما يمكن معرفته.

إن موقف فيتغنشتاين في الرسالة كان باتا، فكل قضية – إن كانت مركبة- لا تقبل تحليلا منطقيا يجعلها قابلة للصياغة الرمزية والتحقق وفق جدول الحقيقة المنطقي فهي خالية من المعنى. لقد ادعى في الرسالة أن نقائص اللغة يمكن تجاوزها بإخضاعها لقواعد المنطق. لكن نقدا ذاتيا ظل يمارسه واعتراضات متوالية واجهته غيرت وجهة نظره، فتخلى عن توجهه اللوجيزمي في الرسالة وتراجع عن القول بأن هذا الأخير يمكنه أن يضع حدا لمشاكل الفلسفة. ليعلن في مشرعه الجديد أن دور المنطق سيكون نسبيا ومحدودا، بل أن للغة منطقها الخاص." هكذا أنت تقول إن توافق الناس يفصل بين ما هو صحيح وما هو

1 - صلاح إسماعيل عبد الحق، مرجع سابق، ص.81

2 - فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، ص.200

خاطئ، إن الصحيح والخاطئ هو ما يقوله الناس، بينما يتوافق الناس في اللغة. ليس هذا توافقا في المقاصد،بل توافقا في شكل الحياة " [1]

لقد ظن فيتغنشتاين أنه قد اكتشف المفتاح السحري لجميع القضايا الفلسفية وأن كتابه رسالة منطقية فلسفية سيمثل نهاية للفلسفة لكونه يقدم حلولا لمختلف المسائل الفلسفية وبدافع من هذه الفكرة انقطع عن الفلسفة لينشغل باهتمامات أخرى.

لكن النقاش الفلسفي الذي خاضه فيتغنشتاين بعد عودته إلى كمبردج مع زملائه خاصة مع رامزي .Ramsey P.F وسرافا Piero Sraffa.[2] حول النظرية التصويرية للغة ساهم بشكل كبير في إثراء ما قدمته الرسالة، بل في تجاوز كثير من أطروحاتها. وحصل ذلك بعد مرحلة انتقالية بدأت نتائجها تظهر مع بداية الثلاثينات في الكتاب الأزرق، النحو الفلسفي، خاصة في جزئه الأول وأخيرا في الكتاب البني، لتظهر في هذا الأخير معالم فلسفة جديدة تدور انشغالاتها حول إشكالية المعنى.

وانتهى الأمر بفيتغنشتاين لاحقا للإقرار بما تنطوي عليه النظرية التصويرية من قصور بناءً على ما توصل إليه بعد جهد فكري استغرق سنوات طوال. وجاز أن ينعت اختزالا وتواضعا منه ب "تحقيقات أو بحوث فلسفية ".

وسعيا وراء الوضوح وتجنبا للغموض يبحث فيتغنشتاين عن مصدر المشكلات الفلسفية. إن هذه الأخيرة " تنشأ حين نسيء استخدام اللغة "[3] "إن الخلط الذي يملأ أذهاننا إنما ينشأ حينما تكون اللغة أشبه ما تكون بالآلة الخاملة الساكنة لا حينما تقوم بوظيفتها ".[4] "و يمكننا إزالة كل سوء فهم إذا جعلنا تعبيراتنا أكثر دقة"[5]

1 – فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، §241، ص.259

2– بيرو سرافا (1898–1983) اقتصادي ايطالي، ساعدت مناقشاته مع صديقه فيتغنشتاين في إبراز الصعوبات التي تحول دون تأسيس اللغة المثالية وكشفت عن دور الاستعمال في تحديد المعنى.

3 – Wittgenstein, *Investigations Philosophiques*, Op.Cit., Ch.I, § 38, p.133

4 – Ibid., Ch.,I, §132, p.169

5– Ibid., Ch.,I, §91, p.160

ولتحقيق هذه الدقة ينبغي أن تؤدي الكلمات والعبارات وظيفتها الكاملة. وتحدد هذه الوظائف عن طريق التحليل الفلسفي للغة بتقديم وصف متكامل لها. والفلسفة لا يمكنها أن تتدخل بشكل ما في الاستخدام الفعلي للغة، "وكل ما تستطيعه إزاءها هو أن تصفها فقط ".[1] والهدف الأساسي الذي تنشده هو تخليص اللغة مما ليس له معنى. لكن على أي أساس يتم تحديد صحة الاستخدام أو المعيار الذي يميز بين ما له معنى وما ليس له معنى ؟ المعيار المناسب هو طريقة استخدامنا للألفاظ في اللغة العادية، وفي هذا يقول فيتغنشتاين "إنني حين أتكلم عن اللغة (الألفاظ والعبارات...الخ) يجب أن أتكلم عن اللغة اليومية ".[2]

والبحث الفلسفي عليه أن يعيد ألفاظ اللغة "من استخدامها الميتافيزيقي إلى الطريقة التي تستخدم بها في الحياة اليومية "[3] يقوم فيتغنشتاين في "تحقيقات فلسفية " مثلما هو الحال في الرسالة بتقديم أمثلة توضح الحالات التي تؤدي إلى نشوء مشكلات فلسفية، لكنه هذه المرة يركز على سوء استخدام اللغة ومن هذه الأمثلة:

1-الاعتقاد بأن للفظ الواحد معنى ثابت وهو أحد الأسباب الرئيسية في أمراض الفلسفة – حسب تعبيره- أي حين يغذى التفكير بنوع واحد من الأمثلة فقط[4] أو عندما يقتصر على استعمال واحد فيؤدي ذلك إلى استخدام لفظ بدل آخر أو استخدام لفظ في سياقين مختلفين مع الاعتقاد أن معناه في كليهما ثابت لا يتغير.

2-الفصل بين اللفظ والمعنى على أساس أن كلا منهما مستقل عن الآخر في حين أن معنى اللفظ هو الطريقة التي يستخدم بها بالفعل في اللغة وليس منفصلا عن اللفظ نفسه، "إن معنى الكلمة يتحدد بناء على الظروف المختلفة التي تستخدم الكلمة في حدودها

1 - Wittgenstein, *Investigations Philosophiques*, Op.Cit., ch. I, § 124.p 167
2 - Ibid., Ch.,I,§120, p.166
3– Ibid., § 116 , p.166
4 – Ibid., Ch. I, § 593, p.287

بالفعل "[1] أي أن معنى اللفظ يختلف باختلاف السياق على الرغم من أن له مظهر خارجي واحد.

3- تصور وجود تقابل تام بين الكلمات والأشياء في العالم الخارجي، مع أن هناك ألفاظ لا مقابل لها."إننا نفشل في التحرر من الفكرة القائلة بأن استخدام عبارة ما، يتضمن تخيل وجود شيء ما في مقابل كل لفظ ".[2] "إننا حين نقول إن كل كلمة في اللغة تعني شيئا ما، فإننا لا نكون قد قلنا شيئا إلى حد كبير.[3]

4-التفسير الخاطئ لألفاظ اللغة مما يؤدي إلى فهم خاطئ للمعنى، ويعبر عن ذلك فيتغنشتاين بقوله: " إننا حين نتفلسف نكون أشبه بالمتوحشين أو البدائيين الذين يسمعون التعبيرات التي يقولها الناس المتمدنون ويفسرونها تفسيرا خاطئا ثم ينتهون منها إلى أغرب النتائج"[4]

إنه لمن الممكن أن نجد تسويغا للتحول الذي عرفه موقف فيتغنشتاين في إطار التحولات الجذرية للسانيات وعلم النفس بل في سياق الحياة الاجتماعية والسياسية للمجتمع الأوربي الذي أصبح وضعه المتأزم جراء صراعات وحروب مدمرة يفرض ضرورة التعايش الثقافي في ظل الاختلاف مما يعني على المستوى اللغوي وجود أكثر من منطق لغوي أو تنوع القواعد اللغوية حسب الاستخدام.

ويمكن تفسير هذا التحول على المستوى العلمي بالعودة مثلا إلى مجال الفيزياء. هذا التطور الديالكتيكي الذي ينقل اللغة من أداة للتعبير الموضوعي والواضح عن الأشياء إلى وسيلة للاتصال والمشاركة والتأثير في الآخرين يترجم لنا بأسلوبه الخاص أحد مبادئ فيزياء الكوانتم وهو مبدأ التكامل المتبادل (Principe de complémentarité) للعالم نيلز بوهر Bohr, Niels (1885-1962). وهذا المبدأ ينطلق من حقيقة مفادها أن الإنسان

1-Wittgenstein, *Investigations Philosophiques*, Op.Cit., Ch. I, §117, p.166
2- Ibid., Ch.I,§ 449, p.261
3- Ibid.,Ch.I , §13,p.120
4- Ibid., Ch.I, §194,p.200

فاعل ومنفعل، مشاهد وخاضع للمشاهدة، مؤثر وخاضع للتأثير، هاتان الحالتان تنطويان على نوع من التناقض الدينامي الديالكتيكي الذي يتجلى في الظاهرة الكلامية. فكلما كان التعبير اللغوي موضوعيا وفعالا وواضحا، كلما أصبح أسير قوالب المفاهيم والمعاني الثابتة والجامدة وبالتالي بعيدا عن الاختبار الموضوعي والمتحرك وعن شعور الفاعل الذاتي نفسه. ومن هنا كان على اللغة أن لا تقتصر على الوصف الموضوعي والواضح للعالم، وأن لا تكتفي بوصف أفعالنا ومشاهداتنا الموضوعية بل عليها من جهة أخرى أن تصف حالاتنا النفسية الانفعالية والوجدانية وأن تكون وسيلة للاتصال والمشاركة.

الأمر الذي جعل الفيزيائي نيلز بور يرى بأن التعبير العلمي والفلسفي التقليدي لا يوضح إلا جانبا محدودا من الواقع الفيزيائي، وهو الجانب الجامد والثابت أو الماكروفيزيائي أما العالم الميكروفيزيائي فلا تستوعبه ملاحظاتنا وقياساتنا. وكلما زادت هذه الأخيرة دقة وموضوعية،كلما ابتعدنا عن المفاهيم والتعابير التقليدية المألوفة.وحسب مبدأ التكامل المتبادل فإن بوهر يركز على أن اللغة العلمية ينبغي أن تراعي التفاعل والتكامل المتبادل بين جانبي الواقع الفيزيائي بنفس الكيفية التي يركز فيها فيتغنشتاين لا حقا، أي في فلسفته الثانية على التكامل الوظيفي بين اللغة كأداة لتصوير العالم واللغة كوسيلة للاتصال والمشاركة. وهناك مبدأ آخر في الفيزياء الذرية يمكنه أن يسلط الضوء على فكرة "ألعاب اللغة" التي تقوم بتفسير الدلالة حسب الاستخدام. وإذا أردنا مثالا توضيحيا مثلما يوظف فيتغنشتاين أحيانا أمثلة عن الألعاب مبينا كيف أنها تقوم على قواعد لكنها ليست محكومة بآلية ثابتة ومطلقة، فلنأخذ على سبيل المثال لعبة الشطرنج،هناك قواعد تحكم هذه اللعبة،ولا يوجد مسار محدد سلفا لأية قطعة،ومع ذلك يوجد مسار خاص بكل قطعة لا يمكن أن تحتله أخرى،بحيث لا يمكن لقطعتين أن تكونا في نفس المكان وفي نفس اللحظة، والأمر هو ذاته بالنسبة لألفاظ اللغة.

ألا يمكن أن يكون هذا التفسير مفهوما أكثر في ضوء مبدأ المنافاة؟ أو مبدأ الاستبعاد (Principe d'exclusion) الذي أعلنه الفيزيائي باولي Pauli Wolfgang (1900-1958) وذلك سنة 1925.حيث يوضح لنا هذا المبدأ ويفسر الترتيب الداخلي للذرات والعناصر من حيث الكيفية التي تمتلئ بها الطبقات الإلكترونية في الذرة كما يتضمن التماثل الكيميائي للذرات والعناصر. هناك مسار محدد للإلكترون بحيث لا يحتل أي واحد من الإلكترونات مسار الآخر، أي أن هناك مواقع مكانية يمكن للكيان الفيزيائي أن يحتلها ومواقع لا يمكنه ذلك. مثل هذه الحقائق العلمية هي التي جعلت فيتغنشتاين يعيد النظر في بعض أفكار عن اللغة فتقترب فلسفته أكثر من مسار العلم لتصبح أكثر ثراء وخصوبة.

الفصل الثالث:

نظرية ألعاب اللغة

1. المبحث الأوّل: مفهوم ألعاب اللغة
2. المبحث الثاني: أشكال الحياة
3. المبحث الثالث: التشابهات الأسرية
4. المبحث الرابع: الاستعمال اللغوي

المبحث الأوّل:

مفهوم ألعاب اللغة

تعود بداية تأليف " تحقيقات فلسفية " إلى خريف عام 1936، حينها شرع فيتغنشتاين في تنقيح " الكراس البنّي" الذي أملاه سابقا في كامبريدج. وقد ظهرت نتائج هذا العمل في النسخة الألمانية تحت عنوان Eine Philosophische Betrachtung "اعتبار فلسفي". تراجع أخيرا معتبرا أن محاولة التنقيح لا قيمة لها[1]، وبعد هذا التراجع انكب فيتغنشتاين لتقديم تعديل أدق فكانت النتيجة بعد أشهر صياغة أولى للثلث الأول من " تحقيقات فلسفية "، وفي السنّة الموالية يحرّر مخطوطا آخرا يوافق تقريبا الجزء الأول لـ" ملاحظات حول أسس الرياضيات". ثم يقوم بنسخ هذين المخطوطين، دون أن يكفّ عن تنقيحهما باستمرار بشكل عميق. وغدت الصياغة الأولى للعمل مكونة من جزأين متقاربين في المحتوى من حيث الحجم: حيث يضمّ المقطع الأول بالتقريب الفقرات من 1 إلى 88 من " تحقيقات فلسفية" كما هي في صيغتها اللاحقة، أما الجزء الثاني منه فيضمّ القسم الأول من " ملاحظات حول أسس الرياضيات".

ويخصصّ فيتغنشتاين وقته لاحقا لمسائل فلسفة الرياضيات بشكل أساسي، دون العودة إلى تكملة وتنقيح مخطوط " تحقيقات فلسفية" إلا خلال الأربعينات. ولذا ظهرت عدّة صيغ وسيطية قبل أن يظهر المخطوط الأخير نحو 1945–1946، ولكن هذا لم يمنع فيتغنشتاين من أن يطرح مزيدا من التعديلات إلى غاية1950. غير أنه ليس من المعروف تحديدا متى تخلى عن الجزء الذي خصصه لفلسفة الرياضيات، ولم يعد يهتمّ منذ بداية عام 1944 بمسائل الرياضيات والمنطق.

لقد ظل فيتغنشتاين يهذب مخطوطه حتى نهاية حياته دون أن يصل مع ذلك إلى صياغة نهائية ترضيه، وأهم ما يمكن قوله عن ذلك الجهد أنه كان عملا رتيبا متواصلا. كأنما كان طموح فيتغنشتاين أن يكون انجازا متكاملا يتجاوز به ما سبق من أخطاء. إلى أن تم له ذلك بشكل ما سنتين قبل وفاته. وتجدر الإشارة إلى وجود خلاف بين الناشرين

1 - Jochim Schulte, *Lire Wittgenstein*, traduit de l'allemand par Marianne et Jean-Pierre Cometti, édition de l'Eclat, 1992, p.112

فيما يتعلق بالجزء الثاني لهذا الكتاب، إذ لم يُنظر لهذا الأخير من قبل بعضهم على أنه يمثل قسما من المخطوط النهائي. حصل هذا دون أن يكون هناك ما يؤكد أو ينفي نية فيتغنشتاين في نشر هذا الجزء ضمن التحقيقات.[1]

إن كتاب "التحقيقات" هو حقا نص متقن بامتياز، إلا أنه في مجمله لا يكتسي صبغة واحدة، فمعظم الملاحظات جاءت قصيرة في مبناها، ولكنها مع ذلك ليست مختزلة بقدر ما هي عليه الملاحظات في الرسالة، وهي ترد ضمن بناء من استدلالات أوسع حيث لا يمكن صياغتها بالتأكيد إلا بعد محاولات يوجهها جهد فكري عميق.

يعرض كتاب " تحقيقات فلسفية " فلسفة فيتغنشتاين الجديدة بطريقة مدهشة وفريدة من نوعها، إذ نجد لأول مرة أوصافا وجيزة لوضعيات وظفت فيها عبارات لغوية تتميز بنوع من البساطة في ميلها إلى ما هو محسوس بدلا من توجهها نحو التجريد. وبغض النظر عن الغاية المقصودة من هذا الأسلوب التبسيطي فهي تطرح ضربا من التحدي الفلسفي. يتضمن المثال الأول أوصافا حول أفعال لغوية من طرف بناء ومساعده. وقد أراد فيتغنشتاين بذالك بيان طريقة الاستعمال الفعلي للغة، دون العناية بمعنى الكلمات في هذه المرحلة من البحث[2]

والحال أن فيتغنشتاين قد أنكر كثيرا من الأفكار التي جاءت في الرسالة وانصب نقده بالأساس على الافتراض الذي يعزوه لأوغسطين (354-430 م) ومفاده أن أية كلمة هي الشيء الذي تمثله أو تشير إليه. وهو يستهل كتابه "تحقيقات فلسفية" بفقرة[3] لأوغسطين من كتاب "الاعترافات"[4] تتضمن هذا الافتراض. والحق أن الوظيفة التي يسندها أوغسطين

1- Jochim Schulte, Op. Cit., p.111

2 – صلاح إسماعيل عبد الحق، مرجع سابق، ص. 119

3 – فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، § 1، ص–ص.119،118،117

4– كتاب الاعترافات للقديس أوغسطين عرض فيه مساره الديني.

للغة هي نفس الوظيفة التي ذهب إليها فيتغنشتاين في "الرسالة".[1] إنها وظيفة محدودة، لكونها تخص جانبا واحدا يتمثل في التسمية دون غيره من الجوانب المتعددة. وهذا ما جعل فيتغنشتاين يعيد النظر جذريا في موقفه السابق من اللغة ووظائفها.

تعتبر التحقيقات كتابا حواريا متعدد الأطراف، إنه يسند ضمنيا الكلمة إلى الفلاسفة مثل ديكارت، جون لوك، أوغسطين، فريجه وراسل. ولعلّه من المهم سلفا أن نشير أولا إلى خاصية أسلوبية ولكنّها لا تنحصر في مسائل أسلوبية بسيطة تخص التحقيقات، فكثيرة هي الملاحظات المقدّمة في شكل حوار، وهنا لا يناقش فيتغنشتاين دائما نفس المحاور كما أن موقف الآخر ينطوي على عمق في التفكير وحنكة في الصياغة، وبالتالي فمن الخطأ بمكان أن لا نأخذ بعين الاعتبار تصريحات محاوري فيتغنشتاين، أو أن نقدم تفسيرا مبسطا لها، إذ يمكن لأي مقاربة لا تتوخى مزيد من الحذر أن تقدم قراءة مشوهة لنص التحقيقات. فهي إن تجاهلت مثلا القيمة الأسلوبية فسوف تجرده من مضمونه الحقيقي، ذلك أن ما يقوله المحاور هو الأخر يدعو إلى التمعن أكثر، بل وغالبا ما يظهر صعبا.

وإذ يتوجه للقارئ بلفظ " أنت " بدلا من " أنتم " فليس في ذلك تقليل من شأن المخاطب. بل قد لا يكون المعني شخصا آخرا غير فيتغنشتاين نفسه، إذ يغدو للمحاور في العموم " أنا آخر"، ولكنه أحيانا " أناه القديم " فهو ممثل لمرحلة " الرسالة" أو لمرحلة الثلاثينات. وأحيانا محاور يتبنى بعض الأدلة التي يمكن أخذها بعين الاعتبار. وتعكس هذه الطريقة في العرض بالقياس إلى مرحلة الرسالة نظرة جديدة لطبيعة المسائل الفلسفية ولوظيفة اللغة.

يعرض فيتغنشتاين صيغة يمكنها أن تعبر عن طبيعة المسألة الفلسفية قائلا:" للمسألة الفلسفية هذا الشكل:"لا أجد طريقي في المسألة ".[1] وهذه الصيغة ليست من الصيّغ

1- فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، § 1 ص-ص.117 -118

الفارغة أو التي لا معنى لها، بل تقدم ميزة لتصور غير عادي تماما، وبالفعل، إنّ الذي لا يجد مخرجا في أمر ما ليس بوسعه أن يبحث عن مساعدة لبناء نظريات أو تأملات، ولا أن يبحث في النظر حول فوارق تفصيلية، بل سيحاول الحصول على نظرة إجمالية ثم هيكلة أفكاره. ومن أجل ذلك، سيرسم ربما خارطة جديدة، أو ينشئ تصميما، إن الذي لا يجد مسلكا في طريق بحثه سوف لا يتجه بالنقد إلى موضوع بحثه ولا يعمد إلى تغيير شيء فيه، كما أنه لا يضفي عليه عناصر أو صفات لا ترتبط به معتبرا أنه لو كان بالإمكان فعل كذا أو كذا، بل يبدأ بسبر أغواره محاولا فهمه كما هو عليه. فما يريد فهمه أولا هو كيف ضل دربه، وذلك لكونه يستطيع على الأقل الرجوع إلى نقطة الانطلاق محددا معلما للتفكير وسرعان ما يهتدي بعد ذلك إلى سبيله.

إن من يمارس التفكير الفلسفي يفقد بسهولة طريقه منقادا للتضليل اللغوي، وهو ما يحدث خاصة عندما نفترض أن اللغة تؤدي وظيفتها دائما بصورة آلية على نفس المنوال:اسم وفعل وحرف... الخ، يجب أن ننتبه جليا للاستعمال الفعلي للغة لندرك أن كثيرا من أفكارنا عن اللغة بعيدا عن الاستعمال لا أساس لها.

ولا يعني هذا بطبيعة الحال أن الاستعمال الجاري للعبارات هو المعيار الوحيد، ولكن يعني أن وضعيات أو شروط معينة توجه الاستعمال لا زالت أكثر استقرارا ومن هنا يوثق بها، ونشعر بأننا في " مأمن" إزاء هذه الوضعيات أكثر مما نكون عليه في وضعيات أخرى غير مألوفة لدينا. فمن سبق له أن استعمل مفكّ براغي في وضعيات معينة لنزع أو تركيب براغي، سوف يهتدي بدون عناء في وضعيات مماثلة إلى نفس السبيل. ولكن من يريد استعمال المفكّ في وضعيات لا يعرفها – لفتح علبة مثلا – فلينظر جيدا إلى إمكانيات الاستعمال للأداة في الوضعيات العادية لكي يحاول استعمالها بحذر حسب الهدف الذي يصبو إليه هذا لو ناسبت الأداة إلى حد ما يتوخى منها.

---

1 – المصدر نفسه، § 123، ص.200

لقد حاول الفلاسفة غالبا– بل وغير الفلاسفة – استعمال ألفاظ وعبارات مألوفة تماما مثل:" فضاء" و" زمان" و" شيء" و" خاصية مميّزة" و" فكر"... إلخ، وهذا بطريقة ليس لها علاقة إلاّ بشكل محدود مع الاستعمال العادي للألفاظ بل ليس لها أحيانا البتّة أيّ علاقة بذلك. وعلى الذين يطالبون بأمثلة عن هذا أن يراجعوا التاريخ الأول للفلسفة، ويمكن للفيلسوف في هذه الحالات، أن يفكّر في تعريف دقيق دون التأكد من الدلالة التي يعطيها للفظ: فالتعريف يبقى من مجال " المقصود قوله"، إنه يعمل كما لو كان قادرا، أن يهب للفظ معنى أو حياة بفضل الفعل الوحيد للوعي. وإنه لمن السهل أن نجد أنفسنا في هذه الوضعية، وأن نخلط بين" ما يُقْصدُ قوله" الذاتي وبين الدلالة اللغوية الموجودة فعلا، أي الدلالة اللغوية المكتسبة والمثبتة بالاستعمال، وهو ما بيّنه فيتغنشتاين من خلال مجموعة من الأمثلة.

توجد وسيلة مؤكدة لتذكير الميتافيزيقيين المتحمّسين أن الدلالة التي يضعونها نصب أعينهم ليست في متناول الآخرين، وهي تتمثل في وصف الاستعمال العادي أو اليومي للألفاظ قبل مقارنته بالاستعمال الذي لم يتم تمثله بعد من قبل الآخرين، أي الاستعمال الذي لم تتأكد صلاحيته بعد. "عندما يستعمل الفلاسفة ألفاظا مثل " معرفة "، " وجود "، " شيء "،... يسعون جاهدين إلى إدراك جوهر الشيء، علينا أن نتساءل دائما: هل تستعمل هذه اللفظة فعلا بهذه الطريقة العادية في اللغة، حيث موطنها؟ نحن نحول الألفاظ من استعمالها الميتافيزيقيي إلى استعمالها اليومي".[1]

إن من لا يهتدي إلى طريق لا يحاول أصلا البحث في الظلام والمجهول بل سيصبح همّه هو الوصول إلى مكان يعرفه، ثم يتخذ لنفسه معلما يوجّهه، وبوسعه خطوة بخطوة، دون أن يغيب عن وعيه كل ما هو معروف بالنسبة له في سياق معين أن يسبر أغوارا جديدة، ثم لينظر إن كان مقتدرا هناك على مباشرة عمل بما يملك من وسائل، ولتوضيح

1 – المصدر السابق، § 116، ص. 196

هذا الأمر يقارن فيتغنشتاين اللغة بمدينة عتيقة، " يمكن أن نعتبر لغتنا مدينة قديمة: شبكة مضللة من الممرات والساحات الصغيرة ومن البيوت العتيقة والحديثة ومن البيوت التي أضيفت إليها أجزاء في حقب مختلفة...".[1] إن هذه المقارنة تدخل في صميم فهمه لطبيعة المشكل اللغوي.

وفي هذا السياق يعتبر فيتغنشتاين أن دوره الخاص يشبه دور الدليل في مدينة أو بلد مجهول محاولا أن يبرز الصعوبات الفلسفية التي تنجم عن التواجد في مدينة غريبة أي أمام صعوبات موضوع ما، فعندما نجهل الطريق ينبغي علينا أن نتعرف على المنطقة بتنّقلّنا من مكان إلى آخر، إنه ضرب من ممارسة ينبغي تكرارها حتى ننجح في التعرّف على أيّ مكان بسرعة، أو بلمح البصر، وهذا مهما كان الموضع الذي كنا فيه. إنّ هذه صورة كاملة، ولكيّ يكون الواحد منا دليلا ممتازا ينبغي عليه ربما أن يبين للآخرين الطرق الرئيسية. لكن فيتغنشتاين يعتبر نفسه دليلا سيئا، إذ أنّه يغير الاتجاه عفويّا نحو الأمكنة المثيرة للاهتمام، كما أنه يتوغل بطيب خاطر في الأزقة الثانوية قبل تبيان الطرق الهامة.

إن الصعوبة في الفلسفة هي إيجاد ضالتنا، والصعوبة الحقيقية في الفلسفة هي صعوبة الذكرى، والمقصود هنا هو شكل خاص للذكرى، فالدليل الجيّد يجعلنا نتجول في نفس الطريق مئة مرّة. إن مثال الدليل السياحي هذا يُوضّح جيّدا الطريقة التي يتصرّف بها فيتغنشتاين، ولكنه مثال يُؤخذ بتحفظ نسبيا إذا ما قارناه بتعريف فيتغنشتاين عندما يكتب:" ما هو هدفك من الفلسفة ؟ أن ترشد الذّبابة كيف تخرج من فخ الذباب" [2] ومع ذلك، ليس هناك شبه تام بين تصرف الذبابة في زجاجتها وتصرف المسافر في مدينته الغريبة: إنها في وضعية أكثر خطورة من وضعيته، لكونها وقعت في الفخّ. وتعذر عليها بشكل تحديد

1 – المصدر السابق، § 18، ص. 130

2 – المصدر نفسه، § 309، ص.281

معلم للحركة. وليست المشكلة في غياب التوجيه فقط. نحن هنا بصدد شخص سقط في مكيدة وصار كيانه كلّه في الأحبولة لا يستطيع التخلّص منها، إن الذي يعين سجينا على الإفلات من وضع كهذا هو منقذ حقيقي. ولكن ينبغي أن نعترف، أنه كلما تعرضنا بأنفسنا لمثل هذه المكائد، فإنه يجب أن نأخذها مأخذ الجد، وفي هذه الحالة يستطيع توجيه فيتغنشتاين أن يرشدنا إلى الخروج من المأزق. إن هذا التحليل على الرغم من كونه يبدو بسيطا أو سطحيا في مظهره خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار الأمثلة التي يستقيها أحيانا، لكنه عميق من حيث دلالته على الوضع الذي يحياه الإنسان حيال التفكير في أمر ما. إنه يريد بشكل ما أن يتجاوز القصور المفروض عليه والعوائق التي تحول دون الإحاطة التامة بالمواقف. فالتعرف على مختلف المعطيات أو الحيثيات الخاصة بمشكلة أو قضية محددة هو الذي يسمح بالحركة في اتجاه ما، وهذا أمر يبدو عاما. ينبغي أن لا نقف عند حدود المثال المعطى في حد ذاته لنقف على ما يريده فيتغنشتاين، إذ أن الأمر هذا يجري على منوال واحد بالنسبة لمواضيع مختلفة كمسائل الرياضيات مثلا.

لقد أراد فيتغنشتاين بهذه الأمثلة أمرين إثنين. أولهما يتمثل في التأكيد على ارتباط الدلالة بسياق الاستعمال اللغوي، أما الثاني فهو إبراز أهمية الشروط النفسية كالوظائف والعمليات العقلية في تحديد المعنى. وهذا ما حاول أن يوضحه من خلال توظيفه لمفهوم " ألعاب اللغة"

إن مفهوم "لعبة لغة " يلقى الضوء على كثير مما أراد فيتغنشتاين قوله في مشروع فلسفته اللغوية الجديد. ويبدو أن هذا المفهوم يشكل بديلا لمفهوم جدول الصدق أو جدول الحقيقة في نظرية حساب القضايا، لكونهما يمثلان السياق اللغوي الذي تندرج فيه عبارة ما لتتحدد ارتباطاتها بغيرها من الجمل. مع فارق من حيث أن التعبير في الحالة الأولى يكون رمزيا وفي الثانية لغة عادية.

وحسب المنظور الجديد فإن الحديث عن لغة يعني انجاز لعبة بواسطة ألفاظ واستنادا لنظام نحوي معين. وهذه الأخيرة لا يمكن أن تفهم خارج إطار مجموع الشروط التي استخدمت فيها. لقد ظهر هذا المفهوم في عدة سياقات، حيث يمكن تمييز ثلاثة منها- حسب تحليل ارنست كونراد شبشت[1] لهذا المفهوم،فهو يدل على:

1- بعض أشكال اللغة البدائية والمبسطة، كتلك التي يستعملها الأطفال عند تعلمهم الكلام أو كل انجاز لغوي.

2- ويشير أيضا إلى اللغة اليومية أو الجارية في كليتها وكذا مجموع النشاطات الملتحمة بها.

3- ويتكلم فيتغنشتاين كذلك عن " لعبة لغوية" للدلالة على أنساق لغوية معينة ومختلف الوحدات الوظيفية التي تمثل عنصرا في تكوينها. حيث تدخل ألعاب اللغة في نشاط تأخذ فيه الألفاظ معان خاصة ويشمل ذلك:

أ- أفعال اللغة أو اللغة الانجازية: طلب، شكر، هنأ...[2]

ب- ألعاب لغة لا يمكننا اعتبارها أفعال لغة بالمعنى الدقيق ولكن من خلالها تؤدي اللغة أدوارا باتة أو حاسمة. مثلا: ترجم، قرأ، تركيب شيء انطلاقا من وصف محدد، بناء فرضيات وفحصها، إلقاء موعظة معينة وما إلى ذلك.[3]

ج- نشاطات لغوية يبقى فيها استعمال اللغة كالكلام ضمنيا أو ينسحب إلى الخلفية بالقياس للنشاطات ذاتها.

ولكن ما الداعي لهذه المقاربة بين اللغة واللعبة ؟ ألسنا نستخدم لفظ "لغة" بمعنى محدد، كلعبة الشطرنج مثلا. إن المعنى يتسع كثيرا عندما يتعلق الأمر بألعاب اللغة، أي أنه

1 - Konrad, Ernst Specht, *The foundations of Wittgenstein's late Philosophy*, translated by D.E.Walford, Manchester University Press, 1969, p.42

2 – فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، § 23، ص.137

3 – االمصدر نفسه، § 23، ص.137

يختلف عن ما تدل عليه كلمة " لعبة " في السياق المعتاد. ولكن مع ذالك يعرض فيتغنشتاين أكثر من مرة المقارنة بينهما محاولا تحديد وجه التماثل الذي سمح له باستخدام هذا اللفظ والذي يمكن أن يلخص فيما يلي:

1- كلتاهما تتوفر على قصد للقيام بها، أي الميل الواعي الذي يسبق لحظة الانجاز ويلازمها بدرجات مختلفة"...النية منضوية تحت الوضع، تحت العادات وتحت المؤسسات البشرية. ولو لم تكن هناك تقنية لعبة الشطرنج لما كانت هناك نية للعب مقابلة في الشطرنج. أن أكون قادرا على تكلم لغتي هو الذي جعل من الممكن أن أنوي شكل القضية حتى قبل أن أنطق بها ".[1] فاللغة هي لعبة لكونها شبيهة بمؤسسة يكون للفرد فيها نية اللعب أو بناء الجمل.

2-اكتساب اللعبة واكتساب اللغة يعود في نظر فيتغنشتاين الى قوانين ومعطيات ثقافية، حيث يمثل التمكن منها الشرط الضروري للعب.[2]

3- دلالة الجزء بالنسبة للمجموع، حيث تظهر لنا اللعبة أن الجزء يؤدي وظيفته في نطاق الكل، والمقصود هنا هو دلالة قطعة شطرنج بالنسبة للمجموع في اللعبة ودلالة اللفظ داخل اللغة.[3]، إلا أن ذلك لا يعنى تماثلا في طبيعة الشروط أو القوانين المحددة للدلالة.

4- كلتاهما غير محصورة، إذ هناك العديد من أنماط الألعاب والكيفيات التي تُلعب بها بالرغم من وجود قواعد معينة (مثلا قواعد الأصوات والتراكيب بالنسبة للغة)،" كم صنفا من الجمل يوجد إذن؟ الإقرار والسؤال والأمر، مثلا؟ هناك عدد لا يحصى من هذه الأصناف: عدد لا حصر له من أصناف الاستعمالات المختلفة لكل ما نسميه علامات وألفاظ وجمل. وهذه الوفرة في العدد ليست ثابتة، أي أنها ليست معطى نهائي، بل إن أصنافا جديدة من اللغات وألعابا لغوية جديدة، إن أمكن القول، تظهر للوجود وأخرى تبلى

1- المصدر السابق، §197، ص-ص: 244،245، § 337، ص- ص:289،290

2- المصدر نفسه، §31، ص-ص: 143، 144، § 33، ص-ص: 145،146

3- المصدر نفسه، §563، ص.357، §567، ص.358

وتنسى..."[1] وهنا يطرح فيتغنشتاين مقاربة خاصة، إذ تتغير الدلالة عبر الزمن بتغير الألعاب، وتكتسي بذلك في تحولها بعدا جديدا مقارنة بالمعنى في النظرية التصويرية، حيث تقف الجمل ذات المعنى بموجب ما تمليه بنيتها المنطقية عند دلالة محددة ثابتة. بينما تقبل الدلالة في التصور الثاني التغير باستمرار.

يمكننا أن نخلص إلى أن التشابهات بين اللغة واللعبة باعتبارها قواعد متباينة هي ثمار ما ترسخ من شروط تحدد دور كل عنصر في اللعبة والتي تسمح للفرد باعتماد استراتيجيات في كل مرة أو في كل لعبة. لكن فيتغنشتاين ظل يقتصر الأمر على التشابهات الظاهرية للحديث عن كل ما يمكن تسميته لعبة.

إن مفهوم اللغة ليس له معنى مستقل وإنما هو مصطلح للدلالة على تماثل بين عناصر أو أعضاء فهو يمثل تشابها عائليا. وهكذا فإن ما يسمح باستخدام نفس الكلمة "لغة"، "لعبة" ليس هو الماهية المشتركة لهما وإنما شبكة معقدة من التشابهات التي تخص الكل مثلما تخص الأجزاء.[2] والتحفظ هنا في إعطاء المعنى الدقيق للعبة إنما سببه هو أن اللعبة لا يمكن اختزالها في قواعد استعمالها، لأن هناك أيضا إنتاج المعنى وإبداع التراكيب في كل شكل حياة، ولهذا السبب يجب أن تحدد الروابط بين لعبة اللغة والقواعد وبين لعبة اللغة وشكل الحياة.[3]

استغل فيتغنشتاين أول الأمر التشابه الموجود بين اللغة ولعبة الشطرنج لأغراض عديدة، إلا أنه أدرك بعد ذلك أن الشطرنج –بقواعده الدقيقة– ليس نموذجا لكل الألعاب وأن الألعاب الأخرى ذات القواعد المحدودة بدرجة أقل هي أنسب للتشبيه باللغة.[4] ورغم ذلك فإنه لم يجد من بين جميع الألعاب لعبة محددة تلخص ما هو موجود بينها جميعا من تشابهات.

---

1 – المصدر نفسه، § 23، ص. 136

2 – المصدر السابق، § 66، ص–ص. 170،171، § 67، ص.171،172

3- Johanna LIU, Op.Cit. , p. 24

4 - صلاح إسماعيل عبد الحق، مرجع سابق، ص. 120

كان مفهوم "لعبة لغوية" منذ بداية 1932 مرادفا لمفهوم "حساب" وأراد بذلك أن يؤكد على التشابهات المختلفة بين اللغة والألعاب، مثلما يشدد التماثل في الحساب على التشابهات بين اللغة والنظم الصورية، غير أن التوسع في مفهوم اللعبة بوصفها نشاطا موجها بقواعد دفع فيتغنشتاين إلى إهمال نموذج الحساب الذي تكون فيه القواعد نظاما صارما دقيقا ولذلك حل تدريجيا مفهوم "اللعبة" بدل "الحساب" [1]

وفي سياق عرضه لهذا الموضوع يوظف فيتغنشتاين أمثلة حول أفعال لغوية، من قبيل ما يمكن أن يحصل أثناء حوار بين شخصين في ورشة بناء. " لنتخيّل لغة يوافقها وصف أوغسطين: تستعمل اللغة للتواصل بين بناء " أ " ومساعده "ب". يشيد "أ" بناء باستعمال مواد شتى مخصصة للبناء: كتل وأعمدة وأبلطة وعوارض. وهما يستعملان لهذا الغرض لغة مؤلفة من الألفاظ: " كتلة " و" بلاطة" و" عارضة "، يتلفظ " أ " بأسماء المواد، فيمتثل "ب " وقد تعلّم أن ذلك يتناسب مع ما يتطلبه الأمر..اعتبر ما سبق لغة بدائية تماما" [2].

وما يلفت النظر في هذا الوصف هو أنّ فيتغنشتاين، على الرغم من تصرّيحه بأن مقصده هو وصف لغة تامة، فإنه انشغل بتمييز الظروف التي استعملت فيها العبارات اللغوية. ويمثل الاهتمام الذي أولاه للأفعال اللغوية والظروف المحيطة بها مؤشرا لتوجهه اللغوي الجديد. يسمّي فيتغنشتاين " لعبة لغة "، " لعبة بدائية تامة "، كتلك التي يصفها في الفقرة الثانية. لقد وظف هذا المفهوم منذ بداية الثلاثينات، وأخضعه بمرور الزمن وتبعا لتغيّرات في السياق لتعديلات لاحقة.

إن إحدى الخصائص الأساسية لمفهوم " لعبة لغوية " في " الكراس الأزرق" تتمثل في أن " ألعاب اللغة" هي " طرائق استعمال إشارات أبسط بكثير من تلك التي بموجبها

1- المرجع نفسه، ص. 119

2- فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، § 2، ص. 119

نستعمل إشارات ضمن لغتنا اليومية المفرطة في التعقيد. يمكننا تسمية " ألعاب اللغة" تلك الأشكال اللغوية التي يبدأ الطفل بواسطتها استعمال الألفاظ، إلا أن فيتغنشتاين يدقّق في الأمر معتبرا أن هذه الأشكال " البدائية" للغة ليست مختلفة أساسا عن كيفيات التطبيق المعقدّة والصعبة لعبارات لغوية في اللغة اليومية أو في لغة متخصصة في ميدان ما.

بل يستخلص إمكانية التقريب بين ما يبدو بسيطا وما يمكن أن يكون أكثر تعقيدا إذ " أنه يمكننا تركيب الأشكال المعقدة انطلاقا من الأشكال البدائية بأن نضيف تدريجيا أشكالا جديدة"[1]، وهو ما يتيح بل ويسهّل وصف طريقة استعمالنا لعبارة تنطوي على تعقيد ما وصفا ناجحا.

لقد دفع فيتغنشتاين بوصف ألعاب اللغة في " الكراس البنّي " إلى مستوى أعمق، فهذا النص الذي أملاه بالإنجليزية ونقّحه جزئيا في الترجمة الألمانية (1936) كان أساسا مؤّلفا من أوصاف أو شروح لألعاب اللغة، حيث رُقّمت وأتبع كلّ واحد منها بتعليق، وهنا يمكن أن نلاحظ كيف نعتت ألعاب اللغة بـ " أنظمة تواصل".

لقد أراد فيتغنشتاين من خلال توظيفه لهذا المفهوم أن يحدد خصائص أساسية للغة يمكن تلخيصها فيما يلي :

1- اللغة نشاط مرتبط بشكل حياة في وسط لساني معين " سأسمي كذلك " لعبة لغوية " الكل الذي تكونه اللغة والأعمال التي تنضوي تحتها". [2] " تساءل: في أي مناسبة ولأي غرض نقول هذا؟ أي طريقة تصرف ترافق هذه اللفظة ؟(فكر في التحية) في أي مشهد تستعمل ولأي غرض ؟[3]

1 - Wittgenstein, *Le Cahier Bleu et le Cahier Brun*, trad. G.Durand, Gallimard, Paris,1965, p.48

[2] - فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، § 7، ص.124.

[3] - المصدر نفسه، § 489، ص. 336.

2- إن اللغة هي بشكل ما وسيلة أو أداة وأن نتكلم لغة هو أن نوظف رموزا حسب قواعد بيّنة ولأغراض محددة. " اعتبر القضية أداة واعتبر معناها استعمال هذه الأداة".[1]

3- اللغة بنية مركبة من وحدات وظيفية متباينة(رموز، أفعال، أهداف، حوافز...) " أن تفهم قضية يعني أن تفهم لغة. أن تفهم لغة يعني أن تتحكم في تقنية".[2] وهكذا فإن اللغة في المشروع الجديد وثيقة الارتباط بحياة وممارسة مجموعة لسانية. ومعنى الرمز اللغوي ليس مستقلا تماما وإنما مرتبط بطريقة الكلام. والطريقة الوحيدة للإحاطة بمعنى اللفظ هو أن ندرس أساليب استعماله في لعبة لغوية ملموسة. وهذا يعني ارتباط اللغة بالمتكلمين ومقاصدهم. وهنا تكمن المساهمة أو الإضافة الأساسية لهذه الفلسفة.

ويمكن أن نتساءل ما الذي تشترك فيه كل هذه النشاطات لتشكل جميعها ألعاب لغة. من المفروض أن تكون بعض الخصائص المشتركة لتحمل نشاطات معينة نفس التسمية بوصفها لعبة محددة. هنا يجيب فيتغنشتاين بأنه لا يمكننا أن نعرف "لعبة لغوية" ولا أن نحصي العلامات المشتركة بينها. إذ لا وجود لخصائص عامة ترتبط بها جميعا. إن تجمعها يأتي من كونها تحمل ملمحا أو سمتا مشتركا كذلك الذي يخص أفراد العائلة ومن هنا وظف فيتغنشتاين مفهوم "تشابه عائلي"، إذ بالرغم من أن أفراد العائلة الواحدة لا يشتركون في نفس الصفات بصورة متطابقة إلا أنهم يتقاسمون هذا الملمح المشترك الذي يسمح بالتعرف على أفراد العائلة الواحدة ونفس الأمر يحصل بالنسبة لألعاب اللغة.[3]

إن النشاطات الخاصة التي يمارسها الفرد هي التي تشكل لديه ألعاب اللغة التي يعبر بها فهي تتجسد في لغته؛ إن لكل فرد نشاطات معينة: مجال محدد، اهتمامات، أفكار، مقاصد، طموحات... إلى درجة يمكن القول أنه يتكلم لغة خاصة.

---

[1]- المصدر السابق، § 421، ص.319، وأيضا: § 492، ص.336، § 569، ص.359

2 – المصدر نفسه، § 199،ص.246، أيضا: § 108،ص.194، § 445، ص.327

[3]– Jean François Malherbe,(La Problématique des Collisions entre Jeux de Langage), dans Langage Ordinaire et Philosophie chez le Second Wittgenstein, séminaire de Philosophie du langage 1979- 1980, Cabay, Louvain-la-Neuve, 1981, p.15

إن أهمية مفهوم " ألعاب اللغة " تتمثل في كونه يسمح بتبيان أن كل لعبة محكومة بقواعد تعريف خاصة بهذه اللعبة، فقواعد اللغة الشعرية ليست كقواعد اللغة العادية ولا كقواعد اللغة العلمية. إن دراسة ألعاب اللغة هي دراسة القواعد التي تحكم الاستعمال الصحيح للكلمات والجمل في هذه اللعبة اللغوية أو تلك. إن لكل لعبة لغوية مصاغة أو مصممة بشكل جيد قواعد متناسقة ونفس الشأن بالنسبة لألعاب اللغة.

وقد يحصل أحيانا أن يقع خلط بين ألعاب لغوية؛ يحدث ذلك مثلا عندما نوظف أثناء لعبة لغوية قواعد تعريف تخص لعبة أخرى. ومثل هذه الخلط حسب فيتغنشتاين هو مصدر الصعوبات التي أجهد المهتمون أنفسهم لحلها. غير أنها في حقيقة الأمر أشباه مشاكل أو بأسلوب آخر مشاكل مطروحة بطريقة خاطئة.

لا يمكن أن ننكر بشكل ما أن مفهوم "اللعبة اللغوية" يبقى واحدا من المفاهيم المركزية للفلسفة الأخيرة لفيتغنشتاين، ويمكن أن يغدو هذا المفهوم أكثر وضوحا عند التعرض له انطلاقا من تحليل مفاهيم أخرى أو عند تسليط الضوء عليه انطلاقا من سياقات أخرى، وذلك نظرا لارتباطاته بمفاهيم مثل: " التشابه الأسري " و" أشكال الحياة " ونظرا لأهميته في توجه فيتغنشتاين اللغوي الجديد باعتباره يمثل بديلا لمفهوم " الحساب المنطقي".

المبحث الثاني:

أشكال الحياة

يمكن التساؤل أولا عن دلالة مفهوم " أشكال الحياة" وعن كيفية توظيف فيتغنشتاين لهذا المفهوم الذي يؤسس كبقية المفاهيم الأساسية لمرحلة جديدة. والأهم من ذلك هو التساؤل عن الدور الذي يؤديه هذا المفهوم ضمن نظرية ألعاب اللغة. إن مفهوم " شكل حياة" لا يرد إلا في سياقات محدودة [1] ضمن "تحقيقات فلسفية" ومع ذلك فهو يشكل مفهوما محوريا ويكتسي أهمية خاصة في أعمال فيتغنشتاين المتأخرة.

ربما أراد فيتغنشتاين إحياء مفهوم ضارب في أدبيات الفكر الألماني مثلما نجد مثلا عند هيغل، فون همبولدت Wilhelm von Humboldt (1767-1835) وشبنجلر Oswald Spengler (1880- 1936). وبالرغم من أنه لا يَرِدُ كثيرا في كتابات فيتغنشتاين إلا مرات محدودة، إلا أنه يكتسي أهمية خاصة. ويظل مرتبطا بمفهوم "اللعبة اللغوية" لكونه محكوم بقواعد الاستعمال كتلك التي تنظم الحياة الاجتماعية " في هذا المقام، على اللفظة "لعبة لغوية" أن تبرز أن تكلم لغة ما يعد عملا أو شكل حياة ".[2] إن الألعاب اللغوية باعتبارها جزءا من النشاطات اللغوية تبقى خاضعة لشروط انجاز في محيط اجتماعي محدد وضمن مواضعات محددة.

إن اللعبة لكونها تحتكم لقواعد معينة تضفي صفة المؤسسة الاجتماعية على اللغة. ولما كانت " طريقة تصرف البشر العامة هي النظام المرجعي الذي نؤول بواسطته لغة مجهولة لدينا "[3] فإن شكل الحياة الذي ترتبط به ألعابنا اللغوية هو المجتمع البشري. وتختلف الألعاب اللغوية تبعا لاختلاف البيئة الاجتماعية والطبيعية. ولما كانت الألعاب متغيرة زمانيا " إن أصنافا جديدة من اللغات وألعابا لغوية جديدة، إن أمكن القول، تظهر

1 – يرد هذا المفهوم في مؤلف" تحقيقات فلسفية " حوالي 6 مرات.

2– فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، § 23، ص. 137

3– المصدر نفسه، § 206، ص. 249

للوجود وأخرى تبلى وتُنسى"[1] فإننا بحاجة إلى ذاكرة اجتماعية، ولن تكون هذه الذاكرة إلا شكلا من أشكال الحياة. هذا الارتباط بين اللغة والحياة الاجتماعية جعل فيتغنشتاين يحيل القضايا اللغوية إلى مجال التداول. فاللغة ليست مجرد وسيلة للإخبار والتواصل فقط وإنما هي نشاط وممارسة اجتماعية.

يلح فيتغنشتاين على أن " تكلم لغة هو جزء من نشاط أو من شكل حياة"[2]. ويريد بذلك أن تكلم لغة ما إنما هو نشاط تحكمه قواعد تتعدى حدود القواعد اللغوية نظرا لأن ألعاب اللغة تظل متداخلة مع نشاطات لا ألسنية، وينبغي فهم هذه الألعاب في هذا السياق. " إن تصور لغة معناه تصور حياة".[3] وقد ورد في الكراسين الأزرق والبني أن تصور لغة ما يعني تصور ثقافة[4].وبالمثل يغدو شكل حياة ما ثقافة بعينها أو تشكلا اجتماعيا، إنه مجموع نشاطات فئة معينة وقد اندمجت فيها ألعاب اللغة.

إن شكل حياة هو إذن لعبة لغوية، وأشكال الحياة لا يمكن حصرها تماما مثل ألعاب اللغة: " كوننا نتصرف بهذه الطريقة أو تلك، ندخل بعض الأفعال تحت طائلة العقاب على نحو أو آخر، كوننا نصدر أوامرا وكوننا نصدر تقريرا، نصف ألوانا، نهتم بمشاعر الآخرين. وما ينبغي إضافته في هذا المضمار هو المعطى ويمكن القول هو وقائع الحياة أو أشكال الحياة".[5]

إن شكل حياة هو لعبة لغوية، وأشكال الحياة لا تحصى تماما بالضبط مثلما أن ألعاب اللغة هي الأخرى لا تقبل الحصر. وما يميز لغتنا أن الأساس الذي تقوم عليه يتكون من أشكال حياة مستقرة يتجلى في نشاط منتظم، فوظيفتها محددة سلفا بالفعل الذي يرافقها.

---

[1]– المصدر السابق، § 23، ص.137.

[2] – المصدر نفسه، § 23، الصفحة نفسها

[3]– المصدر نفسه، § 19 ص. 131

[4]-Wittgenstein, *Le Cahier Bleu et le Cahier Brun*, , trad. G.Durand , Gallimard , Paris, 1965, p.134

[5]- Wittgenstein L., *Remarques sur la Philosophie de la Psychologie I*, traduit de l'allemand par, Gérard Granel, Mauvezin, TER, 1989, 63, p. 67

ورغم وجود تباين بين أشكال الحياة تبعا للتباين الثقافي فإنه يمكن القول بشكل حياة واحد للبشر. وهذا يوضح مقولة أخرى لفيتغنشتاين:" وما ينبغي قبوله، أي المعطى، إنما هو....أشكال الحياة".[1]

إن العلاقة بين لعبة اللغة وشكل الحياة تبدو مضاعفة وذلك للاعتبارين التاليين:

أولا: إن اللعبة اللغوية هي نشاط مرتبط بشكل حياة الأفراد في وسط اجتماعي معين؛ أي أن ما تدل عليه لغة معينه ينبغي أن يُفهم بالقياس لأشكال الحياة التي يتواجد فيها الأفراد. وذلك لكون اللغة نشاط مرتبط بشكل حياة يخص مجموعة لسانية: "وسأسمي كذلك لعبة لغوية الكل الذي تكونه اللغة والأعمال التي تنضوي تحتها "[2] و" أن نتصور لغة يعني أن نتصور شكل حياة "[3] وهو يؤكد في هذا المقام بأنه "على اللفظ "لعبة لغوية " أن تبرز أن تكلم لغة ما يعد عملا أو شكل حياة "[4]

وإذا تساءلنا ما المقصود بشكل حياة فكأنما نطرح السؤال التالي: " في أية مناسبة ولأي غرض نقول هذا ؟ أي طريقة تصرف ترافق هذا اللفظ (فكر في التحية) في أي مشهد يستعمل ولأي غرض؟[5] والأمثلة التي يقدمها فيتغنشتاين في هذا السياق: أمر، سأل، حكى، روى، ثرثر، إنها تنتمي إلى تاريخنا الطبيعي فهي مثل: مشى، أكل،شرب، لعب.[6]

تتضمن الفقرة رقم23 جملة من ألعاب اللغة يمكننا ذكر بعضها والإشارة إلى ما يقابلها من نشاطات أو أشكال حياة على الترتيب:

1- Wittgenstein L., *Recherches Philosophique II*, Op.Cit., p. 226

2- فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، § 7، ص.124

3- المصدر نفسه، § 19، ص. 131

4- المصدر نفسه، § 23، ص. 137

5 - المصدر نفسه، § 489، ص.336

6 - المصدر نفسه، § 25، ص.139

1- الأمر والتصرف بمقتضى الأوامر، وهو ما يعبر عن وضعية معينة تنطوي على مفهومي السلطة والطاعة؛ ولما كان هذان المفهومان مرتبطين بالنظام الاجتماعي فمعنى ذلك أن الأمر بالنسبة لمثل هذه الوضعيات يتعلق بإنتاج اجتماعي للمعنى.

2- وصف شيء انطلاقا من مظهره الخارجي أو من مقاييس محددة.

3- إعادة تشكيل شيء بناءً على وصفه (أو على صورته).

4- نقل حادثة.

تحيلنا هذه الألعاب لمجريات الحياة اليومية، كما يمكنها أن ترتبط أيضا بالممارسة العلمية،و يمكن للعبارة رقم 3 أن ترد في سياق التواصل الاجتماعي.

5- التكهن بحادثة. ترد هذه العبارة في سياق الحياة العادية وقد ترد بمعاني قريبة في سياقات أخرى مثلا بمعنى التنبؤ في السياق الفلسفي.

6- طرح فرضية وفحصها.

7- عرض نتائج تجربة في شكل جداول وبيانات.

هذه العبارات تحيلنا بشكل مباشر للنشاطات العلمية.

8- إبداع حكاية وقراءتها

9- عرض أنشودة

10- تأدية دور في مسرحية

ترتبط هذه الألعاب بنشاطات ثقافية وأدبية.

وهذا العرض لبعض "أشكال الحياة "المتباينة يظهر لنا أن فيتغنشتاين لم يتخل بصورة نهائية عن كل ما جاء في مشروع الرسالة الذي جاء بهدف التأسيس للغة كاملة تخدم بدرجة أولى الحاجة العلمية، وهي تؤدي وظيفة الوصف وتستند إلى قواعد المنطق. إنه يضع ذلك المشروع ضمن أفق جديد أوسع آخذا بعين الاعتبار تعدد أشكال الحياة، وبالمقابل تعدد أشكال اللغة. وما يدعم هذا التوجه في فلسفته الجديدة ما اختتم به العبارة

رقم 23 إذ يقول: " من المفيد مقارنة تعدد الأدوات في اللغة وتعدد طرق استعمالها، وكذلك مقارنة تعدد أقسام الكلام والجمل مع ما قاله المناطقة في بنية اللغة (بما فيهم كذلك مؤلف كتاب ' رسالة منطقية فلسفية ')[1]

ثانيا: اللغة هي شكل حياة بالقياس إلى أشكال حياة أخرى، بمعنى أنها تتمتع بنوع من الاستقلالية. ويقصد بهذه الأخيرة أنه لا يمكن للغة أن تكون لها دلالة خارج إطار اللغة ذاتها. ومن هنا تظهر المماثلة بين اللغة وبين لعبة الشطرنج التي توضح لنا هذه الخاصية اللغوية، فبالنسبة للعبة الشطرنج نحن لا نعود لما هو خارج اللعبة للحصول على ما يخص اللعبة من معان، " أن تنجح "فهذا يحصل داخل اللعبة. ولتأكيد هذه الخاصية يختار فيتغنشتاين تشبيه الجملة بالصورة وبالقطعة الموسيقية.[2] إن فهم جملة لغوية هو أقرب إلى فهم قطعة موسيقية. وهذا التشبيه بين الجملة والقطعة الموسيقية يعني عدم القدرة على الفهم الدقيق لكلتيهما؛ فمثلما أن الموسيقى هي عالم ينطوي على ذاته أو له لغته الخاصة فكذلك ألعاب اللغة، مما يترتب عنه أن اللغة لا تتطلب مبررا لمعيار خارجي.

إن أسس اللغة تقوم في" الرسالة"على معطيات ثابتة تمتنع عن التحليل وتفوق الوصف: الفضاء المنطقي، الوضعيات الممكنة وبالتالي فهي تتحدث عن حدود لا تمت بصلة لما يمكن قوله. لكن في المرحلة الثانية لم تعد للغة أسس كهذه من قبيل الذرات الميتافيزيقية. ولكنها تمثل أشكال نشاط متغيرة ومشتركة. لكن كيف يمكن لأشكال الحياة أن تمثل أسسا للغة ؟ يمكن لمفهومي " شكل حياة " و"لعبة لغوية " وربما إلى جانب مفاهيم أخرى في هذه المرحلة أن تمثل امتدادا للتمثيل الرمزي السائد في الرسالة أو البديل بالنسبة لهذا التمثيل. ولكن هذا التأويل لا يبدو مقنعا فعلى الرغم من أن ممارستنا

1 – المصدر السابق، §23، ص.138.

2– المصدر نفسه، §522، § 523، ص.344، §527، ص.346.

المشتركة تظل شرطا ضروريا لألعابنا اللغوية فهذا لا يبرر هذه الممارسة بشكل متعالي.وعلاوة على ذلك فبالرغم من أن شروط المعنى المثبتة بالنحو تسبق المسائل الواقعية فإن المهم بالنسبة لمفهوم شكل حياة هو بالضبط أن يزيل استعلائية هذا التباين وذلك بالاعتراف أن النحو هو جزء لا يتجزء من الممارسة الإنسانية، وبالتالي فهو خاضع للتغير.

ويمكن النظر من جهة أخرى لأسلوبنا في الحياة على أنه جزء من طبيعتنا البشرية البيولوجية الثابتة التي تحدد بصرامة طرائقنا في الفعل ورد الفعل. إن " ما نقدمه ليس في الحقيقة إلا ملاحظات حول التاريخ الطبيعي للإنسان، وإذا مرت دون جلب الانتباه فلأنها تقع تحت أنظارنا باستمرار "[1]. ولكن هذه النظرة الطبيعية هي انثروبولوجية أكثر منها طبيعية،"..الأمر، السؤال، الحكاية، الدردشة–التي تنتمي إلى تاريخنا الطبيعي مثل المشي والأكل والشرب واللعب"[2]. إن هذه النشاطات كتلك التي ذكرناها سلفا هي نشاطات ثقافية وأشكال تفاعل اجتماعية، وبنفس الكيفية فإن القياس بل والرياضيات والمنطق تغدو جميعها ظواهر انثروبولوجية متعلقة بتاريخنا الطبيعي. إن هذا التاريخ الطبيعي هو تاريخ الكائنات التي تستعمل اللغة وتطور الثقافة. ينبغي علينا أن نميز أشكال الحياة المشتركة للطبيعة البشرية.إن نظرة فيتغنشتاين مثل النظرة الماركسية والبرجماتية لا تركز على المكونات البيولوجية الثابتة بقدر ما تركز على الممارسة التاريخية.

ولا يقر فيتغنشتاين فيما يخص الممارسات الألسنية بحتمية طبيعية وإنما بنسبية ثقافية تلزم عن نسبية تصوره لاستقلالية اللغة. إنه ينكر أن تكون أشكال التمثل متعلقة بمعايير ميتافيزيقية أو بجوهر وهمي مزعوم للواقع. وهذا لا يعني أنه ليس بإمكاننا أن نخضعها لمعايير عملية، إلا أن هذه النظرة تقوم على حقيقة أن كل شكل من أشكال التمثل يحدد

[1] - المصدر السابق، § 415 ص.317- 318
[2] - المصدر نفسه، § 25. 139.

أو يثبت معاييره العقلية الخاصة، وما يلزم عن هذا أن التبريرات العملية ذاتها لألعاب لغة خاصة تظل داخلية. وبالتالي فإن النقد الخارجي للعبة اللغة لا يمثل أبدا حجة عقلية وإنما ضربا من الإقناع.[1]

إن نسبية ألعاب اللغة ليست آخر ما يمكن لفيتغنشتاين أن يقوله في هذا السياق، ففي إطار شكل حياة، يمكن أن نبرر أو نعيد ترتيب ألعاب خاصة للغة، فقضية نحوية مثل: " ليس بوسعنا معرفة المستقبل" تكون ربما مبررة بنقص الثقة في تكهناتنا.[2] أو بالعكس معدلة بزيادة معتبرة في وثوقيتها. وما لا ينبغي أن يكون عرضة للنقد هو الممارسة الألسنية (شكل الحياة) باعتبارها تمثل كلا واحدا.

وفي طرح سابق للمناقشات المعاصرة حول الترجمة الفعالة أو الناجعة يناقش فيتغنشتاين هذا الموضوع، من وجهة نظر ايثنولوجية أو وفق منهج انتروبولوجي والذي نتخذه عندما نحاول فهم طائفة أجنبية.[3] حيث يؤكد فيتغنشتاين مثل كوين ودافيدسون أن السلوك اللغوي ينبغي أن يلبي حدا أدنى من المتطلبات لكي يكون معقولا. وحسب "مبدأ الإحسان" فإن التأويل يفترض أن نعالج معتقدات الآخرين على أنها صحيحة إجمالا. ويغدو وفاق فيتغنشتاين جزئيا " لا يكفي التوافق في التعريفات وحده فقط للتفاهم بواسطة اللغة، بل (حتى وإن بدا ذلك غريبا) كذلك التوافق في الأحكام ". [4]

أن نتبادل لغة لا يعني ذلك " أن نتفق على الآراء، ولكن أن نتفق في شكل حياة ".[5] ومن أجل ذات السبب فإن فهم لغة أجنبية يفترض تقاربا ليس في الاعتقادات ولكن في

1 - Wittgenstein L., *On Certainty*, Edited by G. E. M. Anscombe and G. H. von Wright translated by Denis Paul and G. E. M. Anscombe Basil Blackwell Oxford, 1969, § 92, p.14 , § 262, p. 34, § 608-612 , p-p. 80,81

2- Ibid., §188, p.26

3- Rhees, R., *Some Developments in Wittgenstein's View of Ethics*, Philosophical Review, n.74, 1965, p.25.

4- فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، § 242، ص.259

5- المصدر نفسه، § 241 ص.259

أنماط التصرفات، وهو ما يستلزم ملكات إدراك وانفعالات مشتركة" إن طريقة تصرف البشر المشتركة هي النظام المرجعي الذي نؤول بواسطته لغة مجهولة لدينا" [1].

إننا نوظف ألفاظا ترتبط بالإحساس مثل "ألم" بالنسبة للآخرين على أساس معايير سلوكية بسيطة. وبالمقابل ليس بمستطاع الطباع أو المواقف القصدية (أمل، تصنع، كدر، أراد أن يقول، عنى، حاول، اتبع قاعدة) أن توصف فقط على أساس سلوك لحظي للفرد، وإنما هي بحاجة لوصف شامل للمحيط أو السياق. ولا يتكون هذا السياق من عناصر مرافقة ذات طبيعة ذهنية ولكن من: 1- قدرات الشخص 2-مجموع أوصاف الحدث (عبر الزمن: ما حدث وما سيحدث)، 3-السياق الاجتماعي: أي مجموع ألعاب اللغة الممارسة في والوسط الاجتماعي. وعلى سبيل المثال فإن تحريك الرضيع لقطعة من لعبة الشطرنج لا يعني أنه يلعب الشطرنج، كما أنه ليس بقادر على التظاهر بذلك. ولعلنا نتألم أعشار ثانية، لكننا لا نستطيع أن ننتظر أحدا أو أن نغضب لمدة أعشار ثانية. ولن نستطيع أن ننوي اللعب بالشطرنج إلا إذا توفرت تقنية اللعب.[2]

وفي مرحلة ثانية من التحقيقات عن هذا بقوله أن الألفاظ القصدية تستند إلى "بواعث في نسيج حياتنا".[3] إن التعقيد الذي يتميز به هذا النسيج أو هذه اللحمة يفسر لنا لماذا ظلت بعض الأحكام السيكولوجية بالنسبة لضمير الغائب غير مؤكدة أو غامضة، فعدم إمكانية الوقوف على انفعالات الآخرين تعكس الغموض المؤسس لبعض ألفاظنا السيكولوجية.

ويعود هذا الغموض إلى الطابع الاجتماعي لتصرفاتنا. ينبغي أن تكون مفاهيمنا العقلية لينة ومرنة، ذلك أن السلوكات البشرية وكثير من استجاباتنا تجاهها تبقى متنوعة

---

[1]- المصدر السابق، § 206 ص.249

2- المصدر نفسه، § 200، ص.247، § 205 ص.248، § 250، ص 261 §337، ص 289-290 § 583، ص.362، § 643-644، ص 379

3- المصدر نفسه، ج. II، ص.174، 229

وغير متوقعة.[1] وليس بمستطاعنا أن نفحص انفعالاتنا بطريقة دقيقة على أساس معايير بسيطة بل نحن بحاجة إلى أن نأخذ بعين الاعتبار أسبقية السياق والأحداث، وهذا لا يكون غالبا ممكنا إلا إذا عرفنا جيدا الشخص المعني بالأمر، وإذا كانت لدينا معرفة خاصة بالطبيعة البشرية.

ويؤكد أيضا على أن تكلم لغة إنما يقوم على ضرورة التمرن، وعلى وجود كيفيات تخص العبارات اللغوية، وهذا لا يعني أنه ينبغي علينا إن نفكر أساسا في الطريقة التي يكتسب بها الراشدون لغة أجنبية أو لغة تخصص، لكن ينبغي بالأحرى أن ننتبه إلى الأسلوب الذي يتعلم به الأطفال لغتهم الأم، وفي هذه الحالة، لا يتعلق تعليم اللغة فعلا بالشرح والتوضيح بل يرتبط بالترويض أو التدريب.[2]

ولا يتعلق التدريب هنا بطريقة تربوية أو بيداغوجية لتعلم لغة ما بل يتعلق الأمر بضرب من التعقل الفلسفي الحاصل بفعل التكرار وتكثيف الجهد الموجه نحو موضوع محدد. لابد من أن يكون الأمر واضحا بالنسبة لمن يريد أن يتعلم أو لمن ينبغي عليه تحصيل أصول نشاط معين، إنه ليس بإمكانه قط التمرن على ممارسة هذا النشاط أو ذاك إلا إذا خضع لتدريب مكثف، ومن يجهل كل شيء عن نشاط ما، سوف لن يكون بوسعه أن يطرح الأسئلة التي تستطيع مساعدته على التحسن، أما المرحلة الأولى فهي إذن التدريب بمعنى: إظهار ما تعلمه لشخص ما أو القيام بذلك على مرأى ومسمع منه، وفي المرحلة الثانية، تقليد الحركات البدنية لأحد من الناس ومحاكاة كلمات آخر، وعندما يتعلم المرء العزف على آلة موسيقية، مثلا، فالمعلم يبدأ بتبيان موضع الأصابع والوضعيات المختلفة الخ... وفي هذه الحالة تغدو هيئة ما (تدريب) ظاهرة للعيان.

1-Wittgenstein, L., *Remarques sur la Philosophie de la Psychologie II,* § 651-653 ; Derniers Écrits sur la philosophie de la Psychologie II, traduit de l'allemand par Gérard Garnel, Mauvezin, TER, 2000, p-p.24-25, p-p.61-64

2 - فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، § 5، ص. 121

ولكن هل يعني هذا التحليل أن فيتغنشتاين يريد أن يُقحِم ما يتعلق بسيكولوجية الطفل أو بأبحاث تجريبية حول اكتساب اللغة في مجال فلسفة اللغة، خاصة أنه يربط لنا في أكثر من سياق بين التعرف على معنى عبارة وبين تطور التمرن أو التدريب. إن فيتغنشتاين في حقيقة الأمر لا تهمه الأبحاث التجريبية، فتعلم مفاهيم أساسية في وضعيات تدريب تغدو أمرا (حادثا) بقدر ما ظلت اللغة نفسها (حادثة)

إن الاستعمال الفعلي للغة لا يوصف بدقة إلا بقدر ما أُخذت الظروفُ غير اللغوية بعين الاعتبار،أي أنه ينبغي إضافة إلى ذلك كي نستطيع تمييز استعمال لغة فعلية، من أن نأخذ في الحسبان أيضا جملة الأوضاع الخارجية، وهو ما يلخصه فيتغنشتاين بالصيغة "أن تتصور لغة يعني أن تتصور شكل حياة "،[1] وكان فيتغنشتاين يعني بشكل حياة، كما توضح أمثلته ذلك جيدا، مجموع الممارسات لمجتمع ما كما تنعكس في اللغة. أما الجوهري في المسألة فهو ليس بالتأكيد رسم قائمة كل النشاطات التي تمارس خلال مرحلة معينة في زمرة أو مجتمع معين، فالجانب الذي يقصده قبل كل شيء فيتغنشتاين هو التلازم الموجود بين استعمال العبارة اللغوية وأساليب الفعل الراسخة بعمق والتي _ لهذا السبب بعينه _ تظهر جلية للمتكلمين لدرجة أنهم لا يرون فيها مجالا للنظر.

وهذا لا يعني بالتأكيد أن الألفاظ الجديدة لا تُؤخذ بعين الاعتبار، ولكنها تلعب دورا مختلفا، ويمكن اعتبار شكل حياة، كما هو الشأن للغة، كمدينة عتيقة، متاهة، ممرات وساحات صغيرة، بيوت قديمة وجديدة وبيوت تزداد وتكبر عبر الزمن، والكل محاط بعدد من ضواحي جديدة، ذات شوارع مستقيمة تضم بيوتا متماثلة.[2]

إن الحاجة إلى التقارب في شكل الحياة له مقتضيات ما زالت غير مكتشفة في ميادين عدة كالأخلاق. ومع مرور الزمن توسع مفهوم "شكل حياة " عند فيتغنشتاين فهو يؤكد لنا

1 – المصدر السابق، § 19، ص. 131

2 – المصدر نفسه، § 18، ص–ص. 130، 131

أنه لوصف فعل بشري لسنا بحاجة إلى وصف " ما يفعله المرء الآن ولكن نحن بحاجة لكافة خصائص الأفعال البشرية، إلى شكل حياة يكون الفعل الفردي جزءا منه "[1].

[1] - Wittgenstein, *Fiches*, éditées par G.E.M. Anscombe et G.R. Von Wright, traduit de l'allemand par Jaques Fauve, Gallimard, 1970, §567, p.145

المبحث الثالث:

التشابهات الأسرية

إذا كان مدلول اللفظ مقترنا باستعماله في الجملة أو القضية حسب ما تحدده قواعد الاستعمال، يصبح من الممكن تتبع المعنى الخاص باللفظ من خلال رصد مختلف السياقات التي يمكن أن يرد فيها. ولكن من الصعوبات التي تواجه إجراء كهذا هو وجود كثير من الاستثناءات. مما يعني أنه من المتعذر إعطاء قائمة بكل الاستعمالات الممكنة أو غير الممكنة حتى نبين حدود المعنى. فلا سبيل إلى جدول يضم كل الاستعمالات إنها ببساطة " لا تحصى" وتتغير عبر الزمن.

يرتبط هذا المسعى– حسب فيتغنشتاين– بالبحث عن التفسير وبالتالي عن التعميم، بينما تمثل فلسفته دعوة صريحة لتجاوز المطلق والاهتمام بالنسبي والخاص، فالمثال خير من القانون والحالة أحسن من القاعدة، وتعدد الأمثلة وتباينها وتنوعها يدعونا إلى التخلي عن الوثوقية وبالتالي إلى التخلي عن الدغمائية المنغلقة. ومن يبحث عن" الشكل العام للقضية" لن يجده في قضية واحدة بل في القضايا جميعا: " لقد تحدثت عن كل أصناف الألعاب اللغوية ولم تقل حتى الآن ما جوهر اللعب اللغوي وكذلك ما هو جوهر اللغة ؛ وما هو الشيء المشترك بين كل هذه الأعمال وما الذي يجعل منها لغة أو جزءا من لغة؟"[1] فتعدد الألعاب وأصنافها وتأكيد فيتغنشتاين وجود ألعاب لغوية لا تحصى يجعل طرح السؤال يتعلق بحدود اللغة. أي متى ما يمكن أن نقول عن شيء ما ، " أنه ليس لعبة لغوية" وبالتالي أنه " ليس لغة" ؟ أي شيء سيغيب في هذا القسم المشترك الذي يجعل من اللعبة اللغوية لعبة لغوية ومن اللغة لغة؟ سيجيبنا فيتغنشتاين بأن هذا السؤال"لا معنى" له، لأن جوابا ما يجعلنا في مجال منطق محدد يحكمه منطق الثالث المرفوع، بينما تقوم فلسفته في المرحلة التي تلي الرسالة على اعتبار أن المبادئ نسبية حتى وإن تعلق الأمر بالرياضيات.

[1] – المصدر نفسه، § 65، ص. 169

وفي المقابل يؤسس كتاب "تحقيقات فلسفية" لمنطق الإبهام الذي لا يبحث عن إقامة حدود صارمة بين المفاهيم: " لنعترف أن ما نسميه "قضية" وما نسميه " لغة" ليست الوحدات الشكلية التي كنت أتصورها (يقصد في مرحلة الرسالة) وإنما عائلة أشكال متصاهرة أو تكاد تنتسب الواحدة للأخرى بدرجات مختلفة. ولكن هل هذا يعنى أن صرامة المنطق قد تفككت ؟ كيف يمكن بالفعل أن يفقد المنطق صرامته ؟ لن يكون ذلك بالطبع بالتقليل من صرامته.[1] أما عن حدود المعنى وبالتالي ما يسميه لغة، فإننا نرى إطلالة البديل في قوله :" (...) عوض أن أبين ما هو الشيء المشترك بين كل ما نسميه لغة، فإني أقول إنه ليس لهذه الظواهر شيء مشترك من شأنه أن يجعلنا نستعمل على أساسه الكلمة نفسها، لكنها مرتبطة الواحدة بالأخرى بطرق عديدة ومختلفة. وبفضل القرابة أو صلة النسب فإننا نسميها كلها "لغة".[2] بهذا تترك المعايير بعض أهميتها وتتخلى عنها لفائدة مفهوم جديد هو مفهوم " الشبه العائلي"[3]

وتبعا لذلك ينفي فيتغنشتاين أن يكون هناك قاسم مشترك يقوم على أساسه " الشبه العائلي" الذي يربط بين ما يمثل مجموعة ما، فيكتفي بجعل الصلة الوحيدة هي رباط القرابة. ولكنه ما يلبث أن يعود إلى الحديث عن السمات والقاسم المشترك:" لا بد أن يكون بينها شيء مشترك وإلا لما سميناها ألعابا".[4] ثم يعود للتعبير عن هذا التناظر الذي يجسد التشابه؛ لا يمكن أن أجد عبارة أفضل من "شبه عائلي"، لأن أنواع الشبه التي توجد بين أفراد العائلة تتراكب وتتقاطع بالطريقة نفسها: البنية، قسمات الوجه، لون

1 – المصدر السابق، § 108، ص. 194

2 – المصدر نفسه، § 65، ص–ص.169، 170

3 – المصدر نفسه، § 71، ص–ص. 173،174

4 – المصدر نفسه، § 66، ص–ص. 170،171.

العينين، طريقة المشي، المزاح، إلخ، فأقول: تكون"الألعاب" عائلة [1] لكن دون أن يقول بوجود شيء واحد يربط بين المجموعة العائلية أو بوجود جوهر ثابت يجمعها.

إن هذه الروابط المنسوجة في هذه التشابهات متداخلة بعضها ببعض دون أن يتحدد بوضوح ما هو مشترك بينها جميعا، ويبتعد مفهوم التشابهات كثيرا عن مفهوم الهوية. [2]

وما يترتب عن هذا هو الخلاف حول ما إن كان المفهوم قائما على الاشتراك في مجموعة أدنى من السمات أو على تاريخها الطبيعي باعتبارها عائلة. هناك احتمالان أو ما يمكن تسميته بالقراءة القوية للفرضية والقراءة الضعيفة للفرضية.[3]

وتقوم كلتا القراءتين على احتساب السمات المشتركة، فبينما تقوم الفرضية الضعيفة على أن الشبه العائلي يحصل بالاشتراك في سمة واحدة على الأقل، فإن الفرضية الثانية تجعل الشبه العائلي قائما في غياب سمة من السمات، وذلك لأن فيتغنشتاين تحدث في كل مرة عن سمة واحدة تغيب من لعبة معينة: بأن الضامة ليس فيها تبادل القطع وأن لعبة السوليتار ليس فيها تنافس إلخ. ولكن يبدو أن فيتغنشتاين لا يستقر على موقف نهائي بخصوص هذا الأمر، وأن مفهوم " الشبه العائلي " يدخل ضمن أسس منطق الإبهام، ولا سبيل إلى حساب دقيق، أو معيار يحدد بدقة حضور أو غياب سمة من السمات.

لا يمكن أخذ هذا المفهوم من منظور آني فقط بل من منظور زماني وإلا كيف سنفهم تغير الألعاب عبر الزمن (التي تظهر منها والتي تبلى) ؟ ألا يشير إلى اضطراب التعريفات العلمية بقوله: " ما نعتبره اليوم ظواهر ملازمة للظاهرة "ظ" سوف نستعملها غدا لا لتعريف (ظ)،[4] بمعنى أن ما نعتبره اليوم عوارض سنعتبره غدا معايير. هكذا لا يكون

1- المصدر السابق، § 67، ص-ص.171، 172

2 - Chauvire, Ch. Et Laugier, S., *Lire les recherches philosophiques de Wittgenstein*, Librairie Philosophique J. Vrin, 2° éd., Paris, 2009, p-p.94,96

3 – فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، ص. 85

4 – المصدر نفسه، § 79، ص- ص. 178، 179

التواضع إلا عبر التوافق الزماني، يحكمه الزمان والمكان فنعود بذلك إلى "التاريخ الطبيعي" ولكن بما أن المنطق لا يمكنه أن يجاري هذه النظرة الزمانيه ولا يستطيع أن يتتبع التاريخ الطبيعي لاستعمال الألفاظ فلا بد من بديل له يقوم بوظيفته، لأننا في سعينا للإجابة عن السؤال حول ماهية اللغة :" نتحدث عن الظاهرة اللغوية المكانية والزمانية وليس عن شيء خارج المكان والزمان[1]. مما يعني أن مفهوم " الإبهام " ليس جامدا ثابتا، بل متحرك له ديناميكية الزمان وتزامن المكان.

ولكن ما هو امتداد هذا المفهوم، أي ما هي الأشياء التي يعنيها مفهوم " الشبه العائلي"؟ لا وجود لشيء معين لأن ذلك يدخلنا في مطلق معايير التمييز بينما يؤكد المفهوم ذاته على نسبية الأشياء. ولكن هل هذه النسبية مطلقة ؟ لو كانت هذه النسبية اعتباطية تماما لأدى ذلك إلى ما يسميه فيتغنشتاين "تلاشي المعنى"، لأنه لابد عند وجود العوارض من وجود بعض "التعبير المستقل" وإلا أصبح مفهوم "العارض" نفسه عديم المعنى.

هل نحن في دائرة تفكير مفرغة أو إزاء مفهوم عديم الجدوى لأنه اعتباطي تماما ؟ لا هذا ولا ذاك. أولا، لأن إبهام المفاهيم لم يمنعنا أبدا من استعمالها، بل إن اعتباطية الرموز اللغوية حررتها من القيود وجعلتها أكثر نجاعة. ثانيا لأن هناك دائما إمكانية الرجوع إلى نموذج [2] (محل توافق المجموعة اللغوية، في مكان وزمان محددين) نعتبر بموجبه درجات انتماء الأشياء إلى العائلة بحسب ابتعادها أو قربها من هذا النموذج. وبذلك يمكنني من خلال وصفي لأشياء مختلفة تنتمي إلى حلقة الشبه مع النموذج أن أبين درجات انتمائها أو وقوعها خارج هذه العائلة. رغم عدم صرامة هذا الإجراء بالقياس إلى المعايير التي يصبو المنطق إلى إرسائها دون أن ينجح في ذلك.

1 – المصدر السابق، § 108، ص. 194

2 – المصدر نفسه، § 73، ص. 175

إن مفهوم " تشابه أسري" يضع حدا أو يقيم قطيعة حاسمة مع التقاليد الفلسفية التي تأخذ الألفاظ والعبارات اللغوية بالمعنى نفسه تحت غطاء "المفهوم نفسه"، " الخصائص ذاتها"، بيد أن فيتغنشتاين لم يندفع إلى ذلك بشك جامح ورغبة عارمة في تقويض كل ما سبق، وإنما كان هدفه هو إثبات خطأ التقاليد التي تتجه في عجل نحو الشمولية والتعميم المطلق متبعة في ذلك نظاما أحادي الجانب وفي هذا السياق جاء توظيفه لمفهوم " التشابه العائلي".

إن المنظور الأساسي في المقارنة بين اللغة وبين الألعاب هو التحكم في القواعد اللغوية "نحن نتحدث عن الظاهرة اللغوية المكانية والزمانية وليس عن لا شيء خارج المكان والزمان.... لكننا نتكلم عنها وكأننا نتكلم عن قطع شطرنج، عندما نعين قواعد اللعبة، وليس عندما نصف سماتها الفيزيائية ".[1]. و" السؤال: ما اللفظ في حقيقة الأمر يشبه السؤال: ما قطعة الشطرنج؟ " [2]

إن الفقرتين رقم 41 و43 تشرحان أهمية القواعد بالنسبة للألعاب والتي يمكن تلخيصها على النحو التالي:

- لا يمكن للعلامات أن يكون لها معنى دون القواعد.
- إن للعلامات معان مختلفة حسب اختلاف القواعد.
- إن الألعاب تتباين فيما بينها حسب اختلاف القواعد.[3] إن الملاحظات التالية لازمة في سياق العلاقة بين " قواعد" و"ألعاب لغة":

1- إن القواعد ضرورية بالنسبة لتعلم لعبة كما أنها ضرورية لتعلم لعبة لغة معينة، إنها شرط هذه الألعاب ولكنها ليست الألعاب ذاتها. وتشرح لنا الفقرتان 31 و54 التشابه بين وظيفة قواعد لعبة معينة ووظيفة قواعد اللغة من جانب آخر.

1 - المصدر السابق، §108، ص.194

2- المصدر نفسه، §108، ص.194

3 - المصدر نفسه، § 136، § 197، § 205

2- القواعد الأساسية والقواعد الثانوية.[1]

3- الطابع التواضعي للقواعد: إن قواعد اللغة وكذا قواعد الألعاب جميعها تواضعية ؛ إنها اللعبة ذاتها التي تحدد الهدف، وإنها أيضا لعبة اللغة ذاتها التي تعين الهدف من النحو " نستطيع أن نسمي قواعد النحو اعتباطية إذا أردنا أن نقول من خلال ذلك إن هدف النحو هو هدف اللغة ".[2]

وخلاصة القول، إن الطابع التواضعي للقواعد يتمثل في كونها هي التي تسمح بتحديد مواضع العناصر ذات الدلالة ضمن استخدام هذه القواعد وضمن كل نشاط لإنتاج المعنى؛ النشاطات الإنسانية عامة والحياة اليومية وكذا النشاطات العلمية خاصة. إن القواعد المفيدة لإنتاج المعنى هي القواعد الأساسية والقواعد غير المفيدة لإنتاج المعنى هي قواعد غير أساسية. ولكن هذا الأخير لا يتحدد حسب القواعد فقط وإنما ينجز كذلك تبعا لأشكال حياة متباينة، وتبعا لذلك فالمعنى موجه أساسا بقواعد الاستعمال اللغوي.

1 – المصدر السابق، § 564، ص 357، (من الملاحظ أن الفقرة رقم 564 تتضمن الإقرار بوجود قواعد أساسية وقواعد ثانوية لكن تبرير ذلك يرد ضمن المثال المشروح في الفقرة السابقة رقم 563)

2 – المصدر نفسه، § 497، ص 338 § 372، ص 304

المبحث الرابع:

الاستعمال اللغوي

إذا كان التوجه في النظرية التصويرية يدور حول علاقة اللغة بالعالم وشروط صدق الجمل بردها إلى قوانين المنطق الرمزي، فإن التوجه الجديد الذي أسس له فيتغنشتاين في فلسفته الثانية لا ينظر لعلاقة اللغة بالعالم بل بمستعمليها. لذا يمكن القول أن موقف الاستعمال اللغوي الذي تأخذ به التداولية ينبع من الموقف اللغوي الذي دعا إليه فيتغنشتاين فكيف مهدت فكرة الاستعمال عند فيتغنشتاين للدرس التداولي؟

تجدر الإشارة أولا إلى أن ربط المعنى بالاستعمال سابق بطبيعة الحال لموقف فيتغنشتاين، لكن هذا الأخير ظل يعترض على أي تفسير لا يرد معنى العبارات إلى البناء المنطقي الصوري لها ومن ذلك موقف موثنر Fritz Mauthner (1849-1923)[1] الذي رفض أن تُفهم عبارات اللغة استنادا إلى نموذج الحساب الصوري المنطقي معتبرا أنها وسيلة توظف لسد حاجات إنسانية متعددة ومن ثم فهي بالضرورة أداة غير مناسبة لتصوير الواقع أو تمثيله صوريا. ومثل هذه الأفكار هي ذاتها التي شكلت منطلقا نقديا لأفكار فيتغنشتاين في مرحلة ما بعد الرسالة.

وإذا كان من الممكن أن نلمس فكرة الاستعمال من خلال تصوير الوقائع، فهذا يعني أن العامل الإنساني يمكنه أن يدخل المشهد ولو بشكل ضمني أو ضمن دائرة ما لا يمكن التعبير عنه بأسلوب الرسالة، ذلك لأن البشر هم الذين يستخدمون اللغة. وقد يتخذ مفهوم "الاستعمال" دلالة غير التي أرادها فيتغنشتاين في مرحلة التحقيقات، إذ يُوظف صوريا عند المناطقة مثل فريجة ورسل ويرد بهذا المعنى في الأنسقة الرياضية بل وفي " رسالة منطقية فلسفية " أيضا. غير أن دلالته تتغير، حيث يظهر مصطلح " استعمال " بمعناه الجديد بشكل أوضح في الجزء الأول من " تحقيقات فلسفية " إذ يرد فيه منذ البداية: " ولكن ما مدلول اللفظ خمسة ؟ – لم نأخذ هذا في الاعتبار هنا وكل

[1]– موثنر فريتس (1838–1919) كاتب وفيلسوف لغة كان معاديا للاتجاه الصوري،عالج قضايا اللغة متأثرا بفلسفة أرنست ماخ، من أهم أعماله (2–1901): مساهمات في نقد اللغة (*Beiträge zu einer Kritik der Sprache*)

ما اعتبرناه هو استعمال اللفظ خمسة "[1]، إذن ففكرة المعنى – حسب هذه النظرة– تقوم على الاستعمال بل إنها تعتبر استعمال الأشياء سابق لتسميتها " وباستطاعتنا القول: لا يمكن أن يسأل بوجاهة عن اسم شئ إلا من كان يعرف ما يمكنه أن يفعل بذلك الاسم"[2]

وتجدر الإشارة أولا إلى ضرورة التمييز بين المبدأ الخاص بنظرية الاستعمال اللغوي الذي يعبر عنه الشعار:" المعنى هو الاستعمال " وبين مبدأ التحقق لدى حلقة فينا، والتقريب بينهما أو القول باشتقاق للأول من الثاني يقترب كثيرا من الخلط الذي يحصل لدى بعض الباحثين بين بعض الاتجاهات التحليلية أو بين بعض مواقفها بخصوص إشكاليات معينة. لقد شكل مؤلف "رسالة منطقية فلسفية" مصدر إلهام بالنسبة لأعضاء حلقة فينا. ورغب أعضائها لو أن فيتغنشتاين لم يغادر فينا لكان من الممكن أن يكون أقرب إليهم أو أن يشاطرهم كثيرا من الأفكار، لكنه ظل يحتفظ بعلاقة محدودة معهم عن طريق موريتز شليك ولدفيج وايزمان. ويذهب هذا الأخير إلى أن فيتغنشتاين اشترك مع الجماعة في الإقرار بمبدأ التحقق الذي يقضي في هذا السياق بأن معنى جملة محدد بطريقة تحققها ثم حول ذلك تدريجيا إلى مبدأ آخر مفاده أن معنى الجملة هو الاستعمال.[3]

ظهر التحول جليا في موقفه من نظرية المعنى ضمن مؤلفه "الكتاب الأزرق " حيث اشتمل هذا الأخير على تطور جذري يخص بعض ما كان يبدو سابقا من ثوابت تفكيره. " بدلا من التساؤل عن معنى كلمة ينبغي أن نسأل ما الذي يعنيه أن نشرح معنى كلمة ؟ كيف يتم استعمال اللفظ المدروس؟ ما الذي يمد الأصوات والرموز التي تشكل اللغة

1 – فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، § 1، ص 119

2 – المصدر نفسه، § 31، ص 144

3 – Sluga, Hans and Stern David G., *The Cambridge Companion to Wittgenstein*, Cambridge University Press, first published, U.K., 1996,p-p.14,15

بالحياة (أويعطيها معنى) ؟ " إذا أردنا الحديث عن ما يمكن أن نسميه "حياة الرمز"، فنحن نقصد استعماله "[1]

إن اللغة هي بشكل ما وسيلة لكون التكلم بلغة ما يتمثل في استخدام رموز حسب قواعد ولهدف بين. ونلمح نظرة فيتغنشتاين الأداتية للغة في التحقيقات ابتداء من الفقرة رقم 14، ولكنها تبدو جليا ضمن فقرات أخرى مثل الفقرة رقم 569، إذ يرد في مقدمتها " اللغة أداة ومفاهيمها أدوات "[2]. وباعتبارها وسيلة فإن اكتشاف لغة ينبغي أن يتحدد بالهدف منها كوسيلة. " أن نخترع لغة يمكن أن يعني،على أساس القوانين الطبيعية (أو في توافق معها)، اختراع جهاز لغرض محدد، ولهذه العبارة معنى آخر يماثل ذلك الذي نتحدث فيه عن اختراع لعبة ".[3] نحن مطالبون فيما يتمثل الهدف من اللغة كوسيلة هنا يجيب فيتغنشتاين : " إن الغرض من اللغة هو التعبير عن الأفكار – هكذا إذن يكون غرض كل قضية التعبير عن فكرة ما..."[4]

ولكن من ناحية أخرى يبين لنا فيتغنشتاين أن اللغة لا يمكن تعريفها كترتيبات لأهداف محددة. بمعنى أن اللغة ككل لا يمكن اعتبارها وسيلة موجهة لأغراض محددة، خاصة لما هو خارج إطار اللغة[5]. ويبدو أن هناك نوع من التناقض الظاهري بين التأكيد على أن هدف اللغة هو التعبير عن الأفكار وبين القول بأن للغة غايتها أو غرضها الخاص، بيد أن هذا التناقض يمكن أن يزول عندما نتناول معنى " فكر"، إذ يعتبر فيتغنشتاين في هذا السياق أن الفكر هو نشاط، لعبة لغوية أو شكل حياة. ولتوضيح مدلول كلمة «فكر" فلنلاحظ أنفسنا أثناء التفكير: ما نلاحظه سيكون ما

1- Wittgenstein , *The BIue and Brown Books*, ed. R. Rhees Blackwell, 1958, p.4

2 – فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، § 569، ص. 359.

3 – المصدر نفسه، § 492، ص. 336.

4– المصدر نفسه، § 501، ص. 338.

5 – المصدر نفسه، § 497، الصفحة نفسها

تعنيه لفظة «يفكر".[1] وبهذا يمكن القول أن التفكير نشاط منتج للمعنى والاستراتيجيات التي تأخذ يعين الاعتبار كل شكل حياة، وهذا النشاط المنتج لا يمكن أن ينجز دون لغة. " إن الفكر يبدو هنا غير مفصول عن التعبير وغالبا ما نفكر عندما نتكلم. وعندما " أفكر أثناء الكلام فإنه لا تمر بذهني مدلولات علاوة على العبارات اللغوية: بل إن اللغة هي نفسها ناقلة الأفكار"[2]

وإذا عرفنا الفكر كنشاط منتج للمعنى والاستراتيجيات حسب معطيات كل شكل حياة فهذا ما يريد بالضبط فيتغنشتاين قوله بمصطلح " الاستعمال ". ولكن الاستعمال هو أيضا ما يحدد معنى اللغة " إن مدلول لفظ هو استعماله في اللغة. وهكذا يمكن تأكيد أن معنى "فكر" هو من جهة ما معنى اللفظ " قال"، ومن جهة أخرى فإن هدف اللغة هو التعبير عن الأفكار.

تنطوي مواقف فيتغنشتاين على الإقرار بصعوبة تحديد ما المعنى ؟ وقد ألقى الضوء على ذلك حتى في المرحلة الأولى عندما اختزل اللغة إلى حساب منطقي يمكنه أن يحدد ما له معنى من القضايا وما ليس له معنى. ".. في المنطق – لسنا نحن الذين نعبر بواسطة علامات الرموز– عما نريد، بل أن الذي يقوم بذلك – في المنطق–هو علامات الرموز نفسها بحكم طبيعتها، والتي هي ضرورية ضرورة جوهرية. أي أننا إذا عرفنا البنية المنطقية لأية لغة ذات علامات فإننا نعرف بذلك جميع قضايا المنطق".[3]

ويضيف في فقرة لاحقة: "... وهذا ما نفعله حين نبرهن على قضية منطقية، لأننا بدون أن نجشم أنفسنا مشقة معرفة المعنى، نقوم بتكوين القضايا المنطقية من قضايا أخرى بواسطة قواعد استخدام الرموز وحدها "[4] ومن المهم أن نلاحظ كيف يُزاح الضمير "

1 – المصدر السابق، § 316، ص. 283

2 – المصدر نفسه، § 329، ص. 286

3 – فيتغنشتاين، رسالة منطقية فلسفية، مصدر سابق، العبارة: 6.124، ص–ص. 148،149

4 – المصدر نفسه، العبارة: 6.126، ص. 149

نحن" كوسيط بين العلامات والعالم. وتستبعد معه كذلك الحالات القصدية وعنصر الإرادة. وسنلمح التحول الذي يحصل تدريجيا عندما استبدل مفهوم "الحساب" بمفهوم "ألعاب اللغة". إن معنى اللفظ هو الدور الذي يلعبه أو يؤديه في نظام اللغة (إني أقارنها بقطعة الشطرنج)، دعونا نفكر الآن في الطريقة التي تحصل بها تراكيب مع اللفظ " أحمر" مثلا: تموقع اللون المعطى، الشكل والقياس المميزين للبقعة أو الجسم الذي يحمل اللون، يقال لنا ما إذا كان صاف أو متداخل مع ألوان أخرى، مدى ما إن كان جليا أو داكنا، ثابتا أم متغيرا وغير ذلك. ما يُسْتخلصُ من مثل هذه القضايا يمثل شروحا أو سلوكات... بهذه الطريقة نقوم بوصف استخدام اللفظ " [1]

ولا يكتفي فيتغنشتاين بالحديث عن استعمال اللفظ بل يتكلم أيضا عن استعمال العبارة. فهذه الأخيرة يمكن أن تتضح دلالاتها من خلال دورها في اللعبة اللغوية. ومعظم الأمثلة التي ترد في كتاباته خلال المرحلة الثانية هي جمل لا وصفية. ولكن هذا لا يفضي إلى نتيجة مفادها أن فيتغنشتاين ضمن مرحلة الأبحاث يلغي مفهوم " شروط الصدق" وإنما هو يعتبر أن شروط الصدق محددة ضمن اللعبة اللغوية وضمن الجمل اللغوية. وهذا منطلق مؤسسي التداولية والممثل في قبول الجمل اللاوصفية هي الأخرى لقيمتي الصدق والكذب. لقد أراد فيتغنشتاين من خلال التنوع الهائل في أنماط العبارات التي ترد في كتاباته الأخيرة أن يبين أن اللغة لا يمكن استخدامها دوما وصفيا. ولا يمكن لدورها أن يقف عند حدود تصوير الواقع، " كم صنفا من الجمل يوجد إذا؟ الاقرار والسؤال والأمر مثلا ؟ – هناك عدد لا يحصى من هذه الأصناف:عدد لا حصر له من أصناف الاستعمالات المختلفة لكل ما نسميه علامات وألفاظا وجملا. وهذه الوفرة في العدد ليست ثابتة..."[2].

1 -Wittgenstein, Ludwig. *Philosophical grammar* , Ed. R. Rhees, transl. A. J. P. Kenny. Oxford: Blackwell. 1974, p.67

2 – فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، § 23، ص 136.

هذه الفكرة التي اتبعها بتحليل واف لألعاب اللغة هي التي تحولت لا حقا لما يسمى أفعال الكلام، مشكلة بذلك واحدة من أهم النظريات التداولية. وبدلا من التعامل مع اهتمام فيتغنشتاين بالجمل اللاوصفية على أنه رفض بدرجة أولى للجمل الوصفية أو التقريرية فإنه من الأنسب موضوعيا أن ننظر إليه على أنه امتداد لنظريته اللغوية التي أصبحت تسعى نحو مزيد من الشمولية والموضوعية، أي لتأخذ بعين الاعتبار جميع أصناف الجمل بهدف تأسيس موقف جديد يتجاوز نظريته التصويرية في المعنى.

انتقل فيتغنشتاين إذن إلى اللغة العادية، على أمل أن يساعد ذلك في تأسيس منهج فلسفي جديد يمكنه أن يعالج القضايا الفلسفية وفي مقدمتها إشكالية المعنى. " عندما أتحدث عن اللغة (لفظ، قضية، الخ)،لا بد أن أتحدث عن اللغة اليومية، فهل هذه اللغة فظة، مادية، إلى درجة أنها لا تسمح بالحديث عما نريده؟ لكن كيف سنشكل لغة أخرى؟ أليس من الغرابة أن نتمكن، رغم ذلك، من فعل أي شئ [بواسطة لغتنا] "[1]

وهنا يظهر أن دور الألعاب يتمثل في وصف الاستعمال اللغوي بالنظر إلى مختلف الشروط المحيطة به، كما يتكلم فيتغنشتاين ضمن هذه العبارة أيضا انطلاقا إما من اعتقاده بوجود لغة نموذجية مرجعية تستند إليها المقارنة عندما يتكلم عن ألعاب اللغة وإلا على أي أساس يمكن أن يستند التصنيف ؟ وإما أنه يتكلم عن أثر لوظيفة اللغة ذاتها والذي يمكن معالجته كعنصر مقارنة.

تنطوي كتابات فيتغنشتاين كما هي ملخصة أكثر في التحقيقات على رفض واضح للنظرية التصويرية ومعيارها في المعنى، إنه لا يوجد منطق واحد بل أكثر من منطق، إن اللغة هي مجموعة متباينة من الممارسات لكل منها منطقها الخاص. إن المعنى لا يتمثل في علاقة الدلالة القائمة بين الألفاظ والأشياء أو العلاقة التصويرية بين القضايا والوقائع، بل إن معنى عبارة ما هو استعمالها في الممارسات المختلفة التي تشكل في مجموعها

1 – المصدر السابق، § 120، ص 198.

اللغة. وبالإضافة إلى هذا، فاللغة غير تامة ومستقلة لتدرس بمعزل تام عن أي اعتبار آخر. إنها نسيج يجمع مختلف النشاطات والسلوكات، وتبعا لذلك فإن استعمالاتنا للغة هي التي تعطي للغة معناها ومحتواها من خلال ممارساتنا وأساليب تعاملنا مع الآخرين ومع العالم من حولنا. وباختصار فهي جزء من نسيج شامل يُدعى "شكل حياة". ولكن الموقف الجديد لـ فيتغنشتاين لا يبدو أنه يُسارع إلى التعميم وإصدار الأحكام العامة في صيغة قوانين كلية شاملة بل يسير البحث بكل حذر آخذا بعين الاعتبار إمكانية وجود حالات لا يرتبط فيها المعنى بالاستعمال وذلك في قوله:" في أكبر قسم من الحالات – ولكن ليس في جميعها – حيث نوظف كلمة "معنى" فإنه يمكن تعريفها كالتالي: إن معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة "[1]

ومن هنا تصبح الوظيفة الاستعمالية للغة هدفا أساسيا لمنهج التحليل، أي أننا بحاجة إلى فهم الوظيفة الاستعمالية للغة. ولم يعد التحليل عند فيتغنشتاين قائما على تحويل المركب إلى عناصره البسيطة ومكوناته الأولى، كتحليل العبارة إلى وحداتها الأولى من الأسماء، والوقائع إلى الأشياء البسيطة، بل صار موجها إلى معرفة الطريقة التي تستخدم بها الألفاظ بالفعل. لكنه ظل يعتبر الوضوح مقصدا أساسيا للمنهج.

ولا يهدف فيتغنشتاين بتحليله للغة في هذه المرحلة إلى الوصول إلى معرفة جديدة بل يريد تنظيم ما نعرف:"إن المشكلات يتم حلها لا بإعطائها تفسيرا جديدا بل بواسطة ترتيب وتنظيم ما نعرفه بالفعل من قبل، فالفلسفة عبارة عن معركة ضد البلبلة التي تحدث في عقولنا نتيجة لاستخدام اللغة "[2] وما تحققه الفلسفة في هذا السياق هو" الكشف عن جزء أو آخر من الكلام الواضح خلوه من المعنى" [3] والمشكلات الفلسفية هي أشبه بالتقييد العقلي الذي ينتج عن سيطرة نموذج لغوي معين على الذهن ويمكن التخلص منه عن

1-Wittgenstein , *Philosophical Investigation*, Translated by G. E. M. Anscombe , Basil Blackwell, 1986, p.20

2 - Ibid., Ch. I,§109, p. 165

3 - فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق، § 119، ص-ص. 197، 198

طريق التحليل الفلسفي، أي أن ضرورة هذا الأخير تكمن في أنه يؤدي وظيفة علاجية، فبواسطته تزول الاضطرابات اللغوية، مثلما يساعد التحليل النفسي في علاج الاضطرابات النفسية.

وهذا يعني أن فيتغنشتاين قد انتقل من مرحلة سوء الفهم المرتبط باللغة والذي يمكن رده إلى طبيعة اللغة ذاتها إلى سوء الفهم المرتبط بالمستعملين أو سوء التفاهم، فما الأسباب التي تقف وراء هذا التحول ؟ وهل يمكن لمعيار الاستعمال اللغوي أن يكون كافيا لتحديد المعنى؟ رأينا تاريخيا أن تلك التغيرات التي طرأت على موقف فيتغنشتاين قد ارتبطت بتجارب خاصة كممارسته للتعليم ومناقشاته المستمرة مع كثير من فلاسفة وعلماء عصره. ولكن تنبغي الإشارة أيضا إلى طبيعة المرحلة التاريخية والشروط الحضارية العامة المؤثرة في هذا التوجه الجديد.

ازدادت البحوث التي تؤكد فشل اللغة أو عجزها عن تلبية مطالب الإنسان، لكونها غير قادرة عن التعبير بدقة عن ما يريد، وكان ذلك مابين الحربين العالميتين. حيث تراجعت النظرية التصويرية وفشل المشروع اللوجستيقي. وتزامن ذلك مع النتائج التي بلغتها بعض العلوم كالانثروبولوجيا واللسانيات، مثل أعمال ورفBenjamin Lee Whorf [1] (1897–1941) وسابير Edward Sapir (1884-1939)، حيث سادت الأطروحة التي تعتبر اللسان معبرا عن نظرة خاصة للأشياء، إذ يقدم كل لسان – حسب طريقته– تصنيفا لأشياء الواقع و" ينظم المعقولات ويولد تأويلا للعالم، فالمدلولات اللسانية ليست متطابقة من لسان إلى آخر، فهي تمثل تصورا للأشياء وحالة الأشياء على قدر عدد الألسن"[2]

1 - عالم لسانيات ومهندس كيمياء أمريكي عرف بتبنيه للفكرة القائلة بأن الفروق اللسانية في النحو والاستعمال بين الناطقين بلغات مختلفة هو الذي يحدد تصوراتهم عن العالم بطريقة مختلفة، عرفت هذه الفكرة بفرضية سابير– ورف، ولكن هذا الأخير دعاها مبدأ النسبية اللغوية لأنه رأى في مضمونها ما يماثل مبدأ النسبية الفيزيائي عند انشتاين.

2 – روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة: المهيري عبدالقادر،المنظمة العربية للترجمة،بيروت، الطبعة الأولى، 2007، ص.122.

كما أن الأزمة الحضارية في مظاهرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي انتهت بحروب عالمية مدمرة أدت إلى فقدان الثقة في جميع القيم بما في ذلك قيم العلم ذاته، بعد أن ظل يُنظر إليه لقرون عديدة بوصفه المُخَلص الحقيقي للإنسان. وانعكس ذلك على قيمة اللغة باعتبارها الوسيلة المعبرة عن هذه القيم. وقد عبرت الفلسفات المعاصرة كالوجودية والظواهرية والنقدية عن هذا الواقع بأسلوبها الخاص. فالقول بأمراض اللغة جاء تعبيرا عن مرحلة تاريخية حصل فيها تحول من اليقين المطلق ببعض المبادئ على الأقل إلى الشك العميق في جميع القيم بل وفي اللوغوس القادر على أن يُفصح – كما قال أرنست كاسيرر Ernst Cassirer (1874–1945) – عن التماثل الأساسي بين نشاط الكلام ونشاط الفكر.[1]

على ضوء تلك الصراعات المتزايدة كان ضروريا أن يُطرح تشخيص فلسفيي يتجاوز سوء التفاهم القائم بين البشر. وفي هذا السياق جاء موقف فيتغنشتاين الجديد بوصفه استجابة لمعطيات تاريخية تقتضي فكرا نقديا يتجاوز الصراعات الإيديولوجية المدمرة، وذلك بالبحث عن الشروط الموضوعية للاستعمال اللغوي التي يمكنها أن تؤسس للتقارب والتفاهم بين المستعملين. وهذه الدعوة ليست – كما ذهب بعض المنتقدين مثل هربرت ماركوز Herbert Marcuse (1898-1979) – وصفا لواقع الحال أو تركاً للوضع على ما هو عليه دون أي تعديل أو أن موقف فيتغنشتاين، إلى جانب المواقف التحليلية المعاصرة،[2] هو مجرد تبرير لواقع قائم ودفاع عن إيديولوجيا المجتمع الصناعي الذي يريد الإبقاء على كل شيء كما هو عليه، خوفا من أية ثورة فكرية تنشد التغيير. بل على العكس من ذلك فإن المفاهيم التأسيسية لفلسفة فيتغنشتاين اللغوية في المرحلة الثانية تعبر عن الانفتاح أمام عالم من المواقف المتباينة وتقبل الاختلاف بين البشر بوصفه إحدى خصوصيات الإنسان، هذا الاختلاف الذي قد لا يكون مقصودا بل طبيعيا في الفكر ذاته،

1 – باقر جاسم محمد، (حول اللغة وسوء الفهم)، مجلة آداب، البصرة، العدد55، السنة،2011، ص.9

2 – طرح هربرت ماركوز مثل هذه الانتقادات خاصة في كتابه " الإنسان ذو البعد الواحد "

بدلا من القول بحق نموذج واحد في الهيمنة المطلقة التي تقصي نهائيا حق الآخر في التفكير والتعبير.

انتهى موقف فيتغنشتاين ضمنيا إلى تأكيد الارتباط بين الاضطراب والبلبلة التي لحقت اللغة وبين الأنساق الفكرية والسياقات الاجتماعية التي تنظم نشاط اللغة. ويترتب عن ذلك أن المصدر الحقيقي للاضطرابات اللغوية ليس قائما في اللغة ذاتها وإنما في طريقة التفكير التي تنعكس في طريقة الاستعمال. الأمر الذي يفرض تدخل الفلسفة باستمرار بوصفها منهجا تحليليا نقديا لتحرير العقل من سوء استخدامنا للغة. ومن هذا المنطلق ارتبط المعنى بالاستخدام اللغوي. وحُمّل الإنسانُ المستخدم بدلا من اللغة مسؤولية أي فشل في التواصل.

إن رد المعنى بشكل كلي لما هو متبادل بين الأفراد وجعل دلالة الألفاظ قائمة على طريقة استعمالها ضمن سياقات محددة وتبعا لاعتبارات تخص المستعملين لا يقدم حلا موضوعيا وواضحا لإشكالية المعنى، وإنما يكشف عن جانب من جوانب الغموض فيها. وذلك لأن التغير المستمر للشروط والأوضاع الموجهة للاستعمال بفعل ما يحصل من مستجدات في حياة الأفراد يلغي القيمة الاستعمالية للألفاظ والجمل، فيؤدي هذا إلى التخلي عن استعمالها. وهو ما عبر عنه فيتغنشتاين من أن ألعابا ستختفي أو تزول وأخرى ستظهر. ولكن ألا يعني هذا التحول بصورة متزايدة زوالا تاما للغة. فما هو الثابت أو المستقر من هذه اللغة أو تلك ليحفظ وجودها وممارستها كلعبة – حسب تعبير فيتغنشتاين– في مجتمع معين؟

إن هذا المصير المحتمل للغة ينعكس على فهمنا لإشكالية المعنى. وإذا كان الاستعمال متغيرا فما الذي يحفظ للغة استمراريتها؟ هل هناك قواعد يمكن اعتمادها للاستعمال المتجدد للغة باعتبارها لغة، بحيث تحافظ على قدر ممكن من تلك القواعد على الأقل بوصفه أصلا لهذا التداول ؟ إن هذا التحول المستمر يمس هوية الذات

الواعية في بعدها الاجتماعي بوصفها منتجة وحاملة للمعنى عبر الزمن. وبحثا عن إجابة محتملة يمكن أن نبسط المسألة انطلاقا من مثال يمكنه أن يُبسط لنا جانبا من القصور الذي يعتري فكرة الاستعمال. لنفترض أن شخصا قد عاش في عصور خلت، وفي مجتمع له إحدى اللغات المعتمدة إلى اليوم كالعربية أو الانجليزية. إذا سمع هذا الشخص بعض الألفاظ التي وضعت حديثا في لغته أو جملا تنطوي على مثل تلك الألفاظ، هذا فضلا عن أسلوب التعبير الذي سيبدو مفارقا لما اعتاده فهل سيدرك المعنى؟ إن هذا افتراض لا يحصل عمليا ولكنه أمر معقول. حسب فيتغنشتاين والتداوليين وانطلاقا من معيار الاستعمال اللغوي فإنه من المتعذر أن يحصل الفهم. وذلك لأن ما هو مستجد في عصر ما يختلف كثيرا عن ما هو متداول في عصور سابقة. ولكن لنتساءل هل بإمكان شخص عربي عاش في العصر الجاهلي أو الأموي مثلا أن يحدد معاني بعض الألفاظ مثل: هاتف، مذياع، منظار. إن الإجابة تتوقف كثيرا على علاقة مثل هذه الألفاظ بغيرها مما كان مستعملا في ذلك الزمن، أي أن الأمر يتوقف على قواعد الاشتقاق في لغة معينة. إذ بإمكان العربي أن يدرك معنى كلمة " مذياع" باعتباره آلة أو وسيلة تذيع أو تنشر الأخبار لأن هذا اللفظ قد ورد على وزن "مِفْعَال" (مثل مفتاح). وما هو على وزن" مِفْعَال" يفيد من حيث المعنى الأداة المستخدمة لتأدية وظيفة مرتبطة بمعنى اللفظ الأصلي للاشتقاق أو المصدر، مع مراعاة الحروف الأساسية التي تمثل الجذر أو مصدر الاشتقاق.

والمقصود بذلك أن الاستعمال ليس اعتباطيا أو متروكا لشروط وعوامل متباينة من موقف لآخر حيث لا يمكن التحكم فيها على الإطلاق. وإنما يتم ذلك وفق منهج لغوي يوضح المعايير الأساسية التي يقوم عليه الاستخدام اللغوي. وهذا لا يعني غياب الاستثناءات تماما ولكن ينبغي أن لا يتعارض حضورها مع قواعد أساسية وأن لا تتجاوز حدود ما يجعل منها مجرد استثناءات. كما لا يعني ذلك معرفة واعية بالنظام اللغوي

عند إتباعنا للقواعد. هذا فضلا عن القواعد المنظمة للألعاب اللغوية غير محددة بتعريف ما. "إذ ينبغي أن تُتبع القواعدُ لتكون هناك حقا ألعاب، ولكن لا وجود لتصور لعبة لأن ألعاب اللغة لا تشترك في شيء محدد فيما بينها"[1] وعندما يعتبر فيتغنشتاين أنه لا وجود لما تشترك فيه الألعاب، أي ليست هناك خصائص مميزة يمكن اعتمادها لتعريف اللعبة، يغدو هذا المفهوم مجرد افتراض. وتشكل صعوبة التعريف رفضا لوجود القاعدة ذاتها، ويغدو الموقف تقييدا يفتقر إلى تبرير، ومن هنا نفهم لماذا اخترق البعض جانبا من تلك الحدود التي رسمها كما سيرد ضمن الفصل اللاحق.

1- Armengaud, Françoise , *La Pragmatique*, P.U.F., 5e édition, 2007, p.25

الفصل الرّابع:

التداولية من فيتغنشتاين إلى غرايس

1. المبحث الأوّل: تداولية فيتغنشتاين
2. المبحث الثاني: أفعال الكلام عند أوستن
3. المبحث الثالث: سيرل ونظرية أفعال اللغة
4. المبحث الرابع: منطق الحوار عند بول غرايس

المبحث الأوّل:

تداولية فيتغنشتاين

أدى تطور أفكار فيتغنشتاين بخصوص إشكالية المعنى إلى اكتشاف الدور المركزي لمفهوم الاستعمال، وقد رأينا كيف عرض ذلك من خلال مفاهيم "ألعاب اللغة"، "أشكال الحياة" ومفهوم" الاستعمال" ؛أي أن هذا الأخير يأخذ معناه عند فيتغنشتاين ضمن نسق من المفاهيم. وقد كان لآرائه الجديدة في مرحلة التحقيقات أثرا بالغا في أعمال رواد التداولية. وتنطوي قيمة تلك الآراء على نقد ذاتي تجاوز به موقفا سابقا متخليا عن الفكرة التي تفصل الفكر عن اللغة ومعتبرا أن هناك تلاحم بينهما، حيث يتولد أحدهما عن الآخر. كما أنكر وجود لغة شخصية أو خاصة بالفرد يمكن أن تترجم إلى لغة مشتركة بين الأفراد لأن اللغة هي بطبيعتها مشتركة، والتكلم بلغة هو إتباع لقواعد، ولا يمكن أن يتم هذا الإتباع إلا من خلال ممارسة التواصل.[1]

ويوضح فيتغنشتاين ذلك بقوله: " حينما نقول عن عبارة ما أنها خالية من المعنى، فلا يعني ذلك أن معناها لا محتوى له، بل لأن إخراج تركيب لفظي من نطاق اللغة يضعه خارج التداول".[2] ولكن كيف يمكن التأكد من صحة استخدامنا للألفاظ والعبارات ؟ إن ذلك يحصل تبعا لمعيار استخدامها في الحياة اليومية. إن الفلاسفة حينما استخدموا ألفاظا مثل " معرفة"، "وجود"، "شيء" قد حاولوا جاهدين الكشف عن جوهرها، ولكن علينا – حسب فيتغنشتاين– أن نتساءل :" هل تستخدم الألفاظ فعلا بهذه الطريقة العادية في اللغة، حيث موطنها الأصلي ؟ إن ما نفعله هو إعادة الكلمات من استخدامها الميتافيزيقي إلى استعمالها اليومي".[3] وهذا يعني تجاوز مشروع اللغة المثالية الخالية من كل العيوب والعودة إلى اللغة العادية، ويمكن لهذه اللغة أن تخضع لتعديلات يقتضيها تطور المعرفة، لكن ذلك لا يخرج بها تماما أو يفصلها كلية عن الاستعمال اليومي. وهنا تكمن نقطة

1 - أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص.22

2 – فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مرجع سابق،§ 500، ص.338

3 – المصدر نفسه، §500، ص.338

اللقاء بجورج مور الذي يعتبر أن اللغة العادية أنسب من أية لغة مثالية كانت لكون التساؤلات والإشكالات الفلسفية إنما تنشأ من المعتقدات الراسخة للإنسان العادي.

وأصبح المعيار في تحديد المعنى هو أن لا نسأل عن المعنى وإنما عن الاستخدام، وأن نفهم معنى اللفظ هو أن نعرف استخدامه وتوظيفه. وفهم قضية يتم دوما ضمن نسق لجملة من القضايا. والكلمة ليس لها معنى إلا داخل القضية". والعلامة، بشكل عام، تأخذ معناها بالنسبة لنسق العلامات أو اللغة التي تنتمي إليها وفهم جملة هو في النهاية فهم للغة. لقد وجد فيتغنشتاين نفسه مضطرا إلى تعديل ما اعتبره أخطاء جسيمة في كتابه الأول.[1] تلك الأخطاء المتعلقة ببعض المفاهيم المحورية مثل "المعنى" و" الأشياء" و"بناء اللغة" و"وظيفة التحليل المنطقي للغة". وإذا كانت عبارات الرسالة مطروحة بصيغة الإثبات وكأنها نتائج قاطعة وفاصلة بشكل نهائي لا يقبل جدلا فإن حركية الفكر في كتابه " تحقيقات فلسفية " تتجسد في حوار يشوبه الارتياب الذي يحول غالبا دون التأكيد على نتائج معينة. إن اللغة في هذه المرحلة لا تعلمنا شيئا عن الواقع كما أن الفلسفة هي الأخرى لا تقدم لنا معرفة وإنما تترك كل شي على ما هو عليه. " إن الفلسفة لا يجوز لها أن تحدث أي ضرر[أي تعديل] في الاستخدام الفعلي للغة، إنها في النهاية لا تستطيع إلا أن تصفه، إنها لا تستطيع كذلك أن تؤسس له، إنها تترك كل شيء كما هو، إنها تترك الرياضيات كذلك كما هي، ولا يمكن لأي كشف رياضي أن يؤدي إلى تطويرها ".[2]

تجاوز فيتغنشتاين النظرة التعبيرية أو التمثيلية للغة إلى النظرة الاستعمالية مؤكدا أن ما يُكسِبُ اللفظ معناه هو استعماله، ولا يتوقف الأمر عند توظيف الكلمة في جملة ما، بل أيضا بتوظيف الجمل في مواقف متباينة، مما يُكسب الكلمات معاني جديدة، ويُضفي ذلك أيضا على الجمل بما تنقله من معلومات ومعاني متباينة تبدو متعالية أو منفصلة

1 - Wittgenstein, *Philosophical Investigations*, Op.Cit., introduction, p.4

2 - Wittgenstein, *Investigations Philosophiques*, traduit de l'Allemand par Pierre, Klossowski, Librairie Gallimard, Paris, 1961, p.3

عن معاني الكلمات الواردة فيها. إن المعنى التواصلي المرتبط بشروط موجهة متنوعة كما نعبر عنه في موقف ما هو ما تبحثه التداولية، وهو ذاته المعنى المقصود في مؤلف "تحقيقات فلسفية" عندما طالبنا فيتغنشتاين بالتساؤل عن المناسبة التي نستخدم فيها لفظا ما وبأية طريقة نوظفه وما الكلمات المصاحبة لهذا اللفظ وما الغاية من استعماله ؟

ليس هذا فحسب، بل تكلم أيضا عن ما نمارسه من تأثير فعلي، إننا بدون لغة – حسب تعبيره " لن نتمكن من التفاهم فيما بيننا، والأكثر من هذا، إنه بدون لغة لن نتمكن من التأثير في الآخرين بطريقة أو أخرى". ومن هنا جاء توظيف فيتغنشتاين ليعبر عن الوضع المعقد للاستعمال اللغوي. وفي هذا السياق يمكننا أن نفهم الغرض من توظيفه لمفهوم" اللعبة" ويتمثل ذلك في الدلالة على ما ينطوي عليه الاستعمال اللغوي من تنوع وثراء، وما يتميز به من صعوبة وتعقيد. فاللعبة هي بالأساس نشاط منظم مشترك بين أفراد، تحكمه قواعد لكنها ليست تامة ومحددة، ومن هنا وصفها بشكل حياة، وتكلم لغة هو جزء من نشاط وطريقة حياة. أي أن هناك مجموعة قواعد ينبغي توفرها حتى لا تفقد اللعبة معناها أو حتى يمكننا ممارستها، وهناك مجال مفتوح داخل اللعبة ذاتها لا تحكمه قواعد، حيث تمارس اللعبة ضمن المجال المفتوح تبعا لقدرات الأفراد ولشروط يصعب تحديدها. ونفس الشيء يحصل بالنسبة للغة، فهناك قواعد محددة كتلك المرتبطة بالنظام اللغوي من حيث الأصوات والتراكيب، لكن طريقة الاستعمال غير محصورة لأن اللغة لا توجد إلا مندمجة في سياق لتعبر عن شروط سابقة لتشكيل العبارات اللغوية وأخرى لاحقة لها. وانطلاقا من هذا، يمكننا أن نفهم كيف أسس فيتغنشتاين لنظرية الاستعمال اللغوي التي طورها رواد التداولية خاصة كل من أوستن، سيرل وغرايس، والذين تمحورت أعمالهم حول تحديد المعايير التي توجه الاستخدام اللغوي، أي التي يمكنها أن تصنف لنا طرق الاستخدام الممكنة للألفاظ والعبارات. انطلاقا من تحليلهم للشروط الموجهة التي طرحتها كتابات فيتغنشتاين في المرحلة الثانية. ولكن هذا الأخير كما عرفنا لم يقبل بوجود معايير

ثابتة ولهذا لم يحاول وضع تصنيف نهائي لهذه الشروط. وذلك لأن استخدام الألفاظ والجمل لا حصر له ولا تحكمه ضوابط محددة، ومن هنا لا يمكن استخلاص تلك القواعد. غير أن مؤسسي التداولية حاولوا تجاوز هذا الموقف فعمدوا إلى البحث عن قواعد تحكم الاستعمال اللغوي. ولمعرفة ما الذي استلهموه من إنجازات فيتغنشتاين، وما الذي يمثل في فلسفته اللغوية حجر الزاوية بالنسبة للدرس التداولي فمن الأنسب أن نعود إلى وضع مقارنة مبسطة بين مؤلفي فيتغنشتاين " رسالة منطقية فلسفية" وتحقيقات فلسفية " فيما يخص موضوع اللغة بالدرجة الأولى. وهذا من شأنه أن يضعنا أمام صورة إجمالية أكثر وضوحا لتطور موقف فيتغنشتاين. ويمكن لذلك أيضا أن يحدد لنا الخيط الواصل بين مواقفه اللغوية وبين التداولية. ونظرا لكون كثير من العبارات والفقرات الواردة في الكتابين قد ورد ذكرها في الفصول السابقة فإنه يكفي الإشارة إلي ترقيمها تجنبا للتكرار وطلبا للتبسيط والوضوح. وتبعا لذلك يمكن تلخيص هذه المقارنة كما يلي:

أولا: أوجه الاتفاق:

التماثل بين"رسالة منطقية فلسفية" و" تحقيقات فلسفية "	" الرسالة "	" تحقيقات "
اللغة العادية لباس خادع يخفي الفروق بين العبارات التي تبدو متشابهة.	فق 4.002 ص82،83	ج2،فق 224ص260
جميع عبارات اللغة العادية هي بالفعل مرتبة ترتيبا منطقيا، وهناك ترتيب ما في أكثر الجمل إبهاما.	5.5563 ص 137	ج1،فق98 ص 191
الغموض في القضايا اللغوية قد يخص الروابط المنطقية مثل رابطة التكافؤ (الهوية) أو رابطة السلب	3.323،ص78	ج1،558 ص- ص 355،356
إن ما لا يتم التعبير عنه في العلامات ينكشف من خلال الاستعمال.	3.262 ص75	ج1ص 127
اللغة جزء من التاريخ الطبيعي للإنسان	4.002 ص-ص 82،83	ج1،فق25، ص139
ليس في الفلسفة إجماع ولا تهدف لوضع تفسير ما أو تقديم فرضيات وإنما غرض التحليل الفلسفي هو وصف ما هنالك أو تحليل ما هو معطى.	4.1122، 4,113 ص92	ج1 فق126، فق127، ص201

ثانيا: أوجه الاختلاف

رسالة منطقية فلسفية	تحقيقات فلسفية
الجمل لها معنى محدد	و ضوح الجمل ليس ضروريا، يمكن أن يكون معنى الجملة غير واضح. ج1، فق 99، 100، ص192
اللغة شكل من أشكال الحساب، تستند إلى قواعد صارمة (6.126،ص149)	اللغة في شكل لعبة لغوية، ولا وجود فيها لقواعد دقيقة.
اللغة تخفي الفروق بين الأسماء والأوصاف والقضايا (3.143 ص73، 3.261 ص75)	اللغة تخفي الفروق بين أنماط الأسماء (ج1،383)، أنماط الأوصاف (ج1290)، أنماط الأفعال والقضايا (339،693)
أسلوب الرسالة تقني، حيث العبارات موجزة البناء، وخاضعة في ترتيبها لترتيب عددي بواسطة أعداد حقيقية ضمن المجال:[1، 7]	أسلوب التحقيقات غير تقني، هناك استطراد في عرض المحتوى، حيث تُرتب الفقرات في الجزء الأول باعتماد أعداد طبيعية ضمن المجال: [1، 693]
تشكل العبارات الأساسية السبع قضايا أولية تشتق منها بقية العبارات.	تجمع العبارات بين التداخل والاستقلالية فيما بينها من حيث المعنى.
قضايا الرسالة جمل خبرية	الجمل اللغوية خبرية وإنشائية
النظرية التصويرية للغة: 2.0271 ص 66	نظرية الاستعمال: تركز على استعمال الألفاظ كعناصر في لعبة لغوية (نظرية ألعاب اللغة)

يتجلى تأسيس فيتغنشتاين للتداولية من خلال ربطه اللغة بالاستعمال وإثارته النقاش حول مختلف الشروط المحيطة بالاستعمال والموجهة له. لكن ينغي التأكيد على أن هذا الاستعمال ليس آليا وميكانيكيا، أي أن الدلالات ليست هي الاستعمال بالمعنى التام بل هي الطريقة التي يتدخل بها الاستعمال في حياتنا.[1]

1-Oulelbani, M., Jeux de langage et automatisme, article présenté à: cinquantenaire Wittgenstein : Actes du Colloque organisé à la faculté des sciences humaines et sociales de Tunis, 13-15 novembre 2001, édité par M. Oulebani (Tunis: Faculté des lettres et des sciences humaines, 2002), p.27.

وما يؤكد ذلك ارتباط القدرة على فهم لغة بالقدرة على فهم شكل حياة، وينبغي على اللفظ أي "اللعبة اللغوية" أن يبرز لنا أن تكلم لغة ما يعد عملا أو شكل حياة. ومفهوم الحياة هنا يوحي بالحيوية والتغير والحركة والنمو والفاعلية. ومثل هذه الخصائص يُراد بها وضع اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي. إن شكل الحياة باعتباره من المفاهيم الأساسية التي يكاد تحليل فيتغنشتاين يقف عند عتبتها يُحيلنا إلى مفهوم الثقافة بمعناها الواسع، لذلك تغدو اللغة محكومة بمختلف المعطيات الثقافية كالقيم المشتركة والقوانين والأعراف والعادات والتقاليد ونماذج التفكير ومختلف الرموز المعتمدة والدلالات التيُ تسقط عليها في فترة معينة. وخلاصة ذلك أن المعنى محكوم بشروط اجتماعية ثقافية يمكنها أن توضح لنا قواعد الاستعمال اللغوي في هذا المجتمع أو ذاك.

إن الحديث عن طبيعة اللغة والمعنى انطلاقا من اللغة العادية أو من كلام الإنسان العادي، قد طُرح على ضوء مفهوم: " لعبة اللغة ". وهذا المصطلح يعني مبدئيا أن الكلام جزء من النشاط أو الفاعلية، أو أنه شكل من أشكال الحياة. ومن خلال ما عرض لنا فيتغنشتاين من أمثلة تكشف عن كثرة وتنوع ألعاب اللغة بتنوع النشاطات: أن نصف غرضا انطلاقا من مظهره أومن قياسات، أن نبني غرضا تبعا لوصف، أن نترجم من لغة لأخرى، أن نطلب وأن نشكر، وأن نقسم، وأنُ نحي وأن نصلي[1]. هذه النظرية الأخيرة أي نظرية ألعاب اللغة تعتبر المرجعية التي انبثقت منها المقاربة التداولية، والتداوليات اللغوية بصفة عامة، وقد حصل هذا التطور كما جاء سابقا نتيجة موقفه الجديد وبفعل ما تميز به من روح نقدية مكنته من تجاوز أفكاره ذاتها بدلا من أن تظل مجرد قيد يحول بينه وبين ما يتطلبه التفكير الفلسفي بوصفه خطابا نقديا. وحصل هذا التطور أيضا نتيجة انتقاداته القيمة للوضعية المنطقية. وهذا ما مكن فيتغنشتاين من تجاوز النظرة المفهومية للغة التي ترى في هذه الأخيرة مجرد تصوير للواقع أو ما يسمى

1- عمارة ناصر، مرجع سابق، ص. 217

بمقولة "اللغة المرآة" إلى القول بفكرة "اللغة الاستعمال".[1] وكان من أهم نتائج انتقاداته لمبادئ الوضعية المنطقية نظرية أفعال الكلام التي تجعل المعنى قائما في الاستعمال. غير أنه لم يكن لهذا لمعيار الجديد، بل لأفكار فيتغنشتاين اللغوية جميعها أن تكتسب مكانتها الحقيقية، إلا بعد أن تناولها كثير من الفلاسفة بالتحليل والنقد مثل أوستن ورايل وسيرل وغرايس. لقد أسهمت إضافاتهم في إثراء تراثه من خلال ما قدموه من انتقادات، لكنهم كما سيرد لاحقا ظلوا يُؤكدون على الطابع الاستعمالي للغة.

وخلاصة القول أن مفهوم "شكل الحياة" هو الآخر يُظهر لنا مدى اعتباطية اللغة، فألفاظها وقواعدها ليست محكومة بتقييد مسبق: " نستطيع أن نسمي قواعد النحو اعتباطية وذلك لأن الألعاب اللغوية ذاتها اعتباطية، ولا وجود لقواعد مسبقة تمثل معيارا للتمييز بين ما يدعى لعبة وما ليس بلعبة، فالقواعد " مفسَرة " وليست " مفسِرة "أ ي أن مهمتها أن توضح قواعد الاستخدام اللغوي لكنها لا تبرر طريقة الاستعمال هذه، لأن الممارسة ينبغي أن تتحدث عن نفسها. لذلك كانت القضايا اعتباطية نسبيا(خلافا لفريجه وراسل) بما أن الألفاظ ذاتها " ليست إلا علامات اعتباطية "[2]

ينبغي التأكيد مرة أخرى أن نظرية الاستعمال اللغوي، كما يطرحها فيتغنشتاين لا تقدم إجابة كافية لإشكالية المعنى، ولا ترقى إلى مستوى تحليل أصل الاستعمال بل تقف عند حد وصفه باعتباره تداولا اعتباطيا تحكمه اعتبارات تخص مواقف المستعملين. أي أنها بحاجة إلى تأصيل الاستعمال ذاته بتحديد ما يستند إليه من أسس تسمح بالتواضع والاتفاق وبيان ما يجعل منه مصدرا لذلك وإلا فقد الاستعمال قيمته ولم يعد ملزما للمستعملين بشكل ما.

1 – صلاح اسماعيل، عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير، ط 1، 1993، ص.135

2 – فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، مصدر سابق،§ 508، ص 340

إن ألعاب اللغة لا تكفي لتنظيم اللغة، وليست بمفردها قادرة على تحديد المعنى، وإنما هي بالأحرى معايير تصنيف وعناصر موازنة. وهذا التصنيف هو الآخر هو المصدر الذي استلهم منه التداوليون فكرة تصنيف الأفعال اللغوية. " ليست ألعابنا اللغوية دراسات تحضيرية لتقعيد مستقبلي للغة،- ولاهي كذلك تخمينات أولية لا تأخذ بعين الاعتبار احتكاك الهواء ومقاومته، بل إن الألعاب اللغوية ليست إلا عناصر مقارنة وظيفتها تسليط الضوء، بواسطة التشابه والتنافر على أحوال لغتنا".[1]

1- المصدر السابق، § 130، ص 202

المبحث الثاني:

أفعال الكلام عند أوستن

فتحت أعمال فيتغنشتاين المنجزة خلال الثلاثينات والأربعينات والتي تميزت بكثير من العمق والشمولية الباب على مصرعيه أمام فلاسفة اللغة واللسانيين وكافة المشتغلين بحقل الدلالة كي يتتبعوا إشكالية المعنى من منظور جديد. وكان من بين أهم إسهامات أوستين النقدية مهاجمته الموقف الاسمي للوضعية المنطقية التي تعتبر أن العبارات أو الجمل غير التقريرية لا معنى لها ومن هنا وجب استبعادها من مجال الفلسفة. وفحوى ذلك أن الفلسفة ينبغي أن تقتصر على الجمل الوصفية. وهذا التحديد لنظرية المعنى يسقطها فيما يعرف بالمغالطة الوصفية.

إن اللغة حسب أوستن ليست مجرد أداة للوصف ونقل المعلومات، بل إن وظيفتها تشكيل العالم والتأثير فيه، ومن هنا يتمحور مشروعه أساسا حول السؤال: ما الذي نؤديه بواسطة الأقوال من أفعال؟ عالج أوستين إشكالية المعنى من خلال محاولته الإجابة عن السؤال السابق ضمن محاضراته التي ظهرت بعد وفاته بعنوان: " كيف ننجز الأشياء بالكلمات ينطلق أوستن من رفضه لهذا الحصر للمعنى ليؤسس موقفا جديدا يمكننا تلخيصه ضمن نقطتين اثنتين :

أولا: رفضه ثنائية الصدق والكذب.

ثانيا: إقراره بأن كل قول أو منطوق Énoncé عبارة عن عمل.

وانطلاقا من هذا يرفض أوستين ثنائية الصدق والكذب بالنسبة لجمل الإثبات التي وضعها المناطقة. ويلاحظ أولاً بأن هناك جملاً ذوات بنية مشابهة لجمل الإثبات، والتي يمكن للمتكلم أن تؤدي أدوارا أخرى: الأمر، التقرير، التنبيه... إلخ، غير إن هذا التشابه الموجود في بنية بعض الجمل يمثل خداعا في غياب التحليل الدقيق:

- آمرك بالمجيء (أمر)
- أمره بالمجيء (وصف، تقرير حال)

ويخلِص أوستين[1] إلى وجود جمل وصفية إثباتيه أو تقريرية (Constative)، تعبر عن حالة الأشياء أو تصف ما هناك، يمكن إخضاعها لمعيار الصدق والكذب، أي يمكن أن تكون كاذبة أو صادقة، وجمل ذوات نمط خاص، يمثل تشكيلها إنشاء لوقائع جديدة، حيث لا يجري عليها معيار الصدق والكذب وهي الجمل الإنجازيه (Performative). وخاصية هذه الأخيرة تكمن في أننا عندما نتلفظ بها ننجز في الوقت ذاته أعمالاً. وهذا ما يخص مثلا الأقوال التالية:

- أتمنى لك سفراً ممتعاً.
- أرجو منك المعذرة.
- أشكرك على حسن انتباهك.

إن هذه الجمل لا تصف واقعا محددا ولذا لا يمكننا أن نصفها بالصدق أو الكذب، ومع ذلك فإن لها معنى ودور معين، إذ كل ما يمكن قوله هو أن هذه الأقوال قد تنجح أو قد تخفق، أو أنها تستجيب لمقتضى الحال أو لا، أي أن معناها مرتبط بشروط انجازها. ويسمي أوستين هذه الأقوال بالأفعال الانجازية (actes performatifs) على عكس الزمرة الأولى وهي التي يطلق عليها اسم " الأفعال التقريرية" (actes constatifs)

إننا عندما نتلفظ بها نؤدي في الوقت نفسه عملاً، أي أننا ننجز فعلا بواسطة الكلام. وهذا النوع من الأقوال تنعكس على نفسها: " أرجو منكم المعذرة" فهذا القول يعبر في الوقت عينه عن أن ثمة طلبا للمعذرة، فضلا عن كوني أُعرِب عن رجاء. ويذهب أوستين إلى أن للمنطوقات الانجازية أو الإنشائية صفة العبارات الإخبارية ولكنها لا تتصف بالصدق أو الكذب. إن الحكم عليها يتوقف على ملاءمتها أو مخالفتها لجملة من الشروط التي تضمن لها النجاح والتوفيق أو الإخفاق أو أنها تستجيب لمقتضى الحال أولا[2]،

1- Mey, Jacob L., Concise Encyclopedia of Pragmatics, Second Edition, Elsevier Ltd., Oxford, UK ,2009, p.28

2 – محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط1، مصر، 2002، ص44

وتفترض هذه المنطوقات أو الأقوال أولا وجود كيفية اصطلاحية وتستدعي نتيجة اصطلاحية أيضاً. وتذكرنا هذه الملاحظة بمفهوم القواعد لدى فيتغنشتاين. أي أنه لابد من وجود تواضع بين مستعملي نفس اللغة، وهذا ما يؤسس للملاءمة بين العبارات المستخدمة وبين الشروط .

يتلفظ الأفراد بعبارات محددة (ع) في ظروف معينة (ظ). إن كل الأفراد المساهمين في التفاعل ملزمون بالامتثال إلى الكيفية التي تلزم وتجبر على اعتماد هذه القواعد، وهذه الكيفية يجب تنفيذها بإخلاص وبشكل كامل من قبل المشاركين. ويمكن لهذه الأقوال أن تكتسي أشكالاً مختلفة. لنلاحظ الجمل التالية:

1- أنت طالق.

2- أنا أسمي هذه السفينة طارق بن زياد.

3- أراهن بألف دينار أن ألمانيا ستفوز بكأس العالم.

4- بعتك سيارتي.

5- قبلت بهذه المرأة أن تكون زوجة شرعية لي.

6- إني أهب ساعتي وأورثها لأخي. [1]

إن هذه الجمل لا تقبل الصدق أو الكذب ومع ذلك فهي ليست بدون معنى، إننا نقوم بواسطتها بأداء فعل ما. ففي الجملة " أنت طالق" لا يصف القائل حال زوجته بل إنه عند التكلم بلفظ "طالق" يقوم بفعل ما. ونفس الشيء بالنسبة لفعل "البيع"، " المراهنة" و"التسمية" في الجمل السابقة. عندما نتلفظ بمثل هذه الأفعال الانجازية فنحن ننجز ذلك الفعل.و هكذا يعيد أوستين الاعتبار لأنواع الجمل كالأمر والتحدي والوعد والنهي والشكر، بالإضافة إلى مختلف العبارات الأخلاقية والجمالية مبينا أن لكل نوع منها نمطا من المعنى. وإذا كان فيتغنشتاين قد تحدث كثيرا عن الشروط التي توجه استعمال مثل هذه

1 –Austin, J.L., *How to do Things With Words*, OUP, New York, 1970, p.5

الجمل دون أن يحاول الخوض في تحديد هذه الشروط مكتفيا بالإشارة إلى وجودها من خلال تحليله لمفاهيم مثل" لعبة لغوية" و"أشكال الحياة" فإن أوستين قد حاول الكشف عن تلك الشروط التي تخص هذا النمط من العبارات أو ذاك كشرط ملاءمة السياق وسلطة المتكلم وصدقه ومختلف الاعتبارات الثقافية [1] مما مكنه من وضع تصنيف لأفعال الكلام.

ولتحديد معيار النجاح أو الفشل بالنسبة للجمل الإنجازية صاغ أوستن جملة من المعايير تتمثل فيما يلي :

المعايير المقامية: تمثل مجموعة الشروط التي ينبغي الاستجابة لها لنجاح الفعل اللغوي وتشمل ما يلي:

- ينبغي أن يكون هناك اتفاق عرفي أو مؤسساتي متعارف عليه لدى المشاركين في التبليغ ليمكنهم ذلك من انجاز فعل ما عند التلفظ بجملة معينة.
- ينبغي تطبيق هذا الاتفاق في وسط ملائم يشمل الأفراد المعنيين أو المشاركين.
- يجب أن يؤدي هؤلاء المشاركون أدوارهم في عملية التبليغ بشكل صحيح وملائم.
- يجب أن يكون هناك استقرار فيما يخص مواقف المشاركين حتى يتم انجاز الفعل.
- ويشترط أن تتوفر نوايا وأفكار عند منفذ الفعل قبل انجازه كي تتحقق بعض الأفعال، فمن يعد بالزيارة ينبغي أن تكون له نية الوفاء بالوعد وإلا فإن تحقق الفعل قد لا يرضي المخاطبين بالزيارة.

المعايير المقالية: وتشمل جملة من الشروط وتخص الجانب البنيوي الشكلي منها خاصة

1-يجب أن ينتمي فعل الجملة الإنجازية إلى مجموعة الأفعال ٱلإنجازية (أمر، وعد، سأل..)

2- يجب أن يكون الفاعل هو المتكلم.

3- يجب أن يكون فعل الجملة مبنيا للفاعل.

1- Mey, Jacob L., Op.Cit., 2009, p.28

4- يجب أن يكون زمن الفعل هو زمن التكلم، أي أن يكون مصرفا في الحاضر.
وإذا حصل إخلال بشرط منها أدى ذلك إلى الإخلال بطبيعة الجملة مما يحيلها إلى جملة وصفية.

أما الخطوة التالية في مشروع أوستين فتمثلت في التساؤل عن إمكانية إخضاع الجمل الإنجازية لنفس معيار الجمل الوصفية، أي الصدق والكذب. وهل يمكن أن تقبل هذه الأخيرة معيار الفشل والنجاح ؟ وانتهى إلى إمكانية التعامل مع الصنفين من الجمل بالمعيارين معا، وأنه لا يمكن الفصل آليا بينما هو وصف وما هو إنجاز. وذلك لأن جميع الجمل اللغوية قول وفعل في الوقت ذاته. وبالتالي يمكن اختزالهما في صنف واحد مبينا أن ما ندعوه جملا وصفية هو في الوقع جملا إنجازية يقوم فيها المتكلم بفعل شيء زيادة على فعل التلفظ أو القول، فمثلا عندما نقول: البحر مضطرب هذا اليوم. فإن هذه الجملة مرادفة للجملة: أقول إن البحر مضطرب اليوم.

ويعود الفرق بينهما إلى القوة الإنجازية التي تبدو ضمنية في الجملة الأولى بينما هي صريحة في الجملة الثانية. لكن أوستن أعاد النظر في المعايير المقامية والمقالية السالفة الذكر فتبين له أنها مقيدة بالجمل الإنجازية الصريحة وأن هذه المعايير لا يمكن تعميمها على كل الجمل، فالمعيار المعجمي مثلا الذي ينص على أن الجملة الإنجازية يجب أن تشمل فعلا من النوع الإنجازي (أمر، سأل، وعد...)غير دقيق، لأنه من الجائز أن نستبدل عبارة "سأفعل كذا..." بعبارة " أعدك بأن أفعل كذا..." إذ يلاحظ أن الجملتين إنجازيتين، لكن يمكن للصيغة الأولى أن ترد في سياقات تتضمن أفعالا غير إنجازيه.
كما أن شرط الدلالة على الفرد المتكلم غير صائب لأن بعض الجمل قد يتلفظ بها الفرد لكنها تشير إلى المعني بالكلام. وكذلك الأمر بالنسبة لشرط البناء للمعلوم إذ يمكن أن ترد الجملة الإنجازية مبنية للمجهول. وكذا الأمر بالنسبة لزمن الفعل فمن الممكن أن لا يدل على الحاضر وإنما على زمن أخر.

وقد قادت هذه الملاحظات من جديد أوستين إلى نتيجة مفادها أن ما يحدد القوة الإنجازية لأية جملة هو السياق بمفهومه الواسع. كأن يكون سياقا لغويا تعكسه عبارات متداولة أو صيغ وأدوات دالة على الأمر والاستفهام والتعجب أو قرائن صوتية تنغيمية.

وما ترتب عن هذه الانتقادات أنه لا توجد ثنائية الوصف والانجاز. والبديل بالنسبة لأوستن هو توحيد جميع الجمل اللغوية في مصطلح واحد هو مصطلح الفعل اللغوي الذي مثل خطوة ثالثة في نظريته اللغوية، فحين نتلفظ أو نقول كلاما فنحن نحقق أو ننجز حقيقة فعلا ما. وحسب تحليل أوستين فإن الفعل اللغوي يحتوي على ثلاثة أفعال تشكل كياناً واحداً، علما بأن هذه الأفعال الثلاثة يقع حدوثها في وقت واحد.

1- فعل القول (Acte locutif ou locutionnaire): بواسطته يتفوه المرء بشيء ما ويتفرع إلى ثلاثة أفعال فرعية، تتحد فيما بينها لتكون مقولة الجملة أو جانب المقال وهي:

- الفعل الصوتي: ويتمثل في التلفظ أو في إنتاج أصوات تنتمي الى لغة معينة.

- الفعل التركيبي: ويتمثل في كون هذه الأصوات تتوفر على صورة (كلمة) معينة، أي بارتباطها بفعل كلامي مصحوب بقوة مخصوصة، أي أن الحدث الصوتي مصحوب بقصد لغوي يريد المتكلم إنجازه بواسطة الكلام أو فضلاً عن انتماء هذه الأصوات إلى لغة محددة وخضوعها لقواعد هذه اللغة النحوية.

- الفعل الخطابي: الذي يجعل هذه الكلمات أو العبارات ذات دلالة معينة في سياق محدد.

2- فعل الإنجاز (Acte Illocutoire/ Illocutif): ويتمثل في الجانب المقامي للجملة والذي يربط فعل القول بمقصد المتكلم intention وغرضه من الجملة، كأن يكون القصد منها الأمر، السؤال، الوعد أو غير ذالك من الأغراض. والقيمة الإنجازية يمكن استخلاصها من السياق اللغوي، استنادا إلى مؤشرات أو قرائن معينة أو من السياق المقامي. وما يميزه

أنه " قيام بفعل ضمن قول شيء " أي ضمن فعل القول في مقابل " القيام بفعل هو قول شيء". [1]

3- فعل التأثير(Acte Perlocutoire/ Perlocutif): ويتمثل في الأثر الذي يحدثه فعل القول أو الإنجاز وينعكس ذلك على سلوك المخاطب وعلى أفكاره ومشاعره. أي أن الفعل في هذه الحالة يخص المُخاطَب. وهو يستهدف التأثير على قناعاته ومشاعره، ومثال ذلك العبارات الإشهارية المختلفة. والفصل في هذه الحالات يرجع إلى السياق وبشكل خاص سياق الموقف.

لقد اهتم أوستن أكثر بالفعل الإنجازي لكونه فعل لغوي بالأساس، مقارنة بفعل التأثير الذي يمكن أن يكون إشاريا. وكنتيجة لما سبق صنف أوستن الأفعال اللغوية إلى خمسة أصناف:[2]

- الأفعال اللغوية الدالة على الحكم(Les verdictifs) : قدّر، قيم،حاكم،حكم على، برأ،
- الأفعال اللغوية الدالة على الممارسة (Les exercitifs): أعلن، عيّن، نصح، حذّر...
- الأفعال اللغوية الدالة على الوعد (Les promissifs): وعد، تعهد، التزم...
- الأفعال اللغوية الدالة على السلوك (Les comportatifs): اعتذر، احتج،، هنّأ، لعن،..

ووظيفة هذه الأفعال هي ضبط سيرة وسلوك المتكلمين الاجتماعي.

- الأفعال اللغوية الدالة على العرض(Les expositifs): افترض، ذكر،صاغ، ذكر، اعترف، ردّ، أثبت، أنكر وتقوم هذه الأفعال بضبط مكانة أقوالنا داخل الحديث أو الحوار.

لكن أوستن عاد في مرحلة لاحقة لينتقد المعايير التي اعتمدها للتمييز بين الوصف والإنجاز. وهذا يعني أن التقابل الذي وضعه بين الصدق والكذب أو بين النجاح والفشل غير مناسب للتمييز بين العبارات أو بين الجمل الوصفية والجمل الإنجازية، إذ يمكن

1 - Austin, J.L., *How to do Things With Words*, OUP, New York, 1970, p-p.99,100

2 – Bracops, Martine, *Introduction à la Pragmatique*, 2e éditions Duculot, Bruxelles, 2010, p.47

تقييم إحداهما بمعيار الأخرى. وهذا التحول في موقف أوستن يكشف عن صعوبة تحديد المعايير التي يمكنها أن تكشف لنا بوضوح عن قواعد الاستعمال، وهو الموقف ذاته الذي تبناه فيتغنشتاين، حيث قاده وعيه بمستوى التعقيد المميز للاستعمال اللغوي وبتعدد الشروط الموجهة له، كما جاء في فصل سابق، إلى توخي كل الحذر في القول بوجود معايير ثابتة، وهذا ما تؤكده المفاهيم المؤسسة لنظريته اللغوية كما يطرحها كتاب " تحقيقات فلسفية ". لم يتمكن أوستن من بلورة موقف متناسق حيال إشكالية المعنى ولم يعمر طويلا ليرد على الاعتراضات التي وجهت لمحاضراته التي انتهت بجملة من الأسئلة المفتوحة لتشكل منطلقا لتلميذه سيرل فيطرح هذا الأخير صياغة جديدة لنظرية أفعال الكلام.

المبحث الثالث:

سيرل ونظرية الأفعال اللغوية

يمثل الفيلسوف الأمريكي جون سيرل John Rogers Searle واحدا من أبرز رواد فلاسفة اللغة المعاصرين، وقد أسهم في تطوير نظرية الاستعمال اللغوي، حيث أعاد بلورة نظرية أوستين بشكل أكثر عمقا ودقة. عرض سيرل موقفه حول نظرية أفعال اللغة ضمن كتابين هما " أفعال اللغة"(1969) و" العبارة والمعنى" (1979)، حيث اعتبر أن نظرية اللغة لا يمكن أن تفصل عن نظرية الفعل فإنشاء جملة هو فعل لغوي.[1]

يؤكد سيرل أثناء معارضته لبعض الفقرات من كتاب "تحقيقات فلسفية"، بخلاف ما ذهب إليه فيتغنشتاين، إمكانية تصنيف الألعاب اللغوية، بل أفعال اللغة وفي هذا يقول:"لا يوجد عدد لا نهائي أو غير محدد لألعاب اللغة، أو استعمالات هذه اللغة. إلا أن وهم الطابع غير المحدد لاستعمالات اللغة يغلفه خلط كبير، يمس مقاييس كشف وتحديد استعمالات اللغة ".[2]

تبنى سيرل ضمن كتابه " أفعال اللغة" اقتراحات أوستين إلى حد ما مشددا على أن فعل القول لا يمكن تحقيقه دون قوة إنجازية. كما أدخل بعض التعديلات على تصنيف أوستين للأفعال اللغوية. ويمكن تلخيص أفكاره حول نظرية الأفعال اللغوية على نحو مختصر. إن التلفظ بعبارات لغوية معينة يعني تحقيق أفعال لغوية محددة، وهذه الأفعال تحدد استخدام العناصر اللغوية في إطار جملة من القواعد. كما أن التواصل لا ينحصر في الرموز ذاتها وإنما يتمثل في الأداء الخاص باللفظ أو الجملة أو البث عند تحقيق فعل لغوي.

وجه سيرل بعض الانتقادات لأوستين مشيرا إلى وجود بعض النقائص في دراساته للأفعال اللغوية، التي لا تستند إلى أصول واضحة، هذا بالإضافة إلى وجود بعض التداخل بين مجموعات الأفعال اللغوية أو بين أصنافها. وذلك لأن أوستين لم يقدم تحديدا

1- Bracops, Martine, *Introduction à la Pragmatique*, Op.Cit., p.49
2- Searle,J.R., *Expression and Meaning*, Cambridge University Press, 1979,p.29

دقيقا للأساس الذي استند إليه في تصنيف هذه الأفعال.[1] وبالإضافة لذلك فإن جهوده كانت موجهة في هذا المجال نحو دراسة الألفاظ وليس الأفعال، أي دراسة ألفاظ الأفعال وليست الأفعال كما هي منجزة بكل ما تنطوي عليه من حركية وحيوية.

وهذا ما أشار إليه سيرل مبينا أن المشكل المطروح في تصنيف أوستين يتمثل في كونه عبارة عن تقسيم لألفاظ الأفعال الموضوعة للدلالة على الأفعال الكلامية وليس نظرة إلى ذات تلك الأفعال. ومن ثم فإن مساهمات سيرل تعد مهمة وفعالة [2]. وانطلاقا من هذا فإنه لا يمكن تأسيس نظرية الأفعال الكلامية إلا بالرجوع إلى الفعل، ومن هنا تمحور اهتمام سيرل أولا حول تحليل الفعل اللغوي إلى قوى متضمنة في القول، كما عمل على تحديد كل العوامل والشروط التي يمكن أن تسهم في انجاح الفعل اللغوي. ويمكن أن نلخص جهود سيرل في النقاط التالية:

– الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وللقوة الإنجازية دليل يسمى "دليل القوة الإنجازية"، كما يبين أن الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم أثناء نطقه لجملة معينة يكون باستعماله لصيغة محددة ترتبط بدلالة معينة، كالأمر، أو النهي

– الفعل الكلامي عند سيرل مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، وهو أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم.

ومن هذا المنظور فقد عرفت أفعال الكلام عند سيرل توسعا في مفهوم الفعل اللغوي حيث يمكن اشتقاق أفعال لغوية غير مباشرة ستكون أكثر إنتاجا للمعنى كما يوضح المثال التالي: " أيمكنك أن تناولني السكر" إن الفعل اللغوي هنا هو فعل يختلف تماما عن دلالته الأصلية: أي أن الاستفهام هنا جاء ليدل على معنى آخر غير مباشر هو الالتماس وذلك تبعا لسياقات معينة. ولهذا فإن كل إضمار هو إضمار تداولي يكون

1 - حساين دواجي، غالي، الهيرمونيطيقا وإتيقا التخاطب، رسالة دكتوراه ،2012–2013، تحت إشراف: بوزيد بومدين، جامعة وهران.

2– نعمان بوقرة، مرجع سابق ص:194

الأصل فيه مقامات الكلام وسياقاته، فالبنية الدلالية في إنتاج الكلام لا تستقل عن المقوم التداولي.[1]

وفي هذا السياق ذهب سيرل إلى اعتبار نظرية اللغة جزءا من نظرية الفعل، وذلك لأن التلفظ محكوم بقواعد وهو يمتلك بالتالي سمات صورية خاصة، يمكن أن تكون موضوعا لدراسة مستقلة.[2] وربط سيرل بين معنى الجملة كما يمكن تحديده دلاليا بمعنى الفعل التداولي، أي أن كلا من "دلالة الجمل" و"أفعال اللغة " يمثلان حقلا لدراسة واحدة. " إذ يمكن توظيف جملة ما ذات معنى محدد لإنجاز عدة أفعال لغوية، ومن هنا فدراسة دلالة الجمل ودراسة أفعال اللغة لا يمثلان مجالين مستقلين بل مجالا واحدا".[3] وكان هدفه التأكيد على البعد التواصلي ودعمه على أساس أن توظيف لغة ما يعني القيام بأفعال لغوية محددة. وانطلاقا من هذا سعى إلى تحديد مفهوم "الفعل الإنجازي" في نظرية أفعال الكلام بهدف إعادة بلورة موقف أوستين وعملا منه على تقديم صياغة جديدة لهذا الموقف.

لقد ركز سيرل أثناء دراسته للأفعال اللغوية على أفعال اللغة غير المباشرة، والتي ينتقل فيها المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي، وهي تستدعي تأويلا لإظهار قصدها الإنجازي. وعمد إلى تحديد شروط الفعل الكلامي والشروط المحددة لمفهوم النجاح أو ما يدعى بشروط الاستعمال:

- شرط مضمون القضية: يحدد مضمون الفعل بوصفه قضية بسيطة أو مركبة أو فعل. ويقتضي فعلا في المستقبل يخص المخاطب،كفعل الوعد
- شروط أولية: تتعلق بقدرات الأفراد واعتقاداتهم ومقاصدهم.

1– طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى،1998، ص. 50

2 –Searle, J.R., *Speech Acts*, C.U.P., 1980 , p.53

3 – Ibid., p-p.54-55

– شروط الصدق: يجب أن يكون المتكلم صادقا أثناء إنجازه للفعل؛ أي أن هذا الشرط يتحقق حيث يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يقصد ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع القيام به.

– شروط جوهرية: ترتبط بالهدف التواصلي من فعل الكلام، إذ يوجهه إلى الالتزام بما يقتضيه فعل الكلام. ويتحقق من خلال محاولة المتكلم التأثير في السامع للقيام بالفعل، وإنجازه حقا. فالشرط الجوهري هو ما يحدد مقاصد المتكلم والكيفية التي ينفذ بها هذه المقاصد بفضل المواضعات اللغوية.[1]

وبالرغم من كون هذه الشروط ضرورية إلا أن معظمها لا يتحقق إلا من خلال استحضار شروط تداولية أخرى توفر إمكانية حصول أغراض كلامية بشكل ملائم، الأمر الذي يستوجب تجنب مختلف المعوقات المادية واللغوية التي من شأنها أن تحول دون قيام حوار سليم.[2] معتبرا أن الأعمال اللغوية والجمل التي أنجزت بواسطتها وسيلة تواضعية للتعبير عن مقاصد وتحقيقها.

إننا عندما نتكلم فنحن بصدد انجاز تصرف معين تحكمه قواعد خاصة. ولذا فمن يتكلم لغة طبيعية ينجز أفعالا لغوية متباينة، ولا يمكنه انجاز تلك الأفعال إلا عند مراعاة القواعد الموجهة للاستخدام اللغوي. وتتميز هذه الأخيرة بكونها قواعد عرفية وليست طبيعية. وهي تجعل الفعل سلوكا تواصليا وليس استجابة ثابتة لمثير ما. ومعنى ذلك أن سيرل يسلم بالقواعد اللغوية، ويعترف في الوقت نفسه بتأثير العوامل الاجتماعية كما يصنفها إلى قواعد تأسيسية يتوقف عليها انجاز الفعل، وأخرى ضابطة أو غير أساسية وهي القواعد الخارجية عن الفعل والتي يمكن أن تختل دون أن يفشل الفعل.

أما اقتراحه لتعديل تصنيف أوستين فيظهر من خلال تصنيفه للأفعال اللغوية المنجزة أثناء التلفظ على النحو التالي :

1- روبول (آن) وموشلار(جاك)، مرجع سابق، ص. 34

2 - الباهي، حسان، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، 2004، ص.126

الفعل التلفظي: يتمثل في عملية الكلام والتأليف بين وحداته.

الفعل القضوي: وهو يشمل فعلي الإحالة والحمل.

الفعل التأثيري: يرتبط بالنتائج المترتبة عن الفعل الإنجازي، أي الأثر الذي يحدثه هذا الفعل على المخاطب.

الفعل الإنجازي: يتمثل في الأمر أو النهي أو الطلب أو الوعد...وغيرها من الأفعال.

والملاحظ أن سيرل وأوستين يتفقان في القول بالصنفين الأخيرين، أي بالفعلين التأثيري والإنجازي.

و نظرا لأن المعنى مستقل عن الفعل الإنجازي وعن الفعل التأثيري فبإمكان الجملة الواحدة أن تنجز عدة أفعال لغوية. إن المتكلم بإمكانه أن يميز بين الدلالة المقامية الثابتة والدلالة المقالية المتغيرة تبعا لتغير مقامات القول.

لم يكن سيرل مقتنعا بتصنيف أوستين لكونه لم يحدد خصائص كل مجموعة من الأفعال ونظرا لما ينطوي عليه تصنيفه من غموض لذا عمد إلى التصنيف التالي لأفعال الكلام:[1]

أفعال الإثبات (Assertifs): وتجعل المتكلم ينخرط في حقيقة القضايا المعبر عنها ليصبح مسئولا عن وضع الأشياء. مثل التأكيد والوصف والتحديد .

أفعال التوجيه (Directifs) : وجهة الانجاز فيها هي قيام المستمع بما يقوله المتكلم، مثل الاقتراح أو الدعوة للقيام بفعل ما أو الأمر.

أفعال الالتزام (Promossifs): هي التي تكون فيها وجهة الانجاز انخراط المتكلم في فعل مستقبلي كالوعد والعقد.

أفعال التعبير (Expressifs): تتمثل في أفعال التعبير عن الحالات النفسية الخاصة ضمن شروط الإخلاص مثل الشكر، الاعتذار، التهنئة والترحيب.

1 - أرمينك، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د. ط، د. ت، ص66,

أفعال الإعلان (Déclarations) : غايتها إجراء تعديل في العالم الخارجي، ويتمثل الانجاز الناجح في هذا الصنف من الأفعال في تحصيل "أحد أعضائها على التقارب المطلوب بين المضمون القضوي وبين الواقع".[1]

حاول سيرل في خطوة موالية أن يحدد تبريرا لهذا التصنيف، وبحثا عن الخصائص التي تسمح بإدراج فعل ما ضمن صنف محدد وضع جملة من المقاييس التي تؤسس لهذا التصنيف،[2] كما لاحظ أنه من الممكن ايجاد تصنيفات متباينة حسب اللغات. بذل سيرل جهودا معتبرة من أجل التغلب على صعوبة تصنيف الأفعال اللغوية مركزا على السمات المشتركة[3] الموجودة بين الأفعال الإنجازية، لكنه كان يصطدم أحيانا بوجود تداخل وتقاطع بين أصناف الأفعال، أي بين السمات المميزة للأفعال اللغوية التي لا تنتمي إلى صنف واحد. الأمر الذي يؤكد إلى حد ما موقف فيتغنشتاين باستحالة التصنيف.

وما يؤكد ذلك أيضا هو أن الأصناف المذكورة ليست تعبيرا تاما شموليا عن كل ما هو قائم في اللغة من أفعال، وبيانُ ذلك أن الأمثلة هي ذاتها مستقاة من واقع اجتماعي محدد. أو ليست أفعال الإثبات والتعبير والتوجيه والالتزام والإعلان تعبيرا عن أهم ما هو سائد من نشاطات في مجتمع محدد وخلال مرحلة تاريخية معينة كالمجتمع الأمريكي أو الإنجليزي ؟ إن تصنيف الأفعال الكلامية يعتمد تحليلا لا يبتعد كثيرا عن ما جاءت به نظرية ألعاب اللغة عند فيتغنشتاين. فعندما يتجه التصنيف إلى تتبع قائمة الأفعال المنضوية تحت قائمة الأصناف فهو بصدد إعطاء أمثلة عن ألعاب لغوية. وعنما يتجه نحو التعميم منتقلا إلى الحديث عن الأصناف التي يفترض أنها تشمل جميع الأفعال فهو يتكلم عن أشكال الحياة.

---

1 – أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص.68

2 – المرجع نفسه، ص–ص.63، 64

3 –سيرل جون، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي،الدار العربية للعلوم، ط1، 2006، ص–ص.214، 215

ظلت أفعال الكلام كما عرضها كل من "سيرل وأوستين" مفتقرة إلى ترابط يضفي عليها قيمة تواصلية حتى لا تبقى كيانات معزولة عن سياقاتها، أو تبقى مفصولة عن ما يمكن أن يسبقها أو يتلوها من أفعال لغوية أخرى في التسلسل الخطابي. وعدم التسلسل هو ما سيتم تداركه في الطور اللاحق للدراسات التداولية، حيث سيتم تناول أفعال اللغة في إطارها الدينامي الحي، ويتخذ هذا التفاعل عدة أشكال حوارية كالمناظرة أو المناقشة أو النص الخطابي، وفي هذا التواصل الحقيقي تندمج أفعال الكلام أكثر ضمن السياق، وضمن تسلسل أفعال لغوية لا ترتبط فيما بينها صدفة وإنما تبعا لشروط توجه هذا التسلسل. وقد اصطُلح على هذه التوجه في دراسة أفعال اللغة بالمقاربة التفاعلية، فمعنى أن يتكلم الإنسان هو أن يتفاعل مع غيره أو محيطه وتبعا لشروط معينة، وضمن هذا السياق جاء اقتراح (فان ديك) Van Dick بإدخال مفهوم الفعل الكبير Macro Acte ليكون الوحدة التداولية ذات المجال الأكبر من الجملة، وتصبح الجملة خاضعة بصورة تدريجية لمقتضياته كما لو أننا نحكي قصة، وفي هذا الإطار أيضا نجد اتجاها يرى أن الفعل الحجاجي هو الذي يمكن أن تكون له هذه الهيمنة التداولية المعرفية.[1] لكن موقفا آخر أكثر صلة بفلسفة فيتغنشتاين اللغوية عمد إلى الاستفادة من مواقف هذا الأخير. بل أعاد إحياء ما رآه مفيدا من النظرية التصويرية لصياغة موقف يبرز منطق التسلسل الخطابي ضمن الحوار وهو موقف بول غرايس. إن أعمال سيرل في هذا السياق تشكل في مجملها إضافة قيمة لجهود أوستين بخصوص " الفعل اللغوي المباشر" لكن بخلاف ذلك سيولي غرايس الاهتمام للفعل اللغوي غير المباشر ضمن منطق الحوار.

[1]- عبد السلام عشير، مرجع سابق، ص.65

المبحث الرابع:

منطق الحوار عند بول غرايس

كان بول غرايس (1913-1988) بخلاف فيتغنشتاين مهتما بدراسة فلاسفة الماضي وكان ينظر لأرسطو وكانط بكثير من الإجلال والتقدير. يشترك مع غيره من فلاسفة اللغة العادية في التأكيد على الطابع الاجتماعي للغة وأن الخطاب العادي غير الفلسفي جدير بالاهتمام، إذ أن من بين مهام الفيلسوف الأساسية هو تحليل الاستعمالات العادية للغة وتحديد خصائص هذه الاستعمالات ما أمكن. وتتضمن أعماله تنقيحا ونقدا للفكرة المحورية في فلسفة اللغة العادية والمتمثلة في ربط المعنى بالاستعمال، ويلخصها الشعار المشهور: " لا تسأل عن المعنى واسأل عن الاستعمال ".

إنه بدلا من الاهتمام بمعاني الألفاظ والعبارات، يهتم غرايس أكثر بالشروط المناسبة لاستعمال العبارات وذلك لأن تعدد الأفعال المباشرة لا يقدم في نظره حلا كافيا لإشكالية المعنى. كما أن العبارة اللغوية يمكنها –حسب المقام – أن تنطوي على فعليين لغويين أحدهما مباشر له دلالة ظاهرة تشير إليها المكونات البنيوية، والفعل الثاني غير مباشر له دلالة ضمنية لا تشير إليه القرائن البنيوية. انطلاقا من هذا بحث غرايس الأسس التي يقوم عليها منطق الحوار كمخرج جديد لإشكالية المعنى.

أما صلة غرايس بفلسفة فيتغنشتاين وهذا ما ينبغي التأكيد عليه في هذا المبحث، فلا تنحصر في القبول باللغة العادية كموضوع للتحليل وفي ربط المعنى بالاستعمال. لقد ذهب إلى حد استثمار ما جاء في فلسفة فيتغنشتاين الأولى، فوظف مفاهيم وقواعد المنطق الرمزي في تحليل العبارات، وكمثال على ذلك فإن تمييزه بين الاستلزام المنطقي والاستلزام الحواري أو ما يمكن الاصطلاح عليه بالاقتضاء الحواري[1] يفضي إلى نتيجة مفادها أن اللغة كما هي متداولة بين المستعملين يحكمها منطق حواري يختلف إلى حد ما عن ما جاء في رسالة فيتغنشتاين. هذه الأخيرة تؤكد على وجود بنية منطقية ثابتة تحكم

1– نظرا للتقارب بين كلمتي "لزوم " و"استلزام " أي لكونهما توظفان بنفس المعنى في السياق المنطقي والرياضي فإنه من الأنسب اعتماد مفهوم " الاقتضاء " المستعمل في أصول الفقه بمعنى شبيه بما أراده غرايس تجنبا للالتباس.

القضايا اللغوية. ويمكن في نظر فيتغنشتاين التأكد من قيم هذه القضايا بالعودة إلى القواعد الواردة في نظرية حساب القضايا.

يعتمد الاقتضاء الحواري على مبادئ عامة تقع خارج مجال اللغة. مما يعني أن بإمكانه تحديد المعنى لاسيما في الحالات التي يعجز فيها علم المعاني عن ذلك. إنه يفسر لنا قدرة المتكلم على أن يقصد أكثر مما يقول ويحاول تقصي المعنى المقصود من طرف المستعملين والذي لا تنطوي عليه الألفاظ ذاتها.

ففي المثال التالي يتعذر على علم المعاني أن يوضح ما الذي يدور بين المتكلمين وما هي مقاصدهم:

أ – كم الساعة ؟

ب– ألم تسمع صوت القطار ؟

إن ما يقصده المتكلم يتجاوز كثيرا ما هو منطوق به، ويتعذر الحصول على المعنى الكلي دون الإحاطة بكل ما يقتضيه سياق الكلام. فلوا افترضنا أن الشخصين كانا على موعد مع حضور صديق زائر لجاز أن يكون المعنى إيجازا على النحو التالي:

أ– لقد تأخر صديقنا كثيرا عن الموعد.

ب– ها قد جاء.

ويتغير المعنى حسب شروط أخرى متباينة تخص المتكلمين فتتغير المقاصد، ويمكن للمعنى التفصيلي ان يتجاوز حدود المعنى الموجز أو المبسط السابق. ففي المثال السابق يمكن أن تكون الجملة الأولى تعبيرا عن مجرد الرغبة في معرفة التوقيت أو التعبير عن القلق بسبب التأخر أو الشوق الشديد لرؤية الصديق إلى غير ذلك من الحالات التي يصعب حصرها. إذن فأهمية الاقتضاء الحواري تكمن في تجاوز الثغرة القائمة بين ما يقال حرفيا وما يقصده المستعمل.

بحث غرايس في بنية الجمل عن وظيفة الألفاظ اللغوية التي تمثل الوصل أو الفصل، أي التي تقابل الروابط المنطقية فلاحظ أنها لا ترد دائما بنفس المعنى المنطقي الذي جاء في رسالة فيتغنشتاين. فالوصل مثلا قد لا يعني دائما الترتيب، وبالتالي فالمعنى كما تتبناه النظرية التصويرية لا يتسق دائما مع المعنى كما يرد فعليا ضمن الاستعمال. ذلك لأن نظرية حساب القضايا لا تأخذ بعين الاعتبار غير البنية الصورية للجمل. في مثل هذه النقاط يتجلى نقد غرايس للنظرية التصويرية، ويظهر هنا في نفس الوقت توظيفه لمفاهيم هذه النظرية وجهازها الرمزي ؛ فلو أخذنا مثلا الجملتين التاليتين:

1- كتب أحمد رسالة و(ثم) بعث بها إلى أبيه.

2- بعث أحمد رسالة إلى أبيه و(ثم) كتبها.

من الملاحظ أن الوصل هنا بين أجزاء الجملة لا يقبل التبديل لأن هناك ترتيبا زمنيا بينما يمكن أن يحصل هذا التبديل عندما يكون القصد هو مطلق الاشتراك أو الجمع مثلما هو الحال بالنسبة لمعنى رابطة الوصل (∧) في نظرية حساب القضايا. ومثال ذلك: المتنبي شاعر وديكارت فيلسوف. حيث يتوقف صدق القضية المركبة هذه على صدق القضيتين الجزئيتين معا كما يلخصه الجدول :

ق	ك	ق ∧ ك
ص	ص	ص
ص	ك	ك
ك	ص	ك
ك	ك	ك

و معنى ذلك أن التباين الحاصل في معاني الروابط المنطقية يوحي بقصور في نظرية حساب القضايا وعدم قدرتها على استيعاب الثراء اللامحدود للغة. ولكن ذلك لم يمنع

غرايس من العودة إلى أسلوب الترميز والبرهنة المميز لنظرية حساب القضايا، وتوظيفه ضمن نظرية الاستعمال اللغوي قصد تطويرها ليفتح مجالا أوسع للبحث أمام التداوليين من بعده [1]، حيث لفت انتباههم إلى أهمية الصياغة الرمزية في تحليل اللغة العادية ذاتها حسب ما يطرحه الاقتضاء الحواري.

اشتهر غرايس بتحليله للمعنى لدى المتكلم أو بالنظرية القصدية[2] ونظرية الاقتضاء الحواري.[3] إن فكرته الأساسية عن المعنى تتجلى في كون هذا الأخير مرتبطا بقصد المتكلم في مناسبة محددة. وكل الأفكار الأخرى المتعلقة بالمعنى يمكن معالجتها على أنها مشتقة من هذه الفكرة الأساسية التي تمثل قصد المتكلم،" ومن الضروري التمييز بين فكرة المعنى التي تتصل بمستعملي الكلمات أو التعبيرات وفكرة المعنى التي لا تتصل بمستعملي الكلمات أو التعبيرات، والفكرة غير المتصلة تكون لاحقة على الفكرة المتصلة، ويتعين أن تكون مفهومة في حدودها،وما تعنيه الكلمات هو مسألة ما يعنيه الناس بها ".[4]

تميزت أعمال غرايس بالاهتمام أكثر بالأفعال اللغوية غير المباشرة مقارنة بأعمال أوستن وسيرل، فبدلا من البحث عن معنى الألفاظ والجمل، ينبغي التركيز على الشروط الموجهة للاستعمال اللغوي والتي من شأنها أن تحدد المعنى وتسمح للمتلقي بفهم مقصد المتكلم، استنادا للقواعد التي ينبغي التزامها أثناء الحوار.

لقد ركز غرايس في تحليله على نمطين من الدلالة: دلالة ظاهرة تطفو على السطح وترتبط بالجانب التركيبي.و دلالة عميقة مستقلة عن الجانب التركيبي أو لا تتوفر لدينا

1 – يمكن أن نذكر في هذا السياق إسهامات ليفنسون Stephen C. Levinson وتمييزه بين النفي الخارجي والداخلي

2 – اشترك غرايس مع ستراوسن في الدفاع عن دور القصد في تحديد المعنى ضمن مقالهما " في الدفاع عن العقيدة" (1956)، وتضمنت بعض مقالاته لاحقا هذا الموضوع مثل :القصد واللايقين (1971).

3 – له إسهامات أيضا في فلسفة الأخلاق.

4- Grice , Paul, *Studies in the way of words* , Cambridge, Massachusetts , Harvard University Press, fourth, printing, 1995, p.340

قرائن بنيوية تُحيل إليها. فمن خلال جملة واحدة يمكن انجاز فعلين لغويين أحدهما مباشر والآخر غير مباشر. ومن هنا يميز بين القوة الانجازية الحرفية المباشرة وهي المدركة مقاليا والتي تنص عليها صيغة الفعل كالنهي والأمر والتمني وبين القوة الانجازية الضمنية، المستلزمة والمدركة مقاميا. والتي تستلزمها الجملة في سياقات محددة.

وأهم إشكال يطرح هنا هو: كيف يتم الانتقال من الفعل اللغوي المباشر إلى الفعل اللغوي غير المباشر؟ يجيب غرايس بأن أنسب حل لذلك هو مبدأ التعاون وما يتفرع عنه من قواعد. وقد طرح هذا المبدأ التداولي ليؤكد أن المعنى هو نتاج إرادة مشتركة في التواصل بين أطراف. لذا فالأنسب أن يقوم نوع من التعاون بين المتكلم والمخاطب ليتحقق الهدف من الحوار. يقترح غرايس ما يدعوه بمبدأ التعاون ضمن مقالته" المنطق والحوار" (1975) متناولا فيها ظاهرة الفعل اللغوي غير المباشر.

وحسب اقتراحه هذا فإن على أطراف الحوار أن تتعاون من أجل حوار ناجح يضمن للطرفين تحقيق الهدف من الحوار. ويمكن لهذا الهدف أن يتحدد قبيل الكلام أو أثنائه. ويقوم هذا المبدأ على فرضية مفادها أن التفاعلات الحوارية تبلغ غايتها تبعا للتعاون القائم بين الأطراف. ومعنى ذلك أن هناك اعتبارات توجه الاستعمال اللغوي الذي لا يكون اعتباطيا؛ أي أن هناك" مجموعة من الافتراضات والتقديرات الكامنة في كفاية المتحاورين والناتجة من اعتبارات عقلية مهمتها أنها توجه الاستعمال اللغوي الحواري الفعال نحو تحقيق أهدافه التعاونية "[1]

ومعنى ذلك أن اللغة كما عي مستعملة لا يحكمها الاعتباط وإنما هي مؤطرة بمبادئ أهمها مبدأ التعاون كمبدأ أعلى أو شمولي وما يتفرع عنه من قواعد:

1- بنعيسى، عسو أزابيط، (نظرية غرايس والبلاغة العربية)، مجلة كلية الآداب، مكناس، عدد13، 1999، ص.74

مبدأ التعاون: (Cooperative Principle)

ينبغي أن نجعل إسهامنا في الحوار حسب الحاجة ؛ أي يقع في الحال التي ينبغي أن يقع فيها، وفقا للغرض المقبول، ووفقا لاتجاه المبادلة الكلامية. ومبدأ (التعاون) يتجسد في أربع مبادئ فرعية هي :

1. مبدأ الكم (Principle of quantity) : هو أن تجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.
2. مبدأ الكيف(Principle of quality) : هو ألا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عنه.
3. مبدأ الملاءمة / العلاقة (Principle of relevance/ relation): هو أن تجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع؛ ولهذا المبدأ مظهران وهما أن إسهامك يرتبط بمحور بعينه ويكون لهدف بعينه.
4. مبدأ الجهة أو الطريقة (Principle of manner): هو أن تكن واضحا ومحددا؛ فتجنب الغموض واللبس، وأوجز، ورتب كلامك.

ولكن الملاحظ أن الناس كثير ما يخالفون هذا المبدأ وهذا الانتهاك للمبادئ هو ما يؤدي إلى الاقتضاء الحواري.

مبدأ التأدب في الكلام :

وهذا المبدأ لا يقل أهمية عن مبدأ التعاون، يفرض على المتحدثين أن يحترم بعضهم بعضا في الكلام كأن يحاول شخص الاعتذار أو تهوين أو تبليغ خبر مؤلم أو مزعج. ويختلف مبدأ التأدب في الكلام من بلد لبلد ومن حضارة لحضارة أخرى؛ فنجد مثلا اختلاف طرق "الاعتذار" بين البلاد العربية وكوريا؛ فيبدأ الكوريون بالاعتذار مباشرة ثم قول الأسباب ولكن الاعتذار عند العرب غير مباشر، فيبدأ العرب بقول الأسباب ثم الاعتذار، وأحيانا قد يؤدي هذا الاختلاف بين الثقافات والحضارات إلى سوء التفاهم بين

أفراد لا ينتمون لنفس المجتمع أو بين هيئات أو مؤسسات ليس لها نفس الانتماء الحضاري.

إن تطبيق القواعد السابقة يسمح بضبط مسار الحوار وتبليغ مقاصده وكل إخلال بها يؤدي إلى إخلال بالعملية الحوارية. ويتعين عند ذلك نقل الكلام من معناه الظاهر إلى معناه الخفي الذي يقتضيه المقام، وهذا ما تناوله تحت مفهوم " الاقتضاء الحواري"

أما اهتمامه بتحليل القصد فلكونه يمثل الخاصية الجوهرية التي ينبغي استحضارها ليحصل التفاهم بين المتحاورين. إن إظهار القصد بينهما شرط ضروري لكي لا يُفهم من الكلام غير ما هو مقصود، وذلك لأن " مدلول العبارة يتجاوز المعنى الحرفي لمجموع ألفاظها. وقد يتولد المعنى لدى المخاطب قبل أن ينتهي المتكلم من التلفظ بالعبارة، دون أن يكتمل معناها بعد لدى المخاطب وكل هذا يكشف أن المعنى الحرفي والمصرح به، ليس سوى جزءا من المعنى. أما الجزء المتبقي فيتوقف على كل من المتكلم والمخاطب [1]."

أولى غرايس اهتماما خاصا لشرط القصد مبرزا دوره في تحديد المعنى. ولما كان القصد هو الآخر مركبا وغير واضح، فقد يكون صريحا أو ضمنيا، عاما أو خاصا ومن هنا عرض تفصيلا يُظهر مراتب القصد. وذهب إلى القول[2] بأننا نستجيب لقواعد الحوار العادية بوحي من العقل وعن قناعة منا بوجوب مراعاتها. إن إظهار القصد يمثل تعاونا بين المستعملين حتى لا يفهم المستمع خلاف ما أراد المتكلم. ومن هنا وضع غرايس مبدأ التعاون بوصفه شرطا أساسيا لتبادل المقاصد، ويتميز هذا المبدأ بخصائص تفيد حصوله في حوار ما وهي تتمثل فيما يلي:

– ضرورة اشتراك المتحاورين في الهدف من عملية الحوار.

1– الباهي، حسان، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، 2004، ص.127

2- Grice , P.H.,(*Logic and conversation*) , in Cole Peter and Morgan Jerry, L., (eds) *Speech acts*, in Syntax and Semantics, Vol.3 ; New York; 1975, p-p. 48, 50

– يجب أن يحصل تداخل بين إسهامات المتحاورين وأن يتوقف بعضها على بعض.

– يجب أن يحكم عملية الحوار أسلوب ملائم حتى تكتمل أو تبلغ نهايتها وأن لا يتم تعديل فيها إلا بتراض بين الطرفين.

إن أهمية القواعد المؤطرة للخطاب اللغوي تتمثل في كونها تؤسس للاستدلالات التي يمارسها العقل متجاوزا بذلك المحتوى الدلالي للعبارات.

و دون الخوض أكثر في موقف غرايس يمكن القول أن ما يهمنا في هذا السياق، هو أن تحليله للغة الحوار يهدف إلى إظهار القواعد التي تحكمه وهي ذاتها القواعد التي تحدد المعنى. وتبعا لذلك فإن هذا الأخير متوقف على مراعاة تلك القواعد. ويؤدي خرقها باستمرار إلى غموض تزداد درجته تبعا لدرجة المخالفة. وهناك تلاحم قائم بين مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه وبين الاقتضاء الحواري، حيث ينتج هذا الأخير عند خرق قاعدة ما مع الإبقاء على مبدأ التعاون.

وتكمن قيمة موقف غرايس في المناقشات التي دارت حوله وفيما ترتب عن ذلك من انتقادات، إذ بالرغم مما بذله من حذر ودقة في توظيف مبدأ التعاون إلا أنه لم يقدم إجابة واضحة ومتناسقة تبرز دور استراتيجيات الحوار في تحديد المعنى، وذلك لأن هذا المبدأ ينطوي على مبالغة في القبول بمزيد من التفاعل الحواري إلى حد التقارب الحميمي بين أطراف الحوار[1] وهذا ما لا يعكسه الواقع. إذ أننا لا نميل دائما للتعبير بطريقة تناسب الآخرين ومراعاة لما نشترك فيه، أي أن الفرد لا يعمد دائما إلى تبسيط ما يقصده للمتلقي، إنه يعبر عن خصوصياته واستقلاليته.[2] وبالتالي فالمعنى ليس مما يمكن أن يتحدد تبعا لاستراتيجيات حوارية بشكل موضوعي وبمعزل عن ذات المتكلم. يضاف إلى هذا أن تحليل غرايس قد أصبح أكثر غموضا فيما يتعلق بمبدأ التعاون ذاته لاسيما أنه سرعان ما

1- Mey , Jacob L., Concise Encyclopedia of Pragmatics,Op.Cit., p.153
2 – Ibid., 153

يعدل من اصطلاحاته.[1] ويصعب الفصل بصورة تامة بين المبادئ الفرعية لمبدأ التعاون نظرا لتداخلها، إذ ينطوي الواحد منها على جانب من معنى الآخر. ولعل هذا ما جعل غرايس يولي أهمية – ضمن مبادئ التعاون – لمبدأ الكيفية باعتباره أكثر تحديدا للمعنى من غيره. ويعترف أن الحوار غالبا ما يكون أقرب إلى الدردشة التي لا تحتاج بشكل صارم لاستراتيجيات توجه المعنى.[2]

ويبدو جليا أن غرايس يواصل مسار فيتغنشتاين عندما تحدث من خلال مفهومي "لعبة اللغة" و"أشكال الحياة " عن تنوع وثراء الاستعمال اللغوي الذي يصعب ضبط قواعده، وربط ذلك بالتنوع والتعدد الثقافي، وانتبه أيضا إلى أن هذا الاستعمال لا يخضع لتواضع ثابت مستقر بل يتميز بالتغير والحيوية حسب شروط متباينة من سياق لآخر.

3- Mey, Jacob L., Concise Encyclopedia of Pragmatics,Op.Cit., p.154
1- Ibid., p. 155

خاتمة

طرح فيتغنشتاين إشكالية المعنى في فلسفته الأولى انطلاقا من تصور يناظر بين ما تحتويه اللغة من ألفاظ وعبارات وبين ما يقابلها في الواقع من أشياء ووقائع، حيث يقف المعنى وسيطا بينهما، لينعكس في الصورة المنطقية التي تعبر في آن واحد عن بنية الجملة اللغوية كما تعبر في نفس الوقت عن تركيب الواقعة. واعتبر أن مهمة التحليل المنطقي هي البحث في هذا التماثل أو التناظر بين اللغة والواقع، أي تحديد ما له معنى، وإن لم يتحقق ذلك في جملة ما فلا معنى لها. لقد أراد بذلك أن يضمن للغة الصرامة والدقة بدلا من أن تكون ضحية الغموض والفوضى، وهذا خلال انشغاله بالمشروع اللوجستيقي الهادف إلى وضع لغة منطقية شمولية للمعرفة. وفي نفس الوقت كان توجهه هذا متأثرا بمسار العلم التجريبي لاسيما في الفيزياء حيث يجري تدريجيا تقصي بنية المادة وخصائصها بطريقة تكشف عن تقابل بين هذه البنية واللغة العلمية التي تصفها.

وينبغي التأكيد على أن نظرية المعنى عند فيتغنشتاين يصعب فهمها معزولة عن هذا السياق العلمي المرتبط بها تاريخيا. لقد أدى التحول لاحقا في الفيزياء الذرية إلى تحول مماثل، لتصبح اللغة ليست مجرد أداة لتصوير الواقع بل وسيلة للاتصال والمشاركة. كما أن التطور في موقف فيتغنشتاين ليس معزولا عن سياق التحولات الجذرية في العلوم الأخرى كعلم النفس واللسانيات والانثروبولوجيا، بل أيضا عن سياق التغيرات السياسية والاجتماعية للمجتمعات الغربية التي أصبح وضعها متأزما جراء صراعات وحروب مدمرة تعكس التعارض التام بين مواقف يلغي بعض منها حق الآخر في التفكير والتعبير والحياة. وأمام هذا الوضع كان على الفلسفة أن تبحث عن الحلول المناسبة التزاما منها بقضايا الإنسان ومصيره.

وقصد تحقيق الفهم والتفاهم فإن هذا التباين يقتضي مبدئيا ضرورة التعايش الثقافي في ظل الاختلاف، مما يعني على المستوى اللغوي وجود أكثر من منطق لغوي أو تنوع القواعد اللغوية تبعا للاستخدام وحسب اختلاف المجتمعات. فلا وجود لنسق لغوي واحد

يفرض نفسه على كل الأنسقة. وهكذا أصبح منطق اللغة متعددا لا واحدا في فلسفة فيتغنشتاين الثانية. ولم تعد اللغة حبيسة الصيغ الرمزية الثابتة بل صارت بألعابها اللامحصورة تعبيرا عن التعدد والتنوع الثقافي وعن أشكال الحياة. ولم يعد المعنى في صلته بالجملة ثابتا مستقرا بل متغيرا حسب المواقف والسياقات. أصبح المعنى مجالا منفتحا وعالما ممكنا أمام قدرة الإنسان المنتج للمعنى.

ونظرا لتباين الشروط الموجهة للمعنى وتداخلها أصبحت اللغة أشبه بالمتاهة التي تتغير أسرارها باستمرار، مما دعا إلى البحث عن استراتيجيات معينة للتغلب على ما تنطوي عليه إشكالية المعنى من صعوبات. لم تكن تلك المفاهيم التأسيسية التي تلخص فلسفة فيتغنشتاين في المرحلة الثانية مثل " ألعاب اللغة"، "أشكال الحياة" إلا محاولة منه للتغلب على تلك الصعوبات، وتأكيدا منه على التعقيد البالغ لقواعد الاستعمال اللغوي. ويزداد الأمر صعوبة عندما تتجاوز المعاني إطار الألفاظ أو عندما يقصد بهذه الأخيرة أكثر مما تشير إليه. عندها تختفي الدلالة وراء البناء اللغوي الظاهر ويصبح البحث في المعنى هو تتبع استراتيجات التخفي التي يمارسها المستعملون تبعا لشروط خاصة.

هكذا حصل الانتقال في فلسفة فيتغنشتاين اللغوية من القول بأن المعنى مرتبط بتطابق بين الصورة المنطقية للقضية اللغوية وما تعبر عنه إلى القول بأن المعنى يحدده الاستخدام. وإذا كان الغموض أو اللامعنى مرده إلى سوء فهمنا لمنطق اللغة في النظرية التصويرية فقد أصبح في نظرية ألعاب اللغة نتيجة لسوء الاستعمال أو سوء التفاهم بين مستعملي هذه اللغة أو تلك.

مثلت أعمال فيتغنشتاين منطلقا جديدا لفلاسفة اللغة وعلمائها للبحث في إشكالية المعنى. وفي هذا السياق جاء الطرح التداولي ناقدا لبعض أفكار فيتغنشتاين ومتأثرا بكثير منها كارتباط المعنى بالاستخدام، والجملة بالفعل اللغوي وكون هذا الأخير محكوم بقواعد استعمال معقدة. حاول مؤسسو التداولية تحديد تلك القواعد بوضع تصنيف للأفعال

اللغوية، بوصفها أولا أفعالا كلامية، ثم بوصفها أفعالا لغوية. وجاءت المواقف متباينة حول طبيعة تلك القواعد والشروط الموجهة للمعنى وأولوية كل منها، كل ذلك تعبيرا عن ثراء المعنى وغموضه. وإذا كان أوستين وسيرل قد استفادا أكثر من فلسفة فيتغنشتاين اللغوية الثانية بخصوص المعنى فإن غرايس يذهب إلى أبعد من ذلك عندما يستثمر الجهاز الرمزي للنظرية التصويرية للغة فيوظف ضمن منطق الحوار المفاهيم والرموز المنطقية، بل يكيفها وفق مقتضيات الحوار مركزا على طبيعته الاستدلالية. إن التقارب بين فلسفة فيتغنشتاين اللغوية الثانية والاتجاه التداولي يتضح جليا في اعتماد منهج التحليل اللغوي، حيث موضوع التحليل هو اللغة العادية كمعطى. وليس المهم هو المعنى وإنما الشروط الموجهة للاستعمال، وهذه الأخيرة ليست غاية مقصودة لذاتها وإنما قيمتها من حيث دلالتها على المعنى.

أما الغاية المتوخاة من الاهتمام بشروط الاستعمال فتهدف إلى عملية بناء أو إنشاء للمعنى طبقا لتعاون وتكامل بين أطراف وتحقيقا للتفاهم بين المستخدمين، وتتضمن هذه الغاية الإقرار بأن المعنى هو ما يحقق أكبر قسط من التفاهم المشترك ولا يتمثل بالضرورة في الاتفاق الكلي لأن اللغة هي في جانب منها نسبية وخاضعة لنمط تفكيرنا الخاص، وهذا من شأنه أن يحد نسبيا من التواصل، لذا فعلى الفكر النقدي أن يظل يقضا حفاظا على مجال التفاهم المشترك وحصرا لمجال الخلاف. أما كيف يتحقق ذلك؟ فتجيبنا التداولية بما تطرحه من أبحاث متعددة محملة الإنسان مسؤوليته الأخلاقية في استخدام اللغة وفق أسس موضوعية واضحة تجعل اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن القناعات الخاصة كيفما كانت طبيعتها صحيحة أم خاطئة وإنما وسيلة لإرساء التواصل بين الناس.

لقد تجاوزت نتائج التداولية حدود مجالها الخاص، لاسيما في جانبها التطبيقي إلى المجالات السياسية والقانونية والتربوية والإعلامية وغيرها. تأكيدا منها على أن إرساء التفاهم يقتضي ضرورة تفعيل دور اللغة في شتى مراحل التعليم وتطوير أساليب الحوار

والحجاج الفكري والسياسي استنادا إلى أسس معرفية وأخلاقية بما يخدم الإنسان في عصر يزداد فيه سوء التفاهم ويتخذ أبعادا خطيرة، بالرغم مما توفره الثورة الرقمية من أساليب الاتصال. وتنعكس نتائج هذه الثورة المتسارعة على الخطاب اللغوي ذاته، لتُطرح إشكالية المعنى من جديد بكل إلحاح و بكل ما تختزله من إشكاليات.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية

1. فيتغنشتاين، لدفيج، تحقيقات فلسفية، ترجمة: عبد الرازق بنور، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1،2007.

2. ـــــــــــــــ، بحوث فلسفية، ترجمة وتعليق: عزمي إسلام، مراجعة وتقديم: عبد الغفار مكاوي، جامعة الكويت. دون طبعة، دون تاريخ.

3. ـــــــــــــــ، رسالة منطقية فلسفية، ترجمة: عزمي إسلام، مراجعة وتقديم: زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1968 .

4. ـــــــــــــــ، في اليقين، ترجمة : بهنسلي أحمد، مركز الإنماء الحضاري،2005.

5. ـــــــــــــــ، تحقيقات فلسفية، ترجمة عبد الرازق بنور، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ط1،2007.

المصادر باللغات الأجنبية

1. Wittgenstein, L., *Philosophical Investigation*, Translated by G. E. M. Anscombe, Basil Blackwell, 1986.

2. ——————,L., *On Certainty*, Translated by Denis Paul and G.E.M. Anscombe, Basil Blackwell Oxford, 1969.

3. ——————, *Carnets1914-1916*, traduit et annoté par Gilles-Gaston Granger, Paris, Gallimard, 1971.

4. —————— , *Les Carnets 1914-1916*, traduit de l'allemand par Jean-Pierre Cometti, édition,Farrago,2001.

5. ——————, *Notebook, 1914-1916*, translated and edited by Anscombe, G.E., Basil Blackwell, Oxford, 1961.

6. ——————, *Notes on Logic*, traduit et annoté par Gilles-Gaston Granger, Paris, Gallimard,1971.

7. ——————, *Remarques sur les Fondements des Mathématiques*, trad., M.A. Lescourret, éd. Gallimard, 1983.

8. ——————, *Cours sur les Fondements des Mathématiques*(1939), établi par C. Diamond, traduit de l'anglais par Élisabeth Rigal, Mauvezin, TER, 1995.

9. ——————, *Tractatus Logico-philosophicus*, suivi d'investigation philosophique, Traduit de l'allemand par Pierre Klossowski, Gallimard, 1961.

10. ——————,*Fiches*, éditées par G.E.M. Anscombe et G.R. Von Wright, traduit de l'allemand par Jaques Fauve, Gallimard, 1970.

11. **——————** , *Philosophical grammar* , Ed. R. Rhees, transl. A. J. P. Kenny, Oxford Blackwell, 1974.

12. **——————**, *Grammaire Philosophique,* Traduit de l'allemand par Marie-Anne Lescourret, Éditions Gallimard, 2001.

13. **——————** , *Le Cahier bleu et le Cahier brun*, Traduit de l'anglais par Marc Goldberg et Jérôme Sackur, Gallimard, 1996.

14. **——————**, *Le Cahier Bleu et le Cahier Brun,* trad. G.Durand, Gallimard, Paris, 1965.

15. **——————**,*The BIue and Brown Books*, ed. R. Rhees, Blackwell, 1958.

16. **——————**, *Les Cours de Cambridge 1930-1932*, Traduit de l'Anglais par Elisabeth Rigal , édition trans-europ , Repress, 1988.

17. **——————**, *Les Cours de Cambridge (1946-1947)*, notes de P.T. Geach, K.J. Shah et A. C. Jackson, établi par P.T. Geach, traduit de l'anglais par Elisabeth Rigal, Mauvezin, 2002.

18. **——————**, *De la Certitude*, Traduit de l'anglais par Guy Durand, Éditions Gallimard, 2005.

19. **——————**, *Quelques Remarques sur la Forme Logique,* traduit de L'anglais par Elisabeth Rigal , Mauvezin, TER,1985.

20. **——————**, *Remarques Philosophiques (1929-1930)*, établi par Rush Rhees, traduit de l'allemand par Jaques Fauve, Paris, Gallimard, 1975.

21. **——————**, *Remarques sur la Philosophie de la Psychologie I,* traduit de l'allemand par, Gérard Granel, Mauvezin,TER, 1989.

22. **——————**, *Remarques sur la Philosophie de la Psychologie II,* traduit de l'allemand par Gérard Garnel,Mauvezin,TER,2000.

23.

24. **——————**, *Investigations Philosophiques*, traduit de l'Allemand par Pierre Klossowski, Librairie Gallimard, Paris, 1961.

25. **——————**, *Remarques Mêlées,* traduit de l'Allemand par Gérard Granel, Trans- Europ Repress, France, 1984.

26. **——————**, *De la certitude,* edited by G. E. M. Anscombe and G. H. von Wright , translated by Denis Paul and G. E. M. Anscombe, Basil Blackwell Oxford, 1969.

27. **——————**, *Les Carnets 1914-1916*, traduit de l'allemand par Jean-Pierre Cometti, édition,Farrago,2001.

المراجع بالعربية

1. أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني،الدار العربية للعلوم، بيروت،الطبعة الأولى، 2011.

2. أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د. ط، د. ت.

3. آندرو، بول وموشلار، جاك، التداولية اليوم،علم جديد في التواصل، ترجمة:.سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ط1، 2003.

4. الباهي، حسان، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، 2004.

5. ــــــــــــــــ، اللغة والمنطق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000.

6. بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة، ترجمة: سعيد حسن بحري، مؤسسة المختار، القاهرة ط2، 2010.

7. بغورة، الزاوي، الفلسفة واللغة، دار الطبعة، بيروت ط1، 2005.

8. بلانشي، فيليب،التداولية من أوستن إلى غوفمان، تعريب: صابر الحباشة وعبد الرزاق الجمايعي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.

9. تارسكي، ألفرد، مقدمة للمنطق ولمنهج البحث في العلوم الاستدلالية، ترجمة: عزمي إسلام، مراجعة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970.

10.الجابري، محمد عابد، مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز دراسات الوحدة العربية،الطبعة الخامسة، بيروت،2002.

11. الجزيري، محمد مجدي، المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فيتغنشتاين، دار آتون للتوزيع، 1986.

12.جيرار جهامي، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية، دار المشرق، بيروت ط1، 1994.

13.الحاج صالح، رشيد، المنطق واللغة والمعنى، دار كيوان، الطبعة الأولى، 2005.

14.الحباشة، صابر، في المعنى مباحث دلالية معرفية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1، 2008.

15. حمود، جمال، فلسفة فيتغنشتاين، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.

16. دلاش، جيلالي، مدخل إلى السيميائيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1، 1994.

17. ديتربونتج، كارل، المدخل الى علم اللغة، ترجمة: سعيد حسن بحري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، ط2، 2010.

18.راسل، برتراند، أصول الرياضيات، ترجمة : محمد مرسي أحمد وأحمد فؤاد الأهواني،ج 2، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1964.

19.ـــــــــــــــــ، فلسفتي كيف تطورت، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، تقديم: زكي نجيب محمود، الطبعة1، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية،1960.

20. رايشنباخ، هانز، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية،1979.

21.روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة:المهيري عبدالقادر،المنظمة العربية للترجمة،بيروت، الطبعة الأولى،2007.

22.زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى،1968.

23. زكي نجيب محمود، نحو فلسفة علمية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1980.

24. زيدان، محمود ، في فلسفة اللغة، بيروت، دار النهضة العربية،1985.

25. سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع،ترجمة سعيد الغانمي،الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2006.

26. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2004.

27. صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

28. صلاح إسماعيل، عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت ط1، 1993.

29. الطبطابي، طالب سيد هاشم: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994.

30. طه، عبد الرحمان: المنطق والنحو الصوري، دار الطليعة، بيروت،الطبعة الأولى، 1983.

31. عادل،مصطفى، مدخل إلى الهيرومينيوطيقا، نظرية الفهم من أفلاطون إلى غادامير، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2003.

32. العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، 2009.

33. عزمي، إسلام: لدفيج فيتغنشتاين، دار المعارف، القاهرة،1967.

34. عزمي، إسلام، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، 1980.

35. عشير، عبد السلام، الكفايات التواصلية، اللغة وتقنيات التعبير والتواصل، منشورات Top Edition، ط1، 2007.

36.عمارة، ناصر، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2009.

37.الفاسي، الفهري، عبد القادر، نادية العمري، معجم المصطلحات اللسانية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.

38.فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة :عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 2000.

39.فيري، جان مارك، فلسفة التواصل، ترجمة وتقديم: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف،ط1، 2006.

40.كامل محمد محمد عويضة، لدفيج فيتغنشتاين، فيلسوف الفلسفة الحديثة، سلسلة أعلام الفلاسفة، (عدد:45)، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.

41. كلاوس هيتشن ؛ فولكر هيتن، القضايا الأساسية في علم اللغة، ترجمة: سعيد حسن بحري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2010.

42.لايكوف جورج، اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، ترجمة عبدا لقادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء،2008.

43.لينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة:عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، 1987.

44.مارتيني، أندري، وظيفة الألسن وديناميتها، تعريب: نادر سراج، دار المنتحب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1996.

45.ماهر عبد القادر محمد علي: فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.

46.ـــــــــــــــ، التطور المعاصر لنظرية المنطق، دار النهضة العربية، بيروت، 1988.

47.المتوكل، أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، المغرب، ط1، 1985.

48.منذر الكوثر: فلسفة التحليل والبحث عن المعنى– الوضعية المنطقية عند آير، دار الحكمة، لندن، الطبعة الأولى، 2004.

49.مورتون وايت، عصر التحليل، فلاسفة القرن العشرين، ترجمة: أديب شيش، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975.

50.مهران، محمد، فلسفة برتراند راسل، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية،1979.

51.مور، ا.ج، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، تعريب وتقديم: نجيب الحصادي، الدار الجماهرية، الطبعة الأولى، 1994.

52.نخلة، أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط1، مصر، 2002.

53.هويدي، يحي ، الفلسفة الوضعية في الميزان،مكتبة النهضة المصرية،1972/1971.

54.وداد الحاج حسن، رادو لف كارناب، نهاية الوضعية المنطقية،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء الطبعة الأولى،2001.

المراجع باللغات الأجنبية

1. **Armengaud, Françoise**, La pragmatique, PUF, 5e éd. 2007.
2. **Austin, J.L.**, How to do Things With Words, OUP, New York, 1970.
3. **Ayer, (A. J.)**, Langage, vérité et logique, traduit par Joseph Ottana, Flammarion, Paris, 1981.
4. **Blanche, Robert**, Introduction à la logique contemporaine, Librairie Armand Colin, 1968.
5. **Bracops, Martine**, Introduction à la Pragmatique, 2e éditions Duculot, Bruxelles, 2010
6. **Bruno Ambroise**, Qu'est-ce qu'un acte de parole ? Vrin, Paris, 2008.

7. Chauve Alain, La logique et sa signification philosophique, Delagrave, Paris, 2004.

8. Chauvire, Ch. Et Laugier, S., Lire les recherches philosophiques de Wittgenstein, Librairie Philosophique J. Vrin, 2° éd., Paris, 2009

9. Chomsky, Noam, Le Langage et la pensée, Traduit par Louis-Jean Calvet, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1980.

10. Christiane Chauviré, Jérôme Sackur, Le vocabulaire de Wittgenstein, Ellipses, Paris, 2003.

11. David Crystal, Linguistics, Penguin Books, 1982.

12. Deloche, Christian, La Philosophie des Mathématiques chez Wittgenstein, CNRS éditions, Paris, 1995.

13. Detel, Von Wolfgang, Grundkurs Philosophie, Logik, Reclam, Stuttgart, 2007.

14. Diego Marconi, La Philosophie du langage au XXe siècle, traduit par Michel Valensi, éditions de l'Éclat, Paris, 1997.

15. Dominique Lecourt, L'ordre et les jeux, Grasset, Paris, 1981.

16. Edward Kanterian, Ludwig Wittgenstein, Reaktion Books, London, U.K., first published 2007.

17. François Latraverse, La pragmatique, histoire et critique, éd. Pierre Mardaga, Liège, 1987.

18. Françoise Armengaud, La pragmatique, PUF, 5e édition, Paris, 2007.

19. Frege, Les fondements de l'arithmétique, trad., française de C. Imbert, Paris, Le seuil, 1969.

20. Geoffrey Leech, Semantics, Penguin Books, England, 1974.

21. George Yule, Pragmatics, Oxford University Press, 1st published, 1996.

22. Glock ,Hans-Johann, Qu'est-ce que la philosophie analytique ?, traduit de l'anglais par Frédéric Nef, Gallimard, Paris, 2011.

23. Gilles Gaston Granger, Ludwig Wittgenstein, Éditions Seghers, Paris, 1969.

24. Grayling, **A.C.,** Wittgenstein, Oxford University Press, first published, G.B., 1988.

25. Grice, Paul, Studies in the Way of Words , Cambridge, Massachusetts , Harvard University Press, fourth, printing, 1995.

26. Hacker, **P.M.S.,** Wittgenstein, traduit de l'anglais par Jean-Luc Fidel, Éditons du Seuil, Paris, 2000.

27. **______________**,Wittgenstein's Place in Twentieth Century Analytic Philosophy, Blackwell Publishers, Oxford, 2nd.editon, 1997.
28. **Heidegger**, L'être et le temps, Gallimard, 1964.
29. **Henrik, Georg (Von Wright)**, Wittgenstein, traduit de l'anglais par Elisabeth Rigal, édition Trans- Europ., 1986.
30. **Hugli, Anton und Poul Lübcke**, Philosophielexikon, Rowohlt Taschenbuch Verlag, Hamburg, 2013.
31. **Jessica Heyser**, Die Regeln des Sprachspiels Zu Ludwig Wittgensteins Philosophische Untersuchungen" Grin Verlag, 2002.
32. **Jochim Schulte**, Lire Wittgenstein, traduit de l'allemand par Marianne et Jean-Pierre, Édition de l'Éclat, 1992.
33. **Josette Rey Debove**, Le Métalangage: étude linguistique du discours sur le langage, Collection L'ordre des mots, Montréal, Canada, 1986.
34. **Konrad Specht, Ernst,** The Foundations of Wittgenstein's late Philosophy, translated by D.E.Walford, Manchester University Press, 1969.
35. **Kurt Wuchterl und Adolf Hübner**, Wittgenstein, Rowohlt Taschenbuch Verlag, Hamburg, 1991.
36. **Laugier, Sandra et Christiane Chauviré**, Lire les recherches philosophiques, Vrin, Paris, 2e édition, 2009.
37. **Lefebvre, Henri**, Le langage et la société, Gallimard, Paris, 1966.
38. **Leibniz G.W**, Nouveaux essaies sur l'entendement humain, PUF, Paris, 1961.
39. **______________**, Principes de la nature ou Monadologie, PUF, Paris, 1986.
40. **Lyons, John**, Language and Linguistics, Cambridge University Press, 1981.
41. **Moore, George Edward,** Some Main Problems of Philosophy, London, 1953.
42. **Mounin, Georges**, Clefs pour la linguistique, Éditions Seghers, Paris, 1968.
43. **Oksana Kerbs**, Das Sprachspiel in den Philosophischen Untersuchungen, GRIN Verlag, 1 Auflage, 2007.
44. **Oswald Hanfling**, Philosophy and Ordinary Language**,** First published, Routledge, London, 2000.
45. **Otto Jespersen**, la Philosophie de la grammaire, Gallimard, 1962.
46. **Ouelbani, Malika**, Wittgenstein et Kant, Cérès Éditions, Tunis, 1996.

47. Pascal Ludwig, Le langage, Flammarion, Paris, 1997.
48. Pierre Hadot, Wittgenstein et les limites du langage, Vrin, Paris, 2010.
49. Pitcher, G. The Philosophy of Wittgenstein, U.S.A., 1964.
50. Quine, Willard V. O., Méthodes de logique, Traduction de Maurice Clavelin, Armand Colin, Paris, 1973.
51. Recanti, **François**, Philosophie du langage et de l'Esprit, Gallimard 2008.
52. Resweber, Jean-Paul, La philosophie du langage, Presses Universitaire de France, Paris, 3e édition, 1979
53. Russel, **Bertrand,** Écrits de Logique Philosophique, traduit par Jean-Michel Roy, P.U.F., Paris, 1989.
54. ——————, Histoire de mes idées philosophiques, trad. G. Auclair, éd. Gallimard, 1961.
55. ——————, Ma Conception du monde, traduit par Louis Evrard, éd. Gallimard, 1962.
56. Searle, John, Speech Acts, Cambridge University Press, 1970.
57. ——————, Speech Acts, C.U.P., 1980.
58. ——————, The Philosophy of Language, Oxford University Press, 1972.
59. ——————,Expression and Meaning, Cambridge University Press, 1979.
60. Sluga, **Hans** and David G. Stern, The Cambridge Companion to Wittgenstein, Cambridge University Press, first published, U.K. 1996.
61. Soulez ,Antonia, Wittgenstein et le tournant grammatical, PUF, 1ère éd., Paris, 2004.
62. Spinoza, Ethique, PUF, Paris, 2010.
63. Stenius, E., Wittgenstein's Tractatus, Oxford Basil Blackwell, 2nd. Impression, 1964.

المعاجم والموسوعات بالعربية

1. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1984.

2. بيتر كونزمان، فرانرز بيتر بوركارد، فرانرز فيدمان، اكسل فايس، أطلس الفلسفة،، ترجمة: جورج كتورة،المكتبة الشرقية، بيروت، الطبعة الأولى،2001.

3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

4. الحفني، عبد المنعم، الموسوعة الفلسفية، دار المعارف، سوسة، تونس، 1992.

5. الخولي، محمد علي، معجم علم اللغة التطبيقي(إنجليزي–عربي)، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى،1986.

6. الفهري، عبد القادر الفاسي؛ العمري، ناديه، معجم المصطلحات اللسانية، دار الكتاب الجديدة، المتحدة، بيروت، ط1، 2009.

7. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد يعقوب، القاموس المحيط،مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة،2003.

8. قباني هاني وآخرون، قاموس ألماني–عربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009

9. لالاند، أندري، معجم مصطلحات الفلسفة التقنية والنقدية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى،2001.

المعاجم والموسوعات باللغات الأجنبية

1. **Bunnin, Nicholas** and **E. P. Tsui-James**, The Blackwell Companion to Philosophy, Second edition published, U.K., 2003.

2. **Glock, Hans-Johann**, Dictionnaire Wittgenstein, Traduit de L'anglais par Hélène Roudier de Lara et Philippe de Lara, Editions Gallimard, 2003. (Publié pour la première fois par Blackwell Publishers, Oxford, Royaume-Uni, 1996.)

3. **Götz Dieter**, **Hans Wellmann**, Langenscheidts Großwörterbuch, Auf. 8, Langenscheidt , Berlin,1997.

4. **Mey, Jacob L.**, Concise Encyclopedia of Pragmatics, Second Edition, Elsevier Ltd., Oxford, U.K., 2009.

5. **Oswald Ducrot**, **Tzvetan Todorv**, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éditions du Seuil, 1ère éd., 1972.

المجلات والدوريات باللغة العربية

1. باقر جاسم محمد، (حول اللغة وسوء الفهم)، مجلة آداب، البصرة، العدد55، السنة، 2011.

2. بنعيسى عسو أزابيط، (نظرية غرايس والبلاغة العربية)، مجلة كلية الآداب، مكناس، عدد13، 1999.

3. الحمو أحمد، (محاولة في الإعلال)، مجلة عالم الفكر، العدد 1989،3.

4. محمد سالم ولد محمد الأمين، (مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة)، عالم الفكر، الكويت، العدد 28، يناير/مارس، 2000.

المجلات والدوريات باللغات الأجنبية

1. **Grice , P.H**.,(Logic and conversation) , in Cole Peter and Morgan Jerry, L., (eds) Speech acts, in Syntax and Semantics, Vol.3 ; New York; 1975
2. **Johanna LIU**, Sprachspiel und Lebensform (Jeux de Langage et Forme de Vie), dans Language Ordinaire et Philosophie chez le Second Wittgenstein, séminaire de Philosophie du langage 1979-1980, Cabay, Louvain-la-Neuve, 1981.
3. **Oulelbani, M**., (Jeux de langage et automatisme), article présenté à: cinquantenaire Wittgenstein : Actes du Colloque organisé à la faculté des sciences humaines et sociales de Tunis, 13-15 novembre 2001, édité par M. Oulebani (Tunis: Faculté des lettres des sciences humaines, 2002).
4. **Rhees**, **R**., Some Developments in Wittgenstein s View of Ethics, Philosophical Review, n.74, 1965.

الرسائل الجامعية

1. بلبولة، مصطفى، مشروع اللغة الكونية عند ليبنتز، رسالة ماجستير،2005-2006، تحت إشراف: الزاوي الحسين، جامعة وهران.
2. حساين دواجي، غالي، الهيرمونيطيقا وإتيقا التخاطب، رسالة دكتوراه ،2012-2013، تحت إشراف: بوزيد بومدين، جامعة وهران.

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... (أ- ن)

الفصل الأول: في الأصول والمنهج **(1- 56)**

المبحث الأول: المنهج التحليلي **2**

المبحث الثاني: التحليل اللغوي عند فريجه **14**

المبحث الثالث: التحليل اللغوي عند راسل **24**

المبحث الرابع: فيتغنشتاين وفلسفته **34**

المبحث الخامس: التداولية والمنهج التداولي **48**

الفصل الثاني: النظرية التصويرية للغة **(57- 105)**

المبحث الأول: القضايا والوقائع **58**

المبحث الثاني: الألفاظ والأشياء **72**

المبحث الثالث: المعنى في النظرية التصورية **83**

المبحث الرابع: أزمة النظرية التصويرية **96**

الفصل الثالث: نظرية الألعاب اللغوية **(106- 153)**

المبحث الأول: مفهوم ألعاب اللغة **107**

المبحث الثاني: أشكال الحياة **122**

المبحث الثالث: التشابهات الأسرية **134**

المبحث الرابع: الاستعمال اللغوي **141**

الفصل الرابع:التداولية من فيتغنشتاين إلى غرايس **(154- 190)**

المبحث الأول: تداولية فيتغنشتاين **155**

المبحث الثاني: أفعال الكلام عند أوستن **164**

المبحث الثالث: سيرل ونظرية الأفعال اللغوية **173**

المبحث الرابع: منطق الحوار عند بول غرا يس **181**

خاتمة ..... **(191- 195)**

فهرس المصادر والمراجع **196**

فهرس الموضوعات **208**